



المؤتمر العلوي الدولي الثالث

عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والشكر وبه نستعين



فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيهَا السَّلَامُ

هُنَّ فِي قَلْبِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَدْخُلْ بَعْدُ



بُحُوثُ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الثَّالِثِ

عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِشِعَارِ

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

(مِشْكَاتُ الْأَنْوَارِ وَمُسْتَوْدَعُ الْأَسْرَارِ)

الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ

بِرِعَايَةِ الْعَتَبَتَيْنِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ

بِمُنَاسَبَةِ الْمَوْلِدِ الْمُبَارَكِ لِلْسَيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

أَقَامَهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامٍ مُعْجِزَةٍ رَدَّ الشَّمْسُ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَرْكَزِ تَرَاثِ الْحِلَّةِ النَّابِعِ لِلْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

وَكُلِّيَّةِ التَّرْبِيَّةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

مِنْ ٢٠-٢١ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٤٥ هـ / ٣-٤ كَانُونِ الثَّانِي ٢٠٢٤ م

الْمُشْرِفُ الْعَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ الْيُوسُفِيُّ

مُرَاجَعَةٌ وَضَبْطٌ

مَرْكَزُ تَرَاثِ الْحِلَّةِ

وَقَدْ مَنَاحَ فَضْلَهُ الْحُزْرَةُ الْعَمِيمَةُ



العتبة العباسية المقدسة
مكتبة دار التراث
مركز تراث الحلة

موبايل: 009647602320073

E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية في مقام معجزة ردّ الشمس. المؤتمر العلمي الدولي عن سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء (عليها السلام) (الثالث : ٢٠٢٤ : الحلة، العراق)، مؤلف.

بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثالث عن سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء (عليها السلام) : بشعار فاطمة الزّهراء (عليها السلام) مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار. الجزء الثاني. - الطبعة الأولى. - الحلة، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث الحلة، ١٤٤٦ هـ. = ٢٠٢٤.

٦ مجلد: إيضاحيات ؛ ٢٤ سم

يتضمّن ملاحق.

يتضمّن إرجاعات ببليوجرافية.

أغلب النص باللغة العربية مع نصوص باللغة الإنجليزية والفارسية ؛ ومستخلصات باللغة العربية والإنجليزية. ١. فاطمة الزّهراء، فاطمة بنت محمد بن عبد الله (عليها السلام)، ٨ قبل الهجرة - ١١ هجري - مؤتمرات. أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث الحلة، مؤلف. ب. جامعة بابل. كلية التربية للعلوم الإنسانية، مؤلف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

فهرسة أثناء النشر

٨٠١/٢٢٤

ح/ مركز تراث الحلة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية -

العتبة العباسية المقدسة

بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثالث عن سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء (عليها السلام)

الجزء الثاني

E-mail: hilla@alkafeel.net

الحلة/ مركز تراث الحلة/ العتبة العباسية المقدسة

١٧,٥ × ٢٤ سم

بحوث - دراسات

م/و

٢٠٢٥/٧٤٣ م

المكتبة الوطنية/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٣) لسنة ٢٠٢٥ م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثالث عن سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء (عليها السلام). بشعار: فاطمة الزّهراء مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار (الجزء الثاني).

جهة الإصدار: العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث الحلة.

الطبعة: الأولى. المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

سنة الطبع: ١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٥ م.

محور الدرّاسات العقديّة
والفقهية

معالم الفكر السياسي ومقاصدها عند السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (قراءة تحليلية)

الباحثة سندس سعدون مهدي علي الشمري

الملخص

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، والصلاة والسلام على نبيه وخير خلقه، وعلى آله الطهر الميامين.

حينما يتعرّض الإسلام أو النظام السياسي الإسلامي للانحراف والتهديد، فلا بدّ لكلّ مسلم أن يدافع عن الإسلام والأمة الإسلامية.

لقد تصدّت الزهراء عليها السلام لهذا الواجب، وأدّت هذا الدور أفضل أداء؛ لأنّها الامتداد الطبيعي للرسول الخاتم، ولرسالته السماوية المقدسة.

رسمت عليها السلام منهجاً سياسياً للإصلاح والمعارضة، بالتأكيد على الجهاد بما هو فرض عبادي، تتولاه الأمة الإسلامية، وكان جهادها ثورة كلامية هزّت عروش الطواغيت والظلمة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أتمّها عليها السلام أسست خطاباً رسالياً لكلّ فئات المجتمع؛ للمطالبة بالحقوق، وانتهجت أسلوب المقاطعة، فقاطعت غاصبيها، وأعلنت غضبها عليهم، وحاربتهم بالبكاء، وإعلان الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتوصل رسالة إعلامية تشير إلى هجرانها على من استهان بحرمة السماء.

لذا وقع الاختيار في المحور الثاني (الجهاد في فكر السيدة الزهراء عليها السلام)، وعليه جاء العنوان الموسوم بـ (معالم الفكر السياسي ومقاصدها عند الزهراء عليها السلام).

اقتضت صورة البحث أن تُرسم من تمهيد ومبحثين، انعقد التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان، ثم جاء المبحث الأول مشتملاً على مطلبين رئيسين، أولهما: أبعاد شخصية الزهراء عليها السلام، والثاني أسهم في بيان مقاصد الشريعة عند الزهراء عليها السلام، أمّا المبحث الثاني، فهو الآخر احتوى على مطلبين، أولهما: المواقف الجهادية للسيدة الزهراء عليها السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، وثانيهما: المواقف السياسية بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد وآله الطاهرين.



المقدمة

لقد أعدَّ الله سبحانه وتعالى فاطمة الزهراء عليها السلام لتكون قدوة في كل جوانبها، ومنها الجانب السياسي، الذي تكون له علاقة في توطيد قواعد الإسلام.

من الملاحظ في الإسلام أنَّ المرأة مختلفة في واجباتها ومسؤولياتها عن الرجل، وفي الوقت نفسه أيضًا يُلاحظ أنَّ المرأة تشترك مع الرجل في كثير من المسؤوليات والواجبات، فمثلاً نلاحظ أنَّ الواجبات العامة في الشريعة الإسلامية كالصلاة والصوم.. فكما تجب الصلاة على الرجل، تجب على المرأة، وهكذا في الصيام والخمس؛ نعم قد تختلف المرأة عن الرجل في بعض الخصوصيات، ولكن في أصل الواجبات نجد أنَّ هناك مشاركة، وهكذا في مجمل الحقوق العامة للمرأة والرجل، نجد أنَّهما يشتركان في هذه الحقوق، لكن في الوقت نفسه نجد بعض الاختلاف في الواجبات والحقوق، فالجهاد الابتدائي مثلاً، لا يجب على المرأة كما يجب على الرجل، وإن كانت تشترك في معه في الجهاد الدفاعي؛ إذن، لا فرق في الوجوب بين المرأة والرجل.

إنَّ أبرز نقطة تتداولها في حياة الزهراء عليها السلام جهادها السياسي، وهو الجهاد من أجل إقامة أحكام الإسلام وتعاليمه، وإقامة الحقِّ واتباعه، ومعارضة الانحراف، وترسيخ خطِّ الإسلام الأصيل.

حينما رأت (سلام الله عليها) الأمة الإسلامية أو النظام السياسي الإسلامي يتعرَّض للانحراف في الحكم والتهديد، وهي سليلة النبوة وخاتم الرسالات، ومظهر

الرضا الإلهي، وسيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، بادرت إلى القيام بواجبها، حينما رأت أنّ هذا الدور لا يمكن أن يقوم به أحدٌ غيرها، وبادرت للدفاع عن قضية الإسلام، وكافحت من أجلها، وإعلان المعارضة والرفض، فخرجت، وخطبت، وتعرّضت للظلم والاضطهاد، ولم تنشي حتى ماتت، وهي مظلومة، من أجل هذه القضية التي تعتبرها قضية مصيرية.

رسمت (سلام الله عليها) منهجاً سياسياً للإصلاح والمعارضة؛ لتحقيق العدالة الإنسانيّة بالتأكيد على الجهاد بما هو فرض عباديّ تتولّاه الأئمة الإسلامية، وكان جهادها ثورة كلاميّة هزّت عروش الطواغيت والظلمة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أسّست خطاباً رسالياً لكلّ فئات المجتمع، وللمرأة المؤمنة خاصّة، للمطالبة بالحقوق، وانتهجت أسلوب المقاطعة، فقاطعت غاصبيها، وأعلنت غضبها عليهم، وحاربتهم بالبكاء، وإعلان الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتوصل رسالة إعلاميّة تشير إلى هجرانها على من استهان بحرمة السماء.

لذا وقع الاختيار على المحور الثاني محور الدراسات العقديّة والفقهية، الموسوم بعنوان (الجهاد في فكر السيدة الزهراء عليها السلام)، وقد صغنا له عنوان (معالم الفكر السياسي ومقاصدها عند السيدة الزهراء عليها السلام قراءة تحليلية)، لما نراه جامعاً لمطالب المحور.

أهميّة البحث: تنطلق أهميّة البحث واختياره من عظم دور فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّها عليها السلام تعدّ حلقة الوصل بين النبوة والإمامة؛ بل هي الوعاء الذي حمل الأئمة الطاهرين، وقد ساندت رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) في رسالة السماء، وأسهمت في بيان مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال خطبتها الخالدة.

وعليه لا بدّ أن يطلع الموالون والمخالفون على تراث أهل البيت عليهم السلام وفكرهم؛ ليصروا الحقّ، لتكشف عن الحقائق المخفية على الكثير في القرآن، التي جسّدتها الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرة، حتّى نتصر لهم بالدفاع عنهم بصدّ المغرضين المعاندين، فيما





لو تسلّحنا بالمعلومة التي تظهر حقهم وبيان مظلوميّتهم، وبالخصوص أمهم الزّهراء عليها السلام سليلة النبوة، ومهبط الوحي والتنزيل.

أهداف البحث: إنّ تسليط الضوء على الجوانب المضيئة في حياة الزّهراء عليها السلام، وإبراز دورها في الحياة الإسلاميّة تتطلّب البحث في معالم الفكر السياسيّ، وتثبيت دورها (سلام الله عليها)، والتي تميّزت بالوقوف بوجه الطغاة الظّلمة، والتصدي للسلطة الحاكمة بصلافة؛ لتحقيق الهدف المنشود.

مشكلة البحث: في هذا البحث واجهتنا مشكلة، وهي أسئلة نحتاج إلى حلّها منها:

١. هل يجب على المرأة الجهاد؟ ويتفرّع منه سؤال آخر: كيف تخرج الزّهراء عليها السلام للجهاد، وهي القائلة عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: «أي شيء خير للمرأة؟» قالت: «أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»^(١)، ألا يوجد تنافي في ذلك؟.

٢. هل يشرع للمرأة الجهاد؟ وإذا كان كذلك، فما نوع الجهاد الواجب عليها؟. سوف أسعى في الإجابة على هذه الأسئلة خلال هذا البحث البسيط.

منهج البحث: اعتمدنا على المنهج التحليليّ الذي ساعد على تحديد المصطلحات العامّة للبحث، وحدوده المتمثلة في بعض من الخطبة، مع الاستعانة بآيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، ومحاولة الإجابة على الإشكالات أو الأسئلة التي طُرحت، ثمّ تبويبها تحت عناوين جامعة، ومن ثمّ الوصول إلى النتائج المرجوة.

هيكلية البحث: لغرض تحقيق أهداف البحث وغاياته، اقتضت صورة البحث أن نرسم مقدّمة وتمهيد، انعقد التمهيد لبيان مفردات عنوان البحث الذي أدرجت فيه التعاريف اللغويّة والاصطلاحيّة، ثمّ جاء المبحث الأوّل مشتملاً على مطلبين

(١) بحار الأنوار: المجلسي، محمّد باقر، ج ٤٣، ص ٨٤، المكتبة الشيعيّة.



رئيسين، الأول: أبعاد شخصية الزهراء عليها السلام، والثاني أسهم في بيان مقاصد الشريعة عند الزهراء عليها السلام، ثم انعقد المبحث الثاني في بيان المعارضة والإصلاح في فكر الزهراء عليها السلام، واشتمل على مطلبين، أولهما: المواقف الجهادية للسيدة الزهراء عليها السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، وثانيًا: المواقف السياسية بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله، ثم ختمت البحث بأهم النتائج، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

أدوات الدراسة: الاستعانة بعدد من المراجع الرئيسة، وعلى رأسها:

١. القرآن الكريم.
٢. الاعتماد على المصادر القديمة والحديثة في محاولة للوصول إلى المعلومة المطلوبة، عن طريق الكتب المقروءة بنسبة كبيرة؛ لأنّ الاطلاع على الكتاب بصورة مباشرة فيه فائدة أكبر لكل من الباحث والباحث، مع الاستعانة بالمكتبات الإلكترونية.
٣. المصادر المعتمدة التي تناولت خطبة الزهراء عليها السلام، وكتب اللغة، ومنها لسان العرب، وبعض المصادر الأخرى المتعلقة بموضوع البحث.



التمهيد

الغاية من وضع التمهيد، هو لبيان المفردات التي جاءت في العنوان الذي وقع عليه البحث، وما يتعلق بموضوع العنوان من المصطلحات التي استند إليها البحث، كالإصلاح، المعارضة، السياسة، المقاصد.

مفهوم الإصلاح لغةً واصطلاحاً

أولاً. الإصلاح في اللغة: هو ضدُّ الإفساد، وهو من الإصلاح المقابل للفساد، وكذلك هو قبال السيئة. صلح: الإصلاح: ضدُّ الفساد^(١)، ونقل الفراء صَلَحَ أيضًا بالضم، وهذا يصلح لك أي هو من بابتك.. و(الإصلاح) ضدُّ (الإفساد والمصلحة)، واحدة (المصالح)، و(الاستصلاح) ضد الاستفساد^(٢).

جاء في القرآن الكريم: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة: ١٠٢)، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦)، فكلمتي (الإصلاح، والإفساد) من الكلمات المتقابلة، وردت متكررة في القرآن، فهما من المصطلحات الإسلامية والاجتماعية التي يمكن معرفة إحداها بالثانية، من قبيل: التوحيد والشرك، العدل والظلم.. وأمثالها.

ثانياً. الإصلاح في الاصطلاح: هو التغير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة، فالحركات الإصلاحية هي الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر؛ لإصلاح

(١) لسان العرب: ابن منظور، (حرف الصاد)، صلح، ج ٨، ص ٢٦٧.

(٢) مختار الصحاح: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)، ص ٣٦٧.

ما قد في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالاً بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني^(١).

تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان، وإعادة صياغة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع، وإقامة النموذج الإصلاحي الجديد^(٢).

مفهوم المعارضة لغةً واصطلاحاً

أولاً. المعارضة في اللغة: في معجم المعاني الجامع:

١. مُعَارَضَةٌ: (ع ر ض)، (مصدر عَارَضَ). المعارضة: الاحتجاج، المخالفة، الممانعة.

٢. معارضة: حزب أو أحزاب في الهيئة التشريعية، تعارض الحزب أو الأحزاب التي تشكّل الأغلبية، وتحكّم في التشريع. (مصطلحات سياسية).

ثانياً. المعارضة في الاصطلاح: مفهوم المعارضة السياسية:

يعرّف روبرت دال المعارضة «تعريفاً بسيطاً، فمثلاً: (أ) هو الطرف الذي يمارس السلطة، ويقرّر سياسة الدولة، و(ب) هو الطرف الذي لا يقرّر سياسة الحكومة، و(ب) في هذا الاصطلاح هو المقصود بالمعارضة.. يقول سربست: المعارضة السياسية: «هي قوى وهيئات تعبّر عن آراء ومصالح فئات اجتماعية، لها أهداف ومشاريع وخطط تختلف عن أهداف وخطط السلطة السياسية القائمة..»^(٣).

(١) أنظر: الحركات الإسلامية: مطهري مرتضى، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الموسوعة السياسية: الهام ناصر، (٢٠١٧-٢٠١٥). المعارضة السياسية:



مفهوم السياسة في اللغة والاصطلاح

أولاً. السياسة في اللغة: جاء في المصباح المنير: «سَاسَ زيد الأمر يسوسه: أي دَبَّرَه وقام بأمره»^(١)، وجاء في لسان العرب: «السَّوَسُ الرياسة»، قال: «ساسوهم سَوَسًا.. وساس الأمر سياسة: قام به.. ويقال: سَوَسَ فلان أمر بني فلان، أي كُلَّفَ سياستهم.. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه»^(٢). وفي الصحاح سياسة: (س و س) (ساس) الرعية يسوسها (سياسة) الكسر^(٣).

ثانيًا. تعريف السياسة اصطلاحًا:

السياسة الشرعية في اصطلاح العلماء، منها:

١. ما يراه الإمام أو يصدره من الأحكام والمقرّرات، زجرًا عن فساد واقع، أو وقاية من فساد مُتَوَقَّع، أو علاجًا لوضع خاص^(٤).
 ٢. تدبير شؤون الدولة الإسلاميّة، التي لم يرد بحكمها نصٌّ صريح، أو التي من شأنها أن تتغيّر وتبدّل بما فيه مصلحة الأُمّة، ويتفق مع أحكام الشريعة وأصولها العامّة^(٥).
- وترى الباحثة أنّ السياسة الشرعيّة هي: تدبير شؤون الدولة القائمة على قواعد الشرع وأحكامه وتوجيهاته، من خلال المعرفة الدقيقة بمقاصد الشريعة، مع مراعاة المصالح العامّة ودرء المفاسد والمخاطر عن أبناء الأُمّة.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن الفيّوميّ، ص ١٧٧.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ج ٦، ص ١٠٨، ط، دار صادر، بيروت.

(٣) مختار الصحاح، الرازي، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)، ص ٣٢١.

(٤) السياسة الشرعيّة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها: د. يوسف القرضاوي، ص ٣، مكتبة وهبة، مصر.

(٥) نظام الدولة في الإسلام: د. محمود الصاوي، ص ٣٩، ط ١، دار الهداية، مصر، ١٤١٨هـ.

المقاصد في اللغة والاصطلاح

أولاً. المقاصد لغةً: المقاصد مفاعل، واحدُها (مَقْصِدٌ)، قال ابنُ فارس (ت ٣٩٥هـ): «القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدلُّ أحدهما على إتيان شيءٍ وأمه، والآخر على كسر وانكسار، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصدًا ومَقْصِدًا، ومن الباب: أقصده السَّهْمُ: إذا أصابه»^(١).

ثانيًا. المقاصد القرآنية في الاصطلاح:

المقاصدُ هي: «بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات؛ لسعي العباد في تحصيلها، وبيان مصالح المخالفات؛ ليسعى العباد في درئها، وبيان مصالح العبادات؛ ليكون العباد على خير منها، وبيان ما يُقدَّم من بعض المصالح على بعض، وما يُؤخَّر من بعض المفسدات على بعض.. والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفسدًا أو تجلب مصالح»^(٢).

المقاصد: «الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة الغراء، وأثبتتها الأحكام الشرعية، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها، والوصول إليها في كل زمان ومكان»^(٣).

(١) المقاصد القرآنية الكبرى في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام: أ.د. رحيم كريم علي الشريفي، جامعة بابل، كلية العلوم الإسلامية.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية: المفيد، ج ١، ص ١، جامع الكتب الإسلامية:

<https://ketabonline.com/ar/books/97714/read?page=4&part=1#p-97714-4-1>.

المبحث الأول

شخصية الزهراء، ومقاصد الشريعة عندها عليها السلامالمطلب الأول: أبعاد شخصية الزهراء عليها السلام

أكد القرآن الكريم والسنة الشريفة على شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام، ودورها الكبير في الحياة الإسلامية، ففي الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، مثلت الزهراء عليها السلام محوراً، فهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجة الإمام علي عليه السلام، وأمّ الحسنيين عليه السلام، وهؤلاء الذين نزلت فيهم آية التطهير، وأكدها رسول الله صلى الله عليه وآله لأُمَّته، وكان صلى الله عليه وآله يطرق الباب على فاطمة عليها السلام، وهو يتلو هذه الآية، وهذا نوع من أنواع التأكيد على شخصية الزهراء عليها السلام المباركة، وكذا الحال في آيات المودة، وآيات القربة، وسورة الدهر، والمباهلة، وغيرها من الآيات التي تتحدث عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، نجد أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي المحور لكل هذه المضامين، فعندما نتحدث عن المودة في قرب النبي صلى الله عليه وآله، نجد أنّها عليها السلام هي أقرب الناس إليه، وهكذا في جميع الأحوال، وتأتي الأحاديث الشريفة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والتي رواها وأثبتها الفريقان من الشيعة والسنة، وتؤكد ذلك تأكيداً لا يضاهيه على مكانة السيّدة فاطمة الزهراء، ويقول إنّ الله عز وجل يغضب لغضب فاطمة عليها السلام، ويرضى لرضاها، والزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين، وفاطمة بضعة مني، يغضبني ما يغضبها، إلى غير ذلك ممّا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في مقام التأكيد على هذه الشخصية.

إِنَّ الزَّهْرَاءَ عليها السلام حينما يصفها النبي صلى الله عليه وآله بأنها سيِّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، على ما ورد عنه صلى الله عليه وآله، يُراد من ذلك إبراز الأبعاد المتعدّدة في هذه الشخصية، ومن ثمّ إعطاء هذه الأدوار المتعدّدة في شخصيّة المرأة وحركتها في المجتمع والتاريخ؛ لأنّ الزَّهْرَاءَ هي المثل الصالح لذلك.

يتضح سرّ كلّ هذا التأكيد من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبله تأكيد القرآن الكريم على شخصيّة الزَّهْرَاءَ عليها السلام لرسم معالم الأدوار التي يمكن أن تضطلع بها المرأة في الحياة الإنسانيّة، وفي المجتمع الصالح، من خلال تقديم هذا المثل الصالح والقُدوة والأسوة والنموذج الراقي والكامل للمرأة وأدوارها في المجتمع:

الدور الأوّل: الهوية الإنسانيّة المتكاملة

القرآن الكريم والرسالة الإسلاميّة أراداً إعطاءنا هذه الصورة والفهم حول هويّة المرأة في مضمونها وموقعها في مسيرة الحياة الإنسانيّة، فالقرآن الكريم، وكذلك النصوص في السنّة النبويّة الشريفة، تؤكّد أنّ المرأة من حيث هويّتها الإنسانيّة تحظى وتتنّصف بهويّة كاملة في إنسانيتها، ولا يوجد فيها أي جانب من جوانب النقص في هذه الهوية، بحيث يعيق حركته الإنسانيّة التكامليّة، والله تبارك وتعالى أراد للإنسان في هذه الحياة أن يقوم بواجبات ومسؤوليّات كثيرة، وإعطاء حقوقاً في هذه الحياة من أجل أن يصل بمسيره إلى الله تعالى، ولقد كان هذا التأكيد البالغ من القرآن الكريم والنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله على شخصيّة الزَّهْرَاءَ عليها السلام لتوضيح هذا الجانب؛ لأنّ النظرة الجاهليّة قبل الإسلام بكلّ اشكالها، كانت تعتبر المرأة ناقصة في الهوية والكمال، وتعيش في ظلّ الرجل، وتابعة له في الهوية الشخصية.

فالإسلام إذاً أراد توضيح حقيقة من الحقائق الإنسانيّة ذات العلاقة بالوجود الإنسانيّ، وهي أنّ المرأة في إنسانيتها كاملة، كما هو حال الرجل في الإنسانيّة، واقتضت





الحكمة الإلهية أن تكون ذرية رسول الله ﷺ من فاطمة، مع أنه سيّد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، وقد كُتِبَ له البقاء والاستمرار من خلال ذرية الزّهراء ﷺ إنسانياً ورسالياً، وهي خطُّ النبوة والإمامة.

الدور الثاني: حركه التكامل الفرديّ

وهو من الأدوار المهمّة التي يمكن أن نجد معالمها في شخصيّة الزّهراء ﷺ بصورته الكاملة، ونفهم منها جانباً آخر من أدوار المرأة في الحياة الإنسانيّة، وهو دور التكامل الفرديّ في الحركة نحو الله سبحانه وتعالى. لقد أراد الله تعالى لهذا الإنسان أن يتحرّك باتجاه الكمالات المطلقة التي يتّصف بها الله سبحانه وتعالى، وبطبيعة الحال لا يمكن للإنسان أن يصل إلى ذلك الكمال المطلق، وإنّما يتحرّك باتجاه ذلك الكمال، باتجاه العلم؛ لأجل أن يكون في طريق العلم الإلهي الكامل، كما صرّح القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة: ٥).

وعندما تأتي إلى الزّهراء ﷺ نجد فيها ما نجد صفاتها هذه الخصيصة، وهذا الأمر الذي أكّده الآيات الشريفة التي وردت في سورة الدهر عندما تحدّثت عن أولئك العباد الأبرار الذين وصلوا إلى أعلى درجات الكمال في حركة العبوديّة لله تعالى، والتقوى والارتباط بالله سبحانه.

فالزّهراء ﷺ مثلت أيضاً المحور في هذه الحركة التي تحدّث عنها القرآن الكريم.

الدور الثالث: الدور السياسي للمرأة

إنّ دور الزّهراء ﷺ وتضحيتها في نصرة إمامة عليّ ﷺ، وترسيخ مبدأ الولاية والدفاع عن هذا الحقّ الذي أريد له أن يثبت في التاريخ، ويستمر في العقيدة والهدف،



وإن لم يحصل على موقعه المطلوب في اليوم الأول، دور ينبغي أن نقف عنده، فنجد أنَّ الزَّهراء تبادر إلى هذا الدور، وتنهض به بأفضل ما يمكن أن يؤدِّيه الإنسان في ظرف حسَّاس، يمكن لنا أن نقول عنه إنَّه لم يكن من الممكن لغير الزَّهراء عليها السلام أن تقوم به.

ومع وقفة عند النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في الزَّهراء عليها السلام، مثل قوله: «إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة»، يتبيَّن لنا أن الله سبحانه وتعالى في قضاءه وقدره قدَّر أن فاطمة الزَّهراء عليها السلام سوف تمرُّ بأوضاع سياسيَّة واجتماعيَّة تُثار فيها الزَّهراء وتغضب لله تعالى، وليس لنفسها، ولذلك يغضب الله تعالى لغضبها، ويرضى سبحانه وتعالى لرضاها عليها السلام.

الدور الرابع: الدور الإعلاميَّ لحركة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

يُعرَّف الإعلام: «بأنَّه تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبرُّ هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عن عقليَّة الجماهير واتِّجاهاتهم وميولهم، وللإعلام طرق ووسائل، ويذكر ابن منظور أنَّ الإعلام بمعنى التبليغ»^(١). وقد يكون الإعلام إيجابيًا، يهدف إلى نشر الحقائق والقيم الإيجابية والمثل السامية، وقد يكون على العكس من ذلك، بعيدًا عن الصدق والنزاهة.

يعدُّ الإعلام أحد المؤسَّسات التربويَّة المهمَّة في المجتمع، إذ لوسائل الإعلام أثر مهمٌّ في تشكيل الرأي العام أو توجيهه نحو مسارٍ معيَّن، ويسهم الإعلام الهادف أيضًا في القضاء على الشائعات التي تجد لها صدًى شعبيًّا واسعًا عند الناس، ويعتمد في ذلك أسلوب بثِّ المعلومات الصحيحة، وتقديم الأدلَّة والمستندات حول ما يعلنه أمام الملأ.

(١) قراءة في السيرة الفاطميَّة، ص ٥٥٧.

وقد اعتمد الإعلام في العصور القديمة على آليات الاتصال اللفظي وغير اللفظي، إذ القصيدة الشعرية والخطابة التي لها شأن أكبر في الإسلام؛ لما لها من القدرة على الإقناع، لذلك بلغت الخطابة أوجها على يد رسول الله ﷺ، وعليه عليه السلام، الذي كان مضرب المثل في البلاغة، واحتفظ الإسلام بصورة إعلامية أخرى، مثل الأسواق والندوات، نظراً لاتصالهما قوياً بحياة الناس في كل زمان ومكان، فقد كانت محطات إعلامية آنذاك. وبعد الإسلام تقدّمت الخطابة على الشعر، فقد كان الرسول ﷺ يتحدث للمسلمين الأحاديث في كل مناسبة، والتي أصبحت سنّة، وكانت تشمل كل جديد، فأصبح الحديث النبوي وسيلة خبرية، وإعلامية موجّهة ومؤثّرة ومتميّزة، وكان الآذان وسيلة لجمع المسلمين للصلاة، وللظروف الطارئة والخرجة، فضلاً عن الغزوات والسرايا الحربية التي كان الرسول ﷺ يقوم بتنظيمها حال العدو، وإعلامه إنّ الدين الجديد له من القوة الحربية ما يستطيع بها المحافظة على نفسه في الداخل والخارج، ويضاف إلى ذلك مواسم الحجّ التي كانت ميداناً كبيراً للإعلام والدعاية للعقيدة الإسلامية^(١).

إنّ كلا من المرأة والرجل مسؤولان عن صيانة الأمّة، فهما متساويان في كل التكاليف، لكن بما يتناسب وقابليّاتهم الخلقية والنفسية، لذلك أوجب الجهاد على الرجال بالسلاح والقتال، وأوجب على الجميع قول الحقّ ونصرة المظلوم بالكلمة، لذلك كان جهاد المرأة بالكلمة تطبيقاً لقول الإمام الحسين عليه السلام: «ليس على النساء قتال»، فإنّه عليه السلام لم يقل ليس على النساء جهاد، لأنّ قابليّة المرأة الفسيولوجية والنفسية ليس القتل، لكن يمكن أن تجاهد بطرق عدّة، وبأكثر من أسلوب، وكلّ له نتائجه.

قد يكون الدور الإعلامي مقتصرًا على السيّدّة الزهراء عليها السلام، لكن تعدّدت الوسائل

(١) الإعلام في صدر الإسلام، ص ٢٠.

والآليات الإعلامية التي اتبعتها الزهراء عليها السلام في الدفاع عن حقها في فلك، وحق زوجها في الولاية، وأهمها: النشر الإعلامي، البيان الإعلامي، الشعر، المقاطعة، البكاء، بيت الأحرار، التعطيم الإعلامي^(١).

كان للزهراء عليها السلام حضور إعلامي في قلب الحدث، لأكثر من مناسبة، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يهتمش وجودها أبداً، بل كانت متواجدة في كل الأحداث، وقد لا نجد حدثاً مر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وغابت عنه الزهراء عليها السلام، ففي واقعة مباهلة الرسول صلى الله عليه وآله النصاري نجران، التي لم تكن حدثاً عادياً، وإنما كانت مواجهة للدفاع عن العقيدة الحقة، لذلك وثقها القرآن العظيم بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَبْهَأْكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِصَابَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ..﴾ (آل عمران: ٦١)، فلقد كانت عليها السلام المصداق الوحيد ل(نسائنا)، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام المصداق الوحيد ل(أنفسنا)، وكان الحسن والحسين عليهما السلام مصداق ل(أبنائنا)، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بيد علي والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام.

أما بالنسبة إلى النشر الإعلامي، قامت الزهراء عليها السلام بحملة إعلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولمدة ثلاثة أيام، تُعيد حادثة الغدير إلى أذهان المهاجرين والأنصار، فطافت على بيوتهم، بصحبة أمير المؤمنين عليه السلام، تسألهم حقها، ونصرة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أسلوب إعلامي قديم يسمّى المناداة، «والمناداة: هو أن يركب الراكب، ويطوف على الناس، مخبراً إياهم بالأحداث المهمة والقرارات الجديدة والتعليقات». أمّا البيان الإعلامي، فقد استخدمته عليها السلام، وذلك من خلال خطبتها، إذ تعدّ الخطبة من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال والتأثير على الناس في مشاعرهم، وإقناعهم بالأفكار الجديدة، وهو فن مخاطبة الجمهور، وكلما كان الخطيب بليغاً، كان تأثيره أقوى، وقد كانت خطبة الزهراء عليها السلام روعة في البلاغة، فلقد أرسلت رسالة إلى الحاضرين

(١) قراءة في السيرة الفاطمية، ص ٥٧٨.

والبعيد في باقي بلاد المسلمين، بل ولكل المسلمين على مدى الدهر، فأثرت في القوم، فبعد خطبتها ظلوا حيارى، لا ردّ لهم بعد أن أفحمتهم بحججها عليها السلام.

ولم يكن اختيارها عليها السلام بأن يكون الكلام مع أبي بكر سرّاً، وتناقش الأمر معه، بل إنّها اختارت التوقيت المناسب، وهو تحشّد وازدحام الناس، والمكان المناسب، وهو المسجد النبويّ، وكان وقت الخطبة مناسباً لا قصيراً ولا طويلاً، محافظة على ذهنيّة السامع؛ ليبقى متأثراً ومتفاعلاً. وكان لهيئتها وطريقة مشيتها التي تشبه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله عامل إضافي من العوامل أثرت في متلقّي الخطاب، ولم تدخل بمفردها، بل في لمة من النساء، وهذا يزيد في هيبتها، كذلك الحوار المفتوح مع أبي بكر، وأمام الناس، فهو استجواب قانوني صريح علنيّ، أعلنت زيف ادّعائهم بإلقاء الحجج عليهم، وما كان يكون صدّي الخطاب إلّا بشخصيّة بقوة شخصيّة الزّهاء عليها السلام، أمّا طريقة الإلقاء، فقد كان له «أثره، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنت أنّه، أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس»^(١). هذه المراسيم التي أعدتها عليها السلام قبل خطبتها، كانت عامل تهيئة لتقبّل كلماتها.

اشتملت الخطبة على مزايا منها التعريف بشخصها، وأنّها فاطمة، وأنّها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، واعتمادها الجمل القصيرة في الخطاب، ما يعطي فرصة للسامع للتفكير، ومراعاة أدب الحوار، فهي لم تقاطع أبا بكر في كلامه، فقد كان مضمون الخطاب صريحاً وقوياً، وكانت أجابتها مقنعة، استدلت بكتاب الله في محاججتها، وكانت تتمتع بالثقة وضبط النفس، لذلك كان حدثاً إعلامياً جليلاً أتى بشماره.

وأما الشعر، فهو أيضاً أحد الوسائل الإعلامية القديمة، فقد كان الشاعر هو الناطق الرسمي للقبيلة، لذلك اهتم أهل البيت عليهم السلام بدعم الشعراء الموالين لهم، في حين

(١) فاطمة الزّهاء عليها السلام المدرسة المثاليّة في الإسلام، ج ٢، ص ٥١٧.

بذلت السلطة الأموال الكثيرة لكسب ألسنة الشعراء الداعين إلى حكمهم، وعمومًا يكون الشعر أسهل حفظًا وأعظم أثرًا من النثر، وبخاصة أشعار الرثاء، فإن تأثيرها عميق، لذا كان الشعر له صدهاء السياسي والمعرفي والإعلامي والتربوي. وقد كان عاملاً من عوامل انطلاق الثورات، وبث الإرادة لدى الشعوب^(١)، وفي الوقت الحاضر تسعى الدول أن يكون نشيدها الوطني قصيدة حماسية تُلهب القلوب عند سماعها، وتثير فيهم حبّ الوطن.

لقد كان للزهراء عليها السلام دور إعلامي مميز لإيصال مظلوميّتها ومظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام، من خلال قصائدها التي كانت تبث فيها حزنها لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله، ورفضها للحكومة الغاصبة وبيان مظلوميّتها، وكانت تشد تحريك المشاعر لنصرة الإمام علي عليه السلام، فبعد خطبتها وما تضمّنت من بلاغة ومعاني عظيمة، أنشدت قصديتها، ومنها:

قد كان بعدك أنباء وهنيئة

لو كانت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها

واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا^(٢)

قالتها السيدة الزهراء عليها السلام بعد خطبتها، وما إنشادها الشعر إلّا ليكون أبلغ في النفوس، وليصل صدى صوتها إلى كلّ المدينة وخارج المدينة، بل لتخترق الزمان، ليصل لنا ونتمعّن فيه ونعتبر. ولها قصائد أخرى تناجي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكلمه بلوعة، منها:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى

إن كنت تسمع صرختي وندائيا

(١) قراءة في السيرة الفاطمية، ص ٥٣٧.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٩، ص ١٠٩.

صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبَ لَوَأَتْهَا

صُبَّتْ عَلَى الْإَيَّامِ صِرْنَ لِيَالِيَا^(١)

ثم انتهجت السيدة الزهراء أسلوبيين جديدين، هما إعلان مقاطعة ظالميهما، وتهيج النفوس والمشاعر، وهو البكاء على رسول الله ﷺ، بصفته الناصر والمحمي، فإن ظلم الزهراء وتكذيبها هو جحود بحق رسول الله ﷺ، فقد بكت رسول الله ﷺ كثيراً، لقد كان حزنها رسالياً وإعلاماً واضحاً أمام الناس كلهم؛ لاستمرار التذكير بالرسول ﷺ. ثم إن أهل المدينة ضجروا من بكاء الزهراء، فشكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا له قد تأذينا بكثرة بكاء الزهراء، واقترحوا إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فكان ردّها: «يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني بين أظهرهم، فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً، أو ألحق بأبي رسول الله ﷺ. فقال لها علي عليه السلام: «أفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك»^(٢)، ثم أنّه بنى لها بيت في البقيع بعيداً عن المدينة سمّي بيت الأحران، وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع، فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل، أقبل أمير المؤمنين فردّها إلى المنزل»^(٣)، وما بيت الأحران إلا دلالة على استمرار حزنها وغضبها على ظالميهما. وأخيراً التعقيم الإعلامي الذي مارسه من خلال دفنها سرّاً وإخفاء قبرها. عن ابن نباتة قال سئل أمير المؤمنين الله عن علّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله ليلاً؟ فقال عليه السلام: «إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها، وحرام على من تولّاهم أن يصليّ على أحد من ولدها»^(٤).

وقد اعتمد المخالفون سياسة الإعلام المظلل لتبرير استيلائهم على السلطة، ولتبرير الكثير من الممارسات اللاأخلاقية التي قاموا بها في اضطهادهم للكثير من المؤمنين

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٢٠٧.

(٢) الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ص ٤٤١.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، ج ٤٣، ص ١٧٨.

(٤) آمالي الصدوق، ص ٥٢٣.

الموالين، بل وحتى أمير المؤمنين عليه السلام، بغضب الخلافة والاعتداء عليه وعلى شريكته بنت خاتم الأنبياء والمرسلين، فور استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله.
الزهراء عليها السلام تمثل منعطفًا حساسًا ومهمًا في تاريخ البشرية، وأنها عليها السلام أول من وقف وبحزم ضد أي اعتداء وأي ظلم يمكن أن يقع، وهذا الظلم عندما أبعدها الإمام علي عليه السلام عن الخلافة وعن المنصب الذي جعله الله له، هذا الظلم الحقيقي، وهذا الظلم بعينه؛ لأن كل الآهات والآلام التي يعيشها المسلمون الآن هو بسبب أن القيادة الحقيقية لم تستلم زمام الأمور منذ البدء بعد رحيل الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله.

المطلب الثاني: مقاصد الشريعة عند الزهراء عليها السلام

توضح السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها فلسفة التشريع الاسلامي: ومن كلامها (سلام الله عليها) في مقاصد التشريع الإلهي، الله سبحانه وتعالى شرع تشريعات الهدف، منها تصاعد وتكامل الإنسان العامل بها إلى الدرجات العالية، فلو خلق الإنسان ثم أهمله عن التكليف، لصار حاله حال سائر الحيوانات، يجري وراء شهواته وأهوائه ويتسافل، لكن الله سبحانه وتعالى جعل له سلمًا للصعود والتكامل، وذلك عبر برنامج تشريعي من العبادات والمعاملات. هذا البرنامج التشريعي لم يأت عبثًا، وإنما كل تشريع وكل أمر ونهي، يهدف للوصول منه إلى غرض من الأغراض.. وكل أمر من الأوامر، وكل نهي من النواهي له غرض وغاية ومقصد يتعقبه^(١).

فمقاصد الشريعة: هي الأهداف التي تنظم هذه العلاقات الثلاث، التي يطلب من الإنسان المسلم أن يحققها.

وبتعبير آخر: مقاصد الشريعة، هي الأهداف العليا التي نظرت إليها الشريعة عندما سنت القوانين وأسست الأحكام وأصدرت التشريعات، فكل الأهداف العليا التي نظرت إليها الشريعة تسمى بمقاصد الشريعة، ومقاصد الشريعة لتنظيم العلاقات

(١) مقاصد التشريع الإسلامي في خطبة الزهراء عليها السلام: الشيخ فوزي السيف، ١٤٣٧ هـ / ٩ / ٢٤.



الثلاث، لكلّ إنسان ثلاث علاقات: علاقة مع الله، علاقة مع الطبيعة التي يعيش فيها، وعلاقة مع المجتمع الإنساني^(١).

فالشريعة هي التي تتضمّن أربعة أركان: عقيدة، قانون، حقوق، أخلاق.

ومقاصد الشريعة التي تعرّضت لها السيّدة الزّهراء في هذه الخطبة المباركة، هي:

١. العقيدة: هي الأصول، أصول الدين (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد).

٢. القانون: سواء كان قانون خاص، كالصلاة، أو كان قانون عام، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. الحقوق: وهو عبارة عن تقنين رابطة بين شخصين، فكلّ رابطة بين شخصيّة تسمّى حقّ، مثلاً من حقّ الزوجة على زوجها النفقة، فإذا نظرت إلى هذه الرابطة من طرف الزوجة تسمّيه حقّ؛ لأنّه حقّ للزوجة على الزوج، وإذا نظرت إليه من طرف الزوج، فهو قانون؛ لأنّه يجب على الزوج أن يضمن النفقة لزوجته.

٤. الأخلاق: هي المثل والقيم التي تُسهم في كمال شخصيّة الإنسان، ولذلك يفرّق بين الأخلاق وبين القانون، من أنّ القانون له لائحة جزائية، أمّا الأخلاق فهي مطلوبة، لكن لا توجد لائحة جزائية، مثلاً حسن التواضع خلق، وسوء التكبر خلق، لكن لا يوجد لائحة جزائية لمن تواضع أو لمن تكبر، حسن الظنّ خلق حسن، وسوء الظنّ خلق ذميم، لكن لا توجد لائحة جزائية قبال من

(١) التراث الفكريّ في الخطبة الفاطمية: السيّد منير الحُبّاز، مسجد الحمزة بن عبد المطلب، سيّات،

١٤٤٣/٥/١ هـ.



أساء الظنّ، فالأخلاق هي القيم المثلّ التي ليس بإزائها لائحة جزائيّة، بينما القوانين قبلها لائحة جزائيّة.

فكلّ منظومة تتكوّن من هذه الأركان الأربعة - العقيدة والقانون والحقوق والأخلاق - تسمّى الشريعة^(١).

وسوف نبحث في العقيدة، ونشير إلى أمر مهم يجب أن ننصاع إليه في العقيدة الإسلاميّة، وهو الإمامة التي من أجلها جاهدت الزّهراء (سلام الله عليها) بقولها: «وطاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً من الفرقة»؛ لو أنّ المسلمين أقاموا هذا النظام واتبعوا هذا الإمام الذي جعله رسول الله صلّى الله عليه وآله بمقتضى حديث الثّقين: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما أن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله تعالى، وعترتي أهل بيتي...»^(٢).

ف(الفرقة) والاحتراب والتشرذم ضلال بلا اشكال، لماذا؟ لأنّ الثّقين ليسا هما القائدان للناس، وإنّما القادة هم غير ذلك، فمتى ما صارت إمامة أهل البيت عليهم السلام التي هي الثقل الآخر للناس، تكون أماناً من الفرقة والتشرذم والضلال^(٣).

«والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر»^(٤). كشفت (سلام الله عليها) أهميّة الجهاد في الإسلام، وأعطته الصبغة الفكرية بما رآته عزّاً للإسلام، وكأنّه يمثّل القوة والعظمة، تعزّز الإنسانيّة وتصون كرامته.

ومن يريد أن يستوجب الأجر ويصل إليه، لا بدّ له من الصبر على ما يواجهه، فهذا الأمر لا يحتاج إلى صرف أشياء كثيرة. هناك بعض الأمور لكي تحصل فيها على الثواب، تحتاج إلى معاناة، فالحجّ يحتاج إلى سفر، الجهاد يحتاج إلى أن تبذل شيئاً كثيراً من بدنك.

(١) التراث الفكريّ في الخطبة الفاطميّة.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٣، ص ١٣٣.

(٣) مقاصد التشريع الإسلاميّ في خطبة الزّهراء عليها السلام، الشيخ فوزي السيف، ٢٤ / ٩ / ١٤٣٧ هـ.

(٤) الموسوعة الفقهيّة الميسرة، الشيخ محمّد عليّ الأنصاري، ج ١، ص ٢٩.





أمّا الشيء الذي تريده ولا يحتاج إلى صرف، وتريد عليه الأجر الكثير، فهو الصبر على ما تلاقي، الصبر على المصائب التي تأتي إليك، وهذا لا يحتاج إلّا إلى موقف نفسيّ، يحتاج إلى صمود وتجلّد وإلى احتساب، أن تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل. تحتسب عند الله سبحانه وتعالى، وتصبر على ما أصابك. فيماذا بلغ أيوب ما بلغ؟ بلغ بما تشير إليه الآية المباركة: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣). من أبدع الاساليب التي يلاحظها الدعاء هنا هو هذا الأسلوب. فتأمل في هذه الآية، إنّه لم يقل له يحتاج إلى شيء، حالي هكذا أنا مسني الضرّ يارب، ولا أقول لك افعل شيء، لكن أنت أرحم الراحمين.

هذا التعريض الذي يكون بهذا الشكل من أفضل أنحاء الأدب مع الله سبحانه وتعالى. بحسب التعبير التكليف عليك، وانت تحدّد ما الذي ينبغي أن يصنع، فبلغ ما بلغ بصبره، بلغ الأجر، والصبر استيجاب للأجر سواء كان صبر على المصيبة، أو صبر على الطاعة، أو صبر عن المعصية، هذا كلّه يستوجب للإنسان ويعطيه الأجر. هذه وأمثالها من مقاصد هذا التشريع، الغرض والغاية من هذه التشريعات أن يرتقي الإنسان في مدارج الكمال درجة بعد درجة^(١).

إذا أردنا أن نتحدّث عن آلام الزهراء عليها السلام، نجدها آلاماً كبيرة جداً، من الناحية الروحيّة والمعنويّة في عواطفها ومشاعرها، وكذلك من الناحية الماديّة وما جرى على بدنها.

فهي تبكي أعزّ الناس عندها وعند الناس وعند الله، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كانت مصيبتة أعظم مصيبة، بحيث كان أهل البيت عليهم السلام يتسلّون بها عندما يصابون بأعظم المصائب، فتسلّى بها الإمام الحسن والحسين عليهما السلام عندما أصيبوا بأيّهم الإمام علي عليه السلام^(٢).

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمّد عليّ الأنصاري، ج ١، ص ٢٩.

(٢) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٢٢٠-٢٢٢، حديث ١-٣.



فهي تريد أن تبكي على أبيها ومولاها وحبيبها ونبئها وإمامها وسيدها، وهذا ضغط عظيم جداً على مشاعر الإنسان وعواطفه، لكنّها واجهت الاستقامة في هذه الضغوط والمحن والآلام فصبرت عليها، ولكن صبرت مع الاستقامة في الموقف، فلم تستسلم أو تتراجع، ومعنى الصبر أن يستمرّ أو يتحمّل كلّ ما يواجهه من آلام.



المبحث الثاني

المعارضة والإصلاح في فكر الزهراء عليها السلام

ليس من الخفي على عامة المسلمين، والمؤمنين خاصة، من الفساد والإفساد في ميادين الحياة، بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مباشرة، فلا بد من وجود حاجة ملحة للإصلاح، ومعارضة الطرف الفاسد، ولا يوجد طريق أفضل من اتباع طريق الأنبياء والأولياء بهذا الخصوص؛ لأنه طريق الحق، وتطبيق رسالة السماء، حيث قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (سورة البقرة: ٢١٣).

فالسيدة الزهراء تمثل أفضل قدوة لمن يحمل راية الإصلاح، من الرجال والنساء، وليس لخصوص النساء، والمطالبة بالحق والعدل والحقوق، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧)، ومارست الحرية الفكرية بالتصدي والوقوف في وجه الظالم المستبد، ومعارضة سياسته، والاستعداد لتقديم التضحيات في سبيل الحق، وهذا ناتج عن عمق إيمانها، متمسكة بالرسالة المحمدية، فقد رفعت أول شعار للمعارضة في التاريخ الإسلامي، والمطالبة بالحقوق.

لقد خاضت الزهراء عليها السلام بمرأى ومسمع الإمام المعصوم، إمام زمانها وبعليها علي ابن أبي طالب عليه السلام، بل بإذنه؛ سبيلاً معتدلاً في الجهاد جهاد بالمعنى الأعم، وهو الدفاع الحقوقي لإقامة دين الله، الدين المحمدي الحنيف، حيث انتهجت منهج من الجهاد

السلمي الذي سوف نشير إليه عبر مطلبين:

المطلب الأول: المواقف الجهادية للسيدة الزهراء عليها السلام العهد المكي أولاً: في مكة (قبل الهجرة النبوية)

شهدت فاطمة عليها السلام فترة صراع الدعوة في مكة، ومحنة أبيها الذي حاربه الأقربون والأبعدون، عندما كان في بداية التحدي والمواجهة مع قريش.

١. عندما تدخل المسجد الحرام، وترى أباه جالساً في حجر إسماعيل يتلو القرآن، وترى بعض المشركين يوصلون إليه جميع أنواع الأذى، وفي يوم آخر تشاهد أحد المشركين، وهو يُفرغ سلا الناقة (هو الكيس الذي يتكوّن به الجنين) على ظهر أبيها الرسول صلّى الله عليه وآله، وهو ساجد، وتراه وهو يعود إلى بيته، وقد لطّخ التراب وجهه ورأسه من ضربات المشركين، فتقوم لتنفض التراب عن رأسه ووجهه الكريم وهي تبكي وتتألم لجرأة هؤلاء الجاهلين الطغاة على رجل يريد أن يُخرجهم من الظلمات إلى النور، والرسول صلّى الله عليه وآله يرى حالة ابنته، فيتأثر من مواقفها^(١)، ويخاطبها قائلاً: «لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته»^(٢)، وفي كتاب دلائل النبوة «وجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع ذلك، قال عبد الله: فما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا عليهم إلا يومئذ، فقال: «اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة.. قال عبد الله: ولقد رأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب، أو قال: في بئر، غير أن أُمّية بن خلف، أو أبي بن خلف، كان رجلاً بادنًا، فقطع قبل أن يبلغ البئر، أخرجه البخاري في

(١) دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام، الشيخ خليل رزق، بلاط، ص ٩٩.

(٢) سيرة المصطفى: السيد الحسني، ص ٢٠٥، وراجع: تاريخ الطبري، ج ١ ص ٤٢٦.



الصحيح»^(١). وهذا يدلُّ على شجاعة الزَّهراء عليها السلام في وقوفها بوجه كبار المشركين، ممَّا يدلُّ على صلابة العقيدة والإيمان الراسخ بالرسول والرسالة المحمَّديّة.

٢. اشتركت فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الجهاد في سبيل الله بالمعنى الأعم كما أسلفنا أي الجهاد الذي كان عليها، مثل الجهاد في الشعب، حيث حُصرَ المشركون الرسول صلى الله عليه وآله وأهله في شعب أبي طالب عليه السلام ثلاث سنوات، وكان دورها عليها السلام الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومشاركته الحصار الذي فرضته قريش على المسلمين والهاشميين، وبثَّ روح الصبر بعد فقد السيِّدة خديجة عليها السلام، وذلك من أعظم الجهاد، من خلال الصبر وتحمُّل قساوة العيش والأذى.. وغيرها.

ثانيًا: الهجرة من مكّة إلى المدينة

أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام عليًّا عليه السلام أن يبيت في فراشه تلك التي عُرفت ببلية المبيت، وأوصاه أن يردَّ الأمانات إلى أهلها، ويسدّد الديون التي كانت مودعة عليه، ثمَّ أمره أن يلتحق به ويصطحب معه أهل بيته، بمن فيهم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

بقيت الزَّهراء عليها السلام، وهي تتوقَّع هجوم الأعداء على دارها في كلّ ساعة، وتسمع هتافات الكفر والإلحاد ضدَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله^(٢). ورسول الله ينتظر على مشارف المدينة، وهو يأبى دخولها، بانتظار الركب النبويّ الذي يقوده عليٌّ عليه السلام، وهو يقول لأصحابه: «ما أنا بداخلها، حتّى يقدم ابن عمِّي وابنتي»^(٣).

قضى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليلته تلك مع الفواطم، يذكرون الله قيامًا

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) السيّد علاء حسين آل طعمة، السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، القسم الأوّل، من الولادة إلى فقد أبيها عليه السلام، ط ١، كربلاء، العراق، مدرسة دار العلم للعلوم الدنيّة، ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٩ م.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٨.

وقعوداً، ثم سار حتى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ.. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾. وقد ذهب الطوسي وابن شهر آشوب إلى أن المقصود في الذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والأثنى السيدة فاطمة عليها السلام. إن هذه الآية الشريفة ترسم إحدى أهم المحطات الرئيسة في حياة السيدة فاطمة عليها السلام، ذات المنهج الحركي الذي طرزت ملامحه منذ البدايات الأولى على التعرُّض للصَّعاب، والسير في المنهج الإلهي والمحمدي^(١).

المطلب الثاني: المواقف الجهادية والسياسية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في العهد المدني

العهد المدني: بدوره ينقسم إلى قسمين: الأول: في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، والثاني: بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله.

أولاً: المواقف الجهادية للسيدة الزهراء عليها السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله
امتدَّت هذه الفترة قرابة سنوات، واكبت الزهراء عليها السلام كلَّ تحركات النبي صلى الله عليه وآله، ووقفت إلى جانبه، واستطاعت أن تملأ الفراغ الذي تركته والدتها خديجة عليها السلام، فكانت الزهراء عليها السلام الأم وال بنت والمؤازرة والمجاهدة، ولم تترك النبي صلى الله عليه وآله في المواجهات العسكرية، وهي تشدُّ أزره، وسنعرض المواقف الجهادية (العسكرية) التي أسهمت فاطمة الزهراء عليها السلام بمعارضة المشركين والمنافقين، والوقوف بكلِّ شجاعة من أجل ترسيخ معالم الدين الإسلامي المقدس، ومن أبرزها:

(١) المواقف الجهادية والسياسية في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام، الشيخ الدكتور نادر العقيلي، مركز الدراسات الفاطمية، البصرة.

١. السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام في معركة أحد:

شعرت السيّدة الزّهراء عليها السلام أنّ قريشاً عازمة على الانتقام من النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وكان الحقد والكرهية لرسول الله صلى الله عليه وآله قد استولى عليها بعد هزيمتها المنكرة في معركة بدر الكبرى كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد أباح خروج المرأة إلى الجهاد كي تقدّم خدماتها في التمريض، وتداوي الجرحى ضمن الحدود التي شرّعها الله تعالى، كما تعين المجاهدين على المضي قدماً في قتال أعداء الله، وأباح لها إعداد الطعام وإيصاله مع الماء إلى المجاهدين، كانت (سلام الله عليها) حاضره مع أبيها، وشاهدت ما مُني به المسلمون من الهزيمة التي كادت أن تطوي معالم الإسلام، لولا جهاد الإمام علي عليه السلام، وذلك لمخالفتهم أمر نبيّهم، وصلت أرض المعركة مع عمّة الرسول صفية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد جرح وكسرت ربايعيته.. فعندما نظرت عليها السلام إلى جراح جبهة الرسول والدماء المتخثرة على وجهه الطاهر ولحيته الشريفة، فصاحت وجعلت تمسح الدّم وتقول: «اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله»^(١)، فغسلت الدماء على عن وجه أبيها، وكان عليّ يصب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، عمدت إلى قطعة حصيرة وأحرقتها، وجعلت رمادها ضامداً على جبهة أبيها والزمته الجرح، فاستمسك الدم».

من هنا نردّ على السؤال الذي ورد في مشكلة البحث، بمشروعية الجهاد بالنسبة للمرأة بإذن الرسول صلى الله عليه وآله، فقد قامت عليها السلام بتضميد جراح أبيها بعد انتهاء القتال، وساهمت عليها السلام أيضاً في قصّة أحد، حينما جاءت إلى جسد عمّها حمزة عليه السلام الذي قُتل في أحد، وخرجت مع أبيها وبعلمها في فتح مكّة، وقد صُرب للنبي صلى الله عليه وآله خباء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل، وكانت فاطمة عليها السلام تستره، وقيل: أمرها فسكبت له غسلاً فاغتسل^(٢).

(١) فاطمة الزّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، القزويني، ص ١٠٥.

(٢) أنظر: الأسرار الفاطمية، ج ١، ص ٤٩٢، وصحيح البخاري، ج ١، كتاب الوضوء، باب غسل =



٢. معركة الأحزاب:

في حادثة حفر الخندق المعروفة، اشترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه في أعمال الحفر، مشاركاً المسلمين همومهم وآلامهم، كما كان له دور المؤثر في تنشيط الآخرين، ودفعهم للعمل السريع والاجتهاد فيه، وفي أثناء العمل الشاق، زارت السيدة الزهراء عليها السلام أباهما صلى الله عليه وآله وسلم، وشاهدته منهنهما مع أصحابه في حفر الخندق؛ لتحصين المدينة وحماية الإسلام، تُقبل على أبيها بكسرة من الخبز، بعد أن بقي أياماً بلا طعام، فجاء في ذخائر العقبي: روي عن علي عليه السلام في حفر الخندق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن فاطمة عليها السلام جاءت إليه بكسرة من خبز، فرفعتها إليه، فقال: «ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لإبني [لابنتي]»^(١)، جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنية أما أنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث»^(٢).

إن حضور السيدة فاطمة عليها السلام ما قبل الاشتباك المباشرة في معركة الأحزاب يعدّ نصراً للإسلام والمسلمين، لما تمثله السيدة فاطمة عليها السلام من أهمية ومكانة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك شاركت عليها السلام مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، وكانت معه، في تلك السفرة، كما ساهمت عليها السلام في حادثة غدير خم المعروفة للجميع، حيث كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: المواقف الجهادية والسياسية بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

انتهجت السيدة فاطمة عليها السلام بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عدداً من الأساليب لمواجهة الظلم والاستبداد؛ لإصلاح الفساد والوقوف بوجه السلطة والحكومة

= المرأة أباهما الدم عن وجهه، وج ٤، كتاب فضل الجهاد باب لبس البيضة، وصحيح مسلم، ج ٥ باب غزوة أحد.

(١) الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص ٣٦٠.

(٢) ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى: محب الدين الطبري، ص ٤٧.

الجائرة آنذاك، لتؤسس منهجاً جديداً على المجتمع الإسلاميّ (منهج المعارضة)، وإيجاد روح المقاومة لدى المسلمين، وهي أوّل معارضة سياسية في الإسلام، والعمل السياسيّ «هو الذي يكون موقفاً ضدّ حكم معيّن، لمصلحة حكم معيّن، للاحتجاج على واقع معيّن، للمطالبة بمطلب معيّن»^(١)، وعليه أنّ رسول الله ﷺ بذل كلّ جهده من أجل أن ينصبّ عليّاً عليه السلام خليفة في الواقع، لا من جهة بيان الحكم التشريعيّ بين المسلمين، وإلّا فهذا الأمر بينه منذ أن التقى بعشيرته ودعاهم إلى الإسلام، فقال هناك في عليّ عليه السلام: «فأنت أخي ووصيي وخليفتي على أهلي في حياتي وبعد موتي»^(٢)، وبذلك تمكّنت من كشف الحقيقة وتثبيتها للإصلاح وتصحيح المسيرة على النهج المحمّدي القويم.

قبل الخوض في موقف الزهراء عليها السلام بالمطالبة بالحقوق، ربّما يتبادر لدينا سؤال: هل يُعقل أن تطالب امرأة (السيدة الزهراء عليها السلام) بحق الإمام عليّ عليه السلام، والتصديّ لذلك في خطبتها بالمسجد، وهو الخطيب الذي لا يباريه خطيب، وهو صاحب نهج البلاغة؟.

الجواب: لقد أريد للقضية أن يكون فيها تصدّد ومقاومة، ولكن دون استخدام السلاح والقتال، وهذا الأمر لم يكن يتحقّق إلّا بحركة الزهراء عليها السلام، ولو أراد الإمام عليّ عليه السلام أن يقوم بمثل هذا التحرك لكان من الممكن أن يستغلّه من قبل النظام والخليفة المزعوم ضدّ عليّ عليه السلام، ويكون مبرراً لقتله عليه السلام، وقد أمر أن يكون موقفه عند هذا الحدّ، أي أن يرفض البيعة، ويسجّل موقف الرفض لها، وواجهه المشخصّ بالتحديد من قبل رسول الله ﷺ قبل وفاته كان محدّداً في أن يبرز موقف الرفض من الخلافة الجديدة

(١) فاطمة والمعارضة السياسية، الشيخ محمّد الربيعي، بواسطة جعفر الموسويّ، مقالات، وكالة الراصد نيوز.

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ابن أبي الفتح الأربليّ، ج ٢، ص ٢١.

والوضع السياسي الجديد، وهنا قام عليه السلام بواجبه بهذا الشأن، فرفض البيعة منذ البداية، رغم أنه عليه السلام هُدد بالقتل وإحراق الدار عليه؛ لكنه مع ذلك كان صلباً، ولم يتنازل عن هذا الموقف، وبقي مصرّاً عليه إلى النفس الأخير، وهذا ما كان معروفاً في التاريخ بما يسمّى (الوصية)، وهي أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى الإمام علياً عليه السلام أن لا يتحرّك، ولا يكون له ردّ فعل^(١). وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله عليه السلام: «لقد علمتم أنني أحقُّ بها من غيري، ووالله لأسلمنَّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا على خاصّة»^(٢).

أمّا دور الزهراء عليها السلام الرساليّ، فقد وقفت وطالبت بحق الإمام علي عليه السلام، بعد أن نكثوا البيعة وخالفوا وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يحترموا عزاءه، ولم يجهر عليها السلام بعد، حتّى بدأ الصراع على السلطة، فتصدّت لأصعب دور عرفته البشرية، دفعت ثمنه حياتها المباركة، وأذيت وهتكت حرمتها وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحرق بابها، وكُسِر ضلعها، وأُسقط جنينها، فخرجت بكلّ هيبة وشجاعة، لا تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، تتابع القضية إلى المسجد، وتصرّ على هذا الموقف؛ لتبيان مقاصد الشريعة الإسلامية للمجتمع الإسلاميّ، عبر خطابها الخالد، ومن المواقف التي تصدّت لها، والتي انتهجتها (سلام الله عليها):

الدفاع عن الإمامة:

تُبرز الزهراء عليها السلام مفهوماً إسلامياً، وهو المفهوم السياسيّ الإسلاميّ الذي يُبنى على أساسه الكيان الدوليّ والإداريّ لهذه الأمة، وأبرزت بجانبه المفهوم (الشريعيّ والتطبيقيّ). وعبرّت الزهراء عليها السلام عن الجانب الأوّل: (عنصر التشريع) بقولها: «وطاعتنا نظاماً للملّة»؛ للإشارة إلى وجوب الخضوع والانصياع للأئمّة عليهم السلام؛ لما أكّد على هذا الأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ تعرج في خطابها على إمامة الإمام العادل المنصب من

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام، السيّد محمّد باقر الحكيم رحمته الله، ط ٢، ص ١٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٦٦.



قبل الله تعالى «وإمامتنا أماناً من الفرقة»، وعلة هذا الفرض تتجلى في تخلص الأئمة من شبح التمزق والتخريب والانقسامات المصلحية؛ لأنّ الزهراء عليها السلام قد لفتت في كلامها إلى أهمية المسألة وحساسيتها، حين لخصت ذلك بقولها عليها السلام: «إنّ إمامة أهل البيت عليهم السلام ابتعاد عن الفرقة والاختلاف على الصعيدين السياسي والديني، فأعلنت أنّ طاعة أهل البيت عليهم السلام تحفظ الشرع المقدس من كلّ اختلاف أو تصدع. وعليه نستشف من خطبتها عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار، بالاعتراض على القوم والتوبيخ عن انحرافهم عن أمير المؤمنين عليه السلام بقولها: «وَيُحِبُّهُمْ أَنَّى رَحَزْ حَوْهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ وَقَوَاعِدِ النُّبُوَّةِ وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ وَالطِّينِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ؟! أَلَا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»، ثم تصف الإمام علياً عليه السلام بمجموعة من الصفات «وَمَا نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟ نَقَمُوا وَالله مِنْهُ نَكِيرٌ سَيْفِهِ، وَشِدَّةٌ وَطَائِهٍ وَنَكَالٌ وَقَعْتِهِ وَتَنْمُرُهُ فِي ذَاتِ اللهِ ﷻ..» ﴿يَسْأَلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٠)، بس ذلك البديل الذي أخذتم به بدل القرآن، وهو الحكم الباطل^(١).

فدك الزهراء:

«وهنا تجيء مسألة فدك لتحتل الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإنّ الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوة خطوطه بإتقان، كان متفقاً مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته، وجديراً بأن يقلب الموقف على الخليفة، وينهي خلافة الصديق كما تنهى القصة التمثيلية، لا كما يقوِّض حكمٌ مركّز على القوة والعدة»^(٢).

«وكان الدور الفاطمي يتلخص في أن تطالب الصديقة الزهراء عليها السلام أبا بكر بما انتزعه منها من أموال، وتجعل هذه المطالبة وسيلةً للمناقشة في المسألة الأساسية، وهي مسألة الخلافة، وإفهام الناس بأن اللحظة التي عدلوا فيها عن علي عليه السلام إلى أبي بكر كانت

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ص ٢٩٨.

(٢) فدك في التاريخ، السيّد محمّد باقر الصدر رحمته الله، ص ١١٣.

لحظة هوس وشذوذ^(١)، وأنهم بذلك أخطأوا وخالفوا كتاب ربهم، ووردوا غير شربهم^(٢).

وفي خطبتها عليها السلام: «أيُّها المسلمون أأغلب على إرثي؟! يا بن أبي قحافة: أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلی عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾، وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ يقول: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.. وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟! أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!.. فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة^(٣).

«وقد توفرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لا تتهيئان للإمام فيما لو وقف موقف قريبته: (إحداهما) أن الزهراء أقدر منه بطروف فجيعتها الخاصة، ومكانتها من أبيها، على استشارة العواطف، وإيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه وآياته الغراء، وتجنيذ مشاعرهم لقضايا أهل البيت عليهم السلام. (والأخرى) أنها مهما اتخذت لمنازعتها من أشكال، فلن تكتسب لون الحرب المسلحة التي تتطلب زعيماً يهيمن عليها ما دامت امرأة.. فالخوراء بمقاومتها إمّا أن تحقق انتفاضاً جماعياً على الخليفة، وإمّا أن لا تخرج عن دائرة الجدال والنزاع، ولا تجرّ إلى فتنة وانشقاق.. حيث

(١) أنظر: بلاغات النساء، ص ٢٥

(٢) فذلك في التاريخ، السيّد محمد باقر الصدر رحمته الله، ص ١١٣. جاء في شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢/٦: قال علي عليه السلام في محاورة مع القوم: «يا معشر المهاجرين، الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقُّ بهذا الأمر منكم..».

(٣) أنظر: فاطمة الزهراء عليها السلام المدرسة المثالية في الإسلام، ج ٢، ص ٥٣٥-٥٣٧.



عبرت الزَّهراء صلوات الله عليها عن الحقِّ العلويِّ تعبيرًا واضحًا، فيه ألوان من الجمال والنضال^(١).

وتتلخَّص المعارضة الفاطمية في عدَّة مظاهر: (الأوَّل) إرسالها لرسول^(٢) ينازع أبا بكر في مسائل الميراث، ويطالب بحقوقها، وهذه هي الخطوة الأولى التي انتهجتها الزَّهراء صلوات الله عليها، تمهيدًا لمباشرتها للعمل بنفسها. (الثاني) مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاص^(٣)، وقد أرادت بتلك المقابلة أن تشتدَّ في طلب حقوقها من الخمس وفدك وغيرهما؛ لتعرف مدى استعداد الخليفة للمقاومة^(٤).

الهدف من المطالبة بفدك:

أولًا: إن فدكًا كانت تمثِّل قدرة وقوَّة ماليَّة مهمَّة.

ثانيًا: إنَّها تثبت لهذه الأسرة وهذا البيت والآل حقًّا يختلف عن حقوق الآخرين، فأراد القوم أن ينسخوا هذا الحقَّ كما نسخوه في الخمس^(٥)، ومن جهة أخرى، بيَّنت مشروعيَّة المطالبة بالحقوق.

البكاء والمقاطعة:

لقد انتهجت السيِّدة الزَّهراء البتول عليها السلام أسلوبًا آخر، وهو البكاء والمقاطعة لبيان غضبها ممَّنْ غصب حقَّها وحقَّ أهل البيت عليهم السلام، لم ينته موقف الزَّهراء بخطبتها أو مطالبتها بحقِّها بأكثر من فرصة، بل تصدَّت لدورها بأكثر من طريقة، ومن الطرق التي

(١) فدك في التاريخ، السيِّد محمَّد باقر الصدر رحمته الله، ص ١١٤-١١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢١٨-٢١٩، عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟ قال: بل أهله..».

(٣) المصدر السابق، ج ١٦، ص ٢٣٠.

(٤) فدك في التاريخ، ص ١١٥.

(٥) فاطمة الزَّهراء عليها السلام، السيِّد محمَّد باقر الحكيم رحمته الله، ط ٢، ص ١٧٦، الشريعة، قم، ١٤٢٥ هـ/



تحمد في المرأة هو أسلوب الدمعة والبكاء، وإعلان الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومقاطعتها لرجال الحكومة ورفضها لهم، وعتابها الشديد لنساء الأنصار والمهاجرين، وإعلان عدم رضاها من رجالهنّ عندما زُرنها في مرضها، في خطبتها الثانية، كما أسلفنا سابقاً، فقد بيّنت انحراف الأمّة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وبيّنت مشروعيّته وأهليّته لقيادة الأمّة، ولمّا بلّغن النساء رجالهنّ، وجاء الرجال للاعتذار منها، لم تقبل منهم، وأعلنت تقصيرهم في حقّها وحقّ إمامها، فقالوا: «يا بنت محمّد لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعليّ أحدًا. فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذرًا؟»^(١)، لكنّها أبت إلا أن ترفض اعتذارهم انكارًا لموقفهم من حكومتهم.

والبخاري الذي ينتقي الأحاديث ويدقّق فيها ويجهّد في إخفاء ما من شأنه إظهار حقّ أهل البيت عليهم السلام، ومظلوميّتهم، لا يمكنه أن يتجاوز هذه الحقيقة، وهي أنّ القوم أغضبوا الزهراء عليها السلام^(٢)، ويروي في موضوع غضب الزهراء عليها السلام، أنّ من أغضبها أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الموقف من البخاريّ يدلّ على أنّ هذه القضية ثابتة تاريخياً، ولا يمكنه تجاوزها.

الهدف من البكاء:

١. شدّ المسلمين آنذاك للنبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّته ونهجه الإلهيّ القويم، وإعادة الأمّة لمسارها الروحيّ الذي كانت عليه زمن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٢. المعارضة السياسيّة السليمة التي اغتصبت الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣. تريد الزهراء عليها السلام تذكير المسلمين وتنبيههم لوجود هذه الحقيقة، وهذا الظلم والمحنة والتجاوز على الحقوق، فالقضية ليست مجرد بكاء، وإن كان هذا الأمل على رسول الله صلى الله عليه وآله موجود في نفس الزهراء عليها السلام.

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) البخاريّ، ج ٦، ص ٢٤٧٤، «... فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتّى ماتت».

إخفاء قبر الزّهراء عليها السلام:

عندما شاع خبر مرضها عليها السلام، أقبل أبو بكر وعمر بن الخطّاب إلى بيتها معتردين، نادمين على ما صنعا معها، فأبت أن تأذن لهما بالدخول، وأصرّت على موقفها، فاستجارا بالإمام عليّ، ورغبا إليه في أن يدخلها عليهما عائدين، فعرض عليهما طلبها فلم تردّ طلبه، فدخلوا وسلّموا عليها، فلم تردّ وأشاحت بوجهها عنهما، ولم تسمح لهما بالحديث معها. وبعد إلحاح منهما بالحديث، التفتت إليهما وقالت: «نشدتكم الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخطها من سخطي، ومن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أسخطها فقد أسخطني؟ فقالا: أجل لقد سمعناه يقول ذلك.

فرفعت عند ذلك كفيها نحو السماء، وقالت: إني أشهد الله وملائكته ورسله أنّكم أسخطتماني، ولئن لقيت رسول الله لأشكوكم إليه.. ولمّا أحسّت بدنو أجلها، استدعت أمير المؤمنين عليه السلام فأوصته وصيّتها، وألحّت عليه أن يوارى جثمانها في غسق الليل، وأن لا يحضر جنازتها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقّها، وأن يعفي موضع قبرها، وعمل الإمام عليه السلام بالوصيّة^(١).

غايتها: من أجل أن تتّضح مظلوميّة الزّهراء عليها السلام، وموقفها من الحكم في ذلك الوقت، فكانت الخلافة تعمل على إخفاء المواقف، وتهذئة الخواطر العامّة التي كانت تتحرّس من موقف الزّهراء ثانياً.

خاتمة البحث ونتائجه

بحمد الله تعالى ومنه علينا، تمكّنّا من إتمام البحث، ونسأله سبحانه أن نكون قد وفّقنا في كشف الحقائق في بيان (معالم الفكر السياسي ومقاصدها عند الزّهراء عليها السلام)، من خلال معارضة الزّهراء عليها السلام الجهاديّة، وإظهار الحقّ، وإصلاح المفاصل التي حدثت بعد

(١) دروس في سيرة النبي والأئمّة الأطهار، الشيخ خليل رزق، ص ١٠٧-١٠٨.

استشهاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وتوصلنا إلى النتائج الآتية:

١. جهاد الزهراء عليها السلام كان يتسم بالثبات والاستقرار والاستقامة الكاملة، رغم الظلم الذي وقع عليها، دون تزلزل في الموقف والاستمرار عليه حتى النهاية، فالجهاد يعبر عن رؤية لهدف معين وواقع سياسي، وهو موقف تجاه هذا الواقع من أجل تغييره.
٢. إن الانتفاضة والثورة التي أقيمت ببركة الحراك الفاطمي ليست انتفاضة على خليفة مسلمين مزعوم، وليس مطالبة بإرث، وهي الزاهدة عن الدنيا، وإنما ردة عن الإسلام وعن الدين والتصدي لأحكام الشريعة، وإن اهتمام الزهراء عليها السلام بقضية فذك؛ لارتباطها بالخلافة والإمامة للإمام المعصوم علي عليه السلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بينت مشروعية المطالبة بالحقوق، من خلال مطالبتها بفدك.
٣. الكشف عن حقيقة الظالمين، وفضح مقاصدهم أمام جمهور المسلمين، وانقلابهم واستيلائهم على الخلافة المنصوصة من قبل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.
٤. انتهجت السيدة الزهراء عليها السلام عدة أساليب في إثبات الحق، منها سياسة الإعلام، وقد اعتمد المخالفون سياسة الإعلام المظلل لتبرير استيلائهم على السلطة، وتمكّنت من خلال حركتها أن تثبت الحقيقة في تأريخنا الإسلامي، فلولا موقفها من الممكن أن تزور هذه الحقيقة، بحيث تصبح مجهولة، واستخدامها التعقيم الإعلامي بإخفاء قبرها؛ ليبقى شاهد مظلوميّتها على مرّ الزمان.
٥. كان حزنها رسالياً وإعلاماً واضحاً أمام كلّ الناس، وذلك لاستمرار التذكير بالرسول صلى الله عليه وآله.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



مصادر البحث ومراجعته

* القرآن الكريم.

١. الأسرار الفاطمية: محمّد فاضل المسعودي، مؤسّسة الأنوار الفاطمية، ط ٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢. أصول الكافي: الكليني، محمّد بن يعقوب، المكتبة الشيعة الإلكترونية.

٣. الإعلام في صدر الإسلام: ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م.

٤. آمالي الصدوق: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ، الصدوق (ت ٣٨١هـ)، ط ١، قم المقدّسة، مؤسّسة البعثة، ١٤١٧هـ.

٥. بحار الأنوار: المجلسي، محمّد باقر (ت ١١١هـ)، ط ١، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦. بلاغات النساء: أبو محمّد بن طيفور البغداديّ (ت ٣٨٠هـ)، مكتبة بصيرتين، قم.

٧. تاريخ الطبري: محمّد بن جرير الطبري (ت ٩٢٣م)، دار الفكر، بيروت.

٨. الحركات الإسلامية: مطهري مرتضى، ترجمة صادق العبادي، ط ١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ق ٢٠٠١م.

٩. الخصال: الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر غفاريّ، ط ١، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٠. دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام، الشيخ خليل رزق.

١١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ).



١٢. السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر.
١٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، المكتبة الشيعية.
١٤. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤هـ/ ٢٥٦هـ)، (حديث رقم: ٣٧١٤).
١٥. فاطمة الزهراء عليها السلام، السيد محمد باقر الحكيم، الشريعة، قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١٦. فاطمة الزهراء عليها السلام المدرسة المثالية في الإسلام: الشيخ محمد لايش العلياوي، ط ١، قم المقدسة، إيران، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.
١٧. فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: محمد كاظم القزويني، ط. بلا، الغدير، كربلاء، العراق، ١٣٩٢هـ.
١٨. فاطمة والمعارضة السياسية: الشيخ محمد الربيعي، بواسطة جعفر الموسوي، مقالات، وكالة الراصد نيوز، ديسمبر، ٢٧، ٢٠٢٢م.
١٩. فذك في التاريخ، السيد محمد باقر الصدر رحمته الله، تحقيق: عبد الجبار شرارة، ط، ١٤١٥هـ.
٢٠. قراءة في السيرة الفاطمية، الحداد، كفاح، كربلاء المقدسة، العراق، دار الكفيل، ط ١، ٢٠١٥م.
٢١. كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى ابن أبي الحديد الفتح الإربلي، (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، المكتبة الشيعية.
٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ط. بلا، دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٣. الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، المكتبة الشيعية.



٢٤. مقاصد الشريعة الإسلامية: المفيد، جامع الكتب الإسلامية:

<https://ketabonline.com/ar/books>.

٢٥. مختار الصحاح: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن عليّ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ.

٢٧. مناقب آل أبي طالب: محمد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٥٨هـ)، ط ١، الأعلميّ، بيروت، لبنان، ١٣٤٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٨. المهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، مهدي عبد الزهرة، المكتبة الشيعية الإلكترونية.

٢٩. نظام الدولة في الإسلام: د. محمود الصاوي، ط ١، دار الهداية، مصر، ١٤١٨هـ.

البحوث:

٣٠. المقاصد القرآنية الكبرى في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام: أ.د. رحيم كريم عليّ الشريف، جامعة بابل، كلية العلوم الإسلامية.

٣١. المعارضة السياسية: الهام ناصر، (٢٠١٧-٢٠٠٧-١٥). الموسوعة السياسية،

تاريخ آخر دخول: ٢٠٢٣-٠٩-٠٦: <https://political>

المحاضرات:

٣٢. التراث الفكري في الخطبة الفاطمية، السيد منير الحبّاز، مسجد الحمزة بن عبد المطلب، سيهات، ١/٥/١٤٤٣هـ.

٣٣. مقاصد التشريع الإسلامي في خطبة الزهراء عليها السلام: الشيخ فوزي السيف، ٢٤/٩/١٤٣٧هـ.

نظرية الإمامة الإلهية من منظور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

السيد الدكتور عبد الكريم حسن بور
حوزة علمية، قم المقدسة

المستخلص

تعتبر الإمامة في الفكر الشيعي، منصباً إلهياً مثل النبوة، والإمام عند الشيعة هو شخص مثل النبي بجميع مواصفاته. على هذا الأساس، فاختيار الإمام وتعيينه يكون منحصرًا بإرادة الله تعالى، مثل اختيار النبي وتعيينه.

من الناحية التاريخية، يرى أتباع أهل البيت عليهم السلام أن أصلها مترامناً مع ظهور الإسلام، وركناً من أركانه، ويعتبرونها الفارق الحقيقي بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى. ولكن اليوم بعض الحداثيين الشيعة، بدعوى دراسة تاريخ الفكر الإمامي، يقولون إن الإيمان بالتعيين الإلهي للأئمة، ونظرية الإمامة الشيعية ليس لها خلفية ودعم تاريخي في عهد الأئمة الأوائل عليهم السلام، ولا في عهد النبي صلى الله عليه وآله، بل يعرفونها نتيجة للتطور التاريخي في الفكر الشيعي، التي طغت على المبادئ خلال الأحداث والظروف التاريخية التي أضيفت على الفكر الشيعي في مرّ الزمان.

يقوم البحث الحالي معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي، وطريقة جمع المعلومات المكتبة، بناءً على سيرة وكلمات فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في رفض هذه الشبهات،

وإثبات أنّ الإمامة وبجميع شروطها، هي من الأركان الرئيسة للديانة الإسلامية التي تكون متجذّرة في القرآن، والسنة النبويّة غيرها من التعاليم الإسلاميّة، والتي قد تبينّت في فترة حضور الأئمة عليهم السلام، مع مراعاة ظروف كلّ فترة، ووفقاً لفهم الجمهور، دون أدنى تغيير أو نقص في المحتوى.

الكلمات المفتاحيّة: الإمامة، التنصيب الإلهي، وصاية، خلافة، فاطمة الزهراء عليها السلام.



المقدمة

إنّ مسألة الخلافة والإمامة بشكل عام تُعتبر من أهمّ الموضوعات العقائدية والتفسيرية والروائية في تاريخ الإسلام، وهي محل قبول جميع المسلمين، إلّا أنّه عند الاستعراض لدراسة خصوصيّات هذا المفهوم عند كلّ من الفرق والمذاهب الإسلامية، نجد أنّها كانت محور الخلاف الأكبر بين المسلمين على مرّ العصور، وقد أثّرت في تشكيل النزاعات والأزمات التي ما تزال استمرّت آثارها وتداعياتها في الإمامة الإسلامية إلى فترتنا الحالية. وقد ادّعى بعض القدماء من المؤرّخين أنّه هو أعظم خلاف بين الأمّة، الذي لم يُناقش أي موضوع بمدى هذا الموضوع خلال العصور الطويلة في تاريخ الإسلام، قالوا فيه: ما سُلّ سيف في الإسلام، على قاعدة دينيّة، مثلما سُلّ على الإمامة في كلّ زمان. وكُتِبَ الكثير عنها، وتمّت مناقشة جوانبها تقريباً من قِبَل الباحثين والمختصّين والراغبين في الدراسة العميقة والبحث، مع وجود بحوث ومناقشات غير منطقيّة ومحرّضة على الانقسام والتعصّب بينها.

هذه المناقشات والنقاشات لم تقتصر على الاختلافات بين الفرق المذهبية فحسب، بل شملت المجتمعات الشيعيّة، وأدّت إلى ظهور بعض الخلافات في مسألة الإمامة، وخصائص الإمام تحديداً في نظرية النصّ الإلهي في تعيين الإمام وتنصيبه، والتي تُعدّ المحور الرئيس للبحث الحالي، وسيتمّ استعراض ونقد هذه الآراء المنكرة لنظرية النصّ الإلهي في الإمامة بالتفصيل فيما يأتي.

بناءً على توسعة نشر هذه الآثار والأفكار المذكورة في أشكال تفكيرية جذّابة ومحفّزة

للتحدّي للشباب والمجتمعات العلميّة (مثل المدارس والجامعات) في الفضاء الحقيقيّ والافتراضيّ بجميع أشكالها، فهناك ضرورة لا يمكن إنكارها لدفع هذا الضرر، وحلّ هذه المشكلة من خلال التبيين الدقيق لتاريخ الإمامة والتشيع، مع التركيز على نظرية التعيين والتنصيب الإلهي في الإمامة.

ما يزيد من أهمية هذا الموضوع، ويجعل الحاجة إلى التفكير فيه ضرورة هو أنّ هذه الجماعة، يعتمدون على أدلّة ناقصة وغير مكتملة من تاريخ القرون الأولى للإسلام والتشيع، ثمّ يستنتجون بأنّ فكرة التنصيب الإلهي للائمة (والعناصر الأخرى المرتبطة بالإمامة)، هي نتيجة الأحداث والظروف التي واجهها أنصار الأهل البيت، ومحبي حكمهم، ثمّ تمّت اضافتها إلى مبادئ الأصول الاعتقاديّة والنصوص الرسميّة للشيعة من قبل المتكلّمين الشيعة وفقاً لظروفهم. ستكون نتيجة هذا الرؤية أنّ عقيدة الإمامة وبالتالي مذهب التشيع بصورة عامّة، هي ظاهرة تاريخيّة تحوّلت وتطوّرت عبر تاريخ وعلى مرّ الأيام.



بيان المسألة

الإمامة هي المبدأ الأساسي للمذهب الشيعي، الذي يميّزها عن المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى، وتعتبر منصباً إلهياً في استمرار النبوة. فالإمام هو شخصية تمتلك جميع صفات وخصائص النبي، الذي تمّ تعيينه لهداية الأمة بعد النبي بأمر من الله، وتمّ تنصيبه في منصب الإمامة بإبلاغ النبي ﷺ.

على هذا الأساس (النظرة الإمامية) يجب أن يكون الإمام معصوماً من أيّ خطأ، وعالمًا بالعلم الخاص للإمامة (أعلم من الناس)، وهذه الأصول كانت سائدة مترامنة مع إعلان بعثة النبي ﷺ وظهور الإسلام.

على حين أنّ بعض أصحاب التيارات الحديثة إلى نقد الفكر الشيعي ومبادئه الاعتقادية من منظور تاريخي، وواجهوها بتحديات. من جملتها نظرية الإمامة الشيعية. يقولون إنّ الإمامة الشيعية مع ملحقاتها وشروطها الحالية ليست لها سابقة تاريخية في عصر النبوة أو في عصر حضور الأئمة المعصومين عليهم السلام، ولا عند الشيعة الأوائل. ويرونها ظاهرة تاريخية تكوّنت مع مرور الزمن، وفقاً لظروف الزمان والبيئة، وردّاً لمتطلبات العصور المختلفة، فتمّت إضافة عناصر وانضمام شروط عديدة إليها تدريجياً، حتّى تطوّرت إلى الشكل الحالي.

يعتبر التشيع ومكوّناته في اعتقاد هذه الجماعة، ظاهرة مثل ظواهر أخرى التي شكّلت وأسست من بساطة الاعتقاد بصلاحيّة الإمام عليّ عليه السلام، وفضله لقيادة جماعة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، ثمّ تطوّرت في عملية تدريجية، واستمرّت في مسارها التاريخي، وتطوّرت إلى أصل اعتقاديّ من أصول المذهب الشيعي.

من بين هؤلاء الحداثيين يمكننا أن نشير إلى أحمد كسروي في كتاب (شيعة غري)، حكيم زاده في كتاب (اسرار هزار ساله)، السيد أبو الفضل البرقي في مقدمة كتاب (شاهراه اتحاد)، حيدر علي قلمداران في كتاب (شاهراه اتحاد) (دراسة نصوص الإمامة)، فيصل نور في كتاب (الإمامة والنص)، أحمد الكاتب في كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، سيد حسين مدرسي في كتاب (مكتب در فرآيند تكامل)، ومحسن كديور في مقالة (قراءة فراموش شده) ^(١) (القراءة المنسية)، وآخرين منهم ^(٢) يقولون إن استعراض تاريخ الفكر الشيعي يثبت أن مبادئ وأركان التشيع الحالية، ومنها النظرية الإلهية للإمامة، وتعيين الإمام بأمر من الله، هي تحولات مشتقة من التشيع البسيط في عصر حضور الأئمة عليهم السلام.

وبعض المستشرقين مثل دكتورة آن كاثرين سوينفورد لامبتون ^(٣) في كتابها (الدولة والحكومة في الإسلام) ^(٤)، وهاملتون غيب ^(٥) في (كتاب الإسلام دراسة تاريخية) ^(٦)، وإيتان كوهلبرغ ^(٧) الباحث اليهودي الأصل، المتخصص بالدراسات الشيعية، درسوا الشيعة والتشيع في أكثر من مائة كتاب ومقال من هذه الزاوية كمراجعة تاريخية.

بالمقابل لهذه الفئة من الحداثيين وبعض المستشرقين، يعتقد الباحث أن دراسة منهجية لتاريخ الفكر الشيعي تكشف لنا لا فقط العديد من الأدلة الناقضة لهذه التشكيكات وهذا الرأي المذكور، بل إنها تثبت أيضاً وجود الاعتقاد بإلهية منصب

(١) مجلة المدرسة، رقم ٣، اربيهشت ٨٥ ش

(٢) سنجلي، ممقاني، حكيم زاده، شعار، خرقاني خالصي زاده

(3) Ann Katharine Swynford Lambton.

(4) Stae and Government in Medieval Islam.

(5) Hamilton Alexander Rosskeen Gibb.

(6) Mohammedianism a historical survey.

(7) Etan Kohlberg.



الإمامة في النواة الأولى للتشيع (وهي مجموعة من الصحابة والإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام وأصحابهم). وفي هذا البحث نؤكد على تتبع نظرية الإمامة الإلهية عند السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها من خلال كلماتها المنيرة.

الخلفية البحثية

هناك نقطتان مهمتان من الجدير ذكرهما:

أولاً: يتم متابعة هذا الموضوع بنهج (دراسة تاريخ الفكر).

ثانياً: هذا النهج غالباً يكون غير مألوف وقليل الاهتمام به في مجال الدراسات الإسلامية التقليدية بشكل عام.

نتيجة لضرورة نشر هذا النهج في المجتمعات العلمية الغربية، وكذلك جهود المستشرقين وبعض الحدائين من أبناء الشيعة في تبين نظرية الإمامة والمسائل المرتبطة بها من الزاوية المذكورة، قامت مجموعة من أصحاب الأفكار والأقلام والجامعات والمراكز التعليمية والبحثية بتنفيذ أنشطة مختلفة في تطبيق وتطوير هذا النهج (دراسة تاريخ الفكر)، من خلال إلقاء المحاضرات العلمية، وعقد جلسات النقذ والمناظرة، وتأليف المقالات والكتب، وإقامه المؤتمرات، واعتماد رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه. وبالرغم من جميع هذه الأنشطة، مع الإيمان بقيمتها العلمية، لا يمكننا أن نعتبرها أكثر من مجرد إعداد الأرضية وفتح الطريق لتطبيق وتبني دراسة تاريخ الفكر في الدراسات الشيعية. وسنشير إلى بعض هذه الأعمال التي قسمناها إلى ثلاث فئات، تشمل الكتب والرسائل الجامعية والمقالات العلمية:

الكتب: ١. النص على أمير المؤمنين عليه السلام، السيد علي عاشور. ٢. براهين ونصوص

امامت، على رباني گلپايگانی.



الرسائل الجامعيّة: ١. التنصيب الإلهي للإمام المعصوم من منظور أهل البيت (عليه السلام) (باللغة الفارسيّة: نصب الهی امام معصوم از منظر اهل بیت علیهم السلام، سیّد أحمد حسینی (۱۳۸۶ش)، رسالة ماجستير، مؤسّسة الإمام الخميني (رحمته الله) للتعليم والأبحاث. ٢. التعيين في الإمامة (باللغة الفارسيّة: انتصابی بودن مقام امام)، الباحثة إنسيه نجابت، جامعة باقر العلوم (عليه السلام). ٣. نص أو اختيار في الإمامة (باللغة الفارسيّة: نص یا انتخاب در امامت)، مهدي حسینی نیافر، رسالة ماجستير، مؤسّسة الإمام الخميني (رحمته الله) للتعليم والأبحاث. ٤. دراسة موضوع التعيين وانتخاب في الإمام معصوم ودور الناس فيه. (باللغة الفارسيّة: بررسی مسئله انتصاب وانتخاب امام معصوم ونقش مردم در تعیین آن)، سیّد ضمير حيدر رضوی. رسالة ماجستير، جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية. ٥. نظريّة الإمامة في القرآن (باللغة الفارسيّة: تئوری امامت در قرآن)، محمد جواد صميمی، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية. ٦. مكانة الإمام والإمامة في الفكر الشيعي والسني (باللغة الفارسيّة: جایگاه امام وامامت در منظر شیعه واهل سنت)، هاجر تقديري اردكان، جامعة الزهراء (عليها السلام)، ٧. مكانة الإمامة من منظور أصحاب الأئمة (عليهم السلام) (باللغة الفارسيّة: جایگاه امامت از دیدگاه اصحاب ائمه علیهم السلام)، علی هاشمی، رسالة ماجستير، مؤسّسة الإمام الخميني (رحمته الله) للتعليم والأبحاث. ٨. مبدأ الإمامة والخلافة (باللغة الفارسيّة: خاستگاه امامت و خلافت)، صديقه رضایی، رسالة ماجستير، جامعة باقر العلوم (عليه السلام). ٩. العلاقة بين الخائمية والإمامة من منظور الإمامية (باللغة الفارسيّة: رابطه خائیت وامامت از دیدگاه امامیه)، حسين علی محقق، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية.

مقالات: ١. نظريّة النص من منظور متكلمي الإمامية (باللغة الفارسيّة: نظريه نص از دیدگاه متکلمان امامی)، علی اميرخانی. ٢. مكانة النص في أسس الإمامة دراسة تطبيقية (جایگاه نص در مبانی امامت با رویکرد تطبیقی)، حامد مقدم.

٣. استعراض أدلة التنصيب الإلهي معتمداً على روايات الكليني (باللغة الفارسية: بررسي شواهد نصب الهی امامان با تکیه بر روایات کلینی).

موضوع جميع البحوث المذكورة هو نفس قضية النص والنصب في الإمامة، والتي تستعرض بالاتجاهات المختلفة، وتهدف إلى أهداف متعددة مثل: إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وإثبات مفهوم الإمامة وبيان ضرورتها من منظور الكتاب والسنة، والدفاع عن نظرية التنصيب الإلهي، معتمداً على مبدأ العصمة، والدفاع عن نظرية التعيين الإلهي مقابل نظرية الاختيار الناس (الشورى)، والدراسة المقارنة لنظرية التعيين الإلهي من وجهة نظر المتكلمين الإمامية والمذاهب الإسلامية الأخرى التي تم قبولها.

موضوع جميع الأبحاث المذكورة هو قضية (النص والنصب)، حيث تُناقش بأهداف متعددة بما في ذلك: إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وتوضيح ضرورة وإثبات مبدأ الإمامة من منظور الكتاب والسنة، والدفاع عن فكرة التعيين الإلهي بالاعتماد على مبدأ العصمة، والدفاع عن نظرية النص مقابل نظرية الاختيار، ودراسة مقارنة لنظرية النص من منظور المتكلمين الإمامية والمذاهب الإسلامية الأخرى.

ورغم وجود الأعمال العديدة والبحوث المكتوبة التي تناولت موضوع الإمامة ونظرية النص والنصب الإلهي بشكل وافٍ، إلا أننا نرى أنه ما زال هناك فجوة مهمة في دراسة الموضوع من جانب دراسة تاريخ الفكر، الذي يشكل محور اهتمام الكاتب، والتوجّه المركزي للمقالة الحالية.

جدير بالذكر أن بعض هذه الأعمال المذكورة تكون قريبة جداً بالموضوع من جانب العنوان، وحتى من جانب المدعى - دراسة تاريخ الفكر - إلا أنها في استمرار البحث وتنفيذه قد تضطّر إلى غلبة الأسلوب الكلامي والغفلة عن المنهج والانتاج التاريخي ودراسة الفكر. بينما دراستنا هذه تسعى إلى تتبع نظرية التعيين الإلهي للأئمة في تاريخ

الفكر الشيعي، واثبات جذور وجودها التاريخي في فترة حضور الأئمة، وتأكيد ذلك في كلمات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بعيدة عن المناهج والبراهين الكلاميّة (التي تكون ضروريّة في مكانة خاصّة)، ومن ثمّ تهدف إلى رفض وجهات نظر النقّاد الداخليّة (داخل التيار الشيعي)، والخارجيّة (من أهل السنّة والمستشرقين)، الذين يعتبرون هذه الفكرة (التعيين الإلهي في الإمامة) ظاهرة تاريخيّة.

بيان المفاهيم

مفهوم النصّ

بناءً على التعاريف والمعاني التي قدّمها أهل اللغة، يُعرّف النصّ على أنّه الحالة القصوى لشيء، وهو اللفظ الذي يتمّ التعبير عن معناه بشكل كامل وصریح. وقد أشار اللغويّون، مثل الخليل في العين، وابن منظور في لسان العرب، إلى بعض هذه المعاني لكلمة النصّ. وقدّم الطريحيّ توضيحاً للمعنى الاصطلاحيّ لكلمة النصّ بقوله: «النصّ هو اللفظ الذي لا يُفهم من دلّالته أي احتمالاً لمعنى غيره من اللفظ»^(١)، «المبالغة في الاظهار» و«الدليل الذي لا يتطرّق إليه الخلاف» است^(٢).

في علم الكلام وعلم الأصول، يُستخدم هذا المصطلح بالمقابل للظهور ويعرف باللفظ الذي لا يحتمل غير ما فهم منه^(٣).

يقول العلامة الحليّ في سمات الإمام: «يجب أن يكون منصوباً عليه.. والنصّ إمّا بخلق معجز على يده عقيب ادّعاء الإمامة، أو بتعيين المعصوم عليه، كنبیّ أو إمام»^(٤). وكذلك فاضل المقداد يقول: «فإنّه كما يتعيّن بالنصّ، يتعيّن

(١) طريحي، مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٨٦

(٢) شيخ مفيد، الفصول المختارة، ص ٢؛ همو، مسألان في النصّ على عليّ عليه السلام، ج ٢، ص ٣.

(٣) فاضل مقداد، إرشاد الطالبين، ص ٣٣٨.

(٤) حلي، حسن بن يوسف، تسليک إلى حظيرة القدس، ص ٢٠٢



بخلق المعجز على يده»^(١).

يمكننا أن نلخص الأقوال المذكورة، بأن (النص) ينقسم على نوعين: النصّ القوليّ، والنصّ الفعليّ. وتعتبر المعجزة من النصوص الفعلية الإلهية، التي جعلها كأداة الدعم والتأييد لمُدعاة النبوة والإمامة.

وقد صرح السيّد مرتضى بهذا التقسيم في قوله: «ينقسم النص عندنا في الأصل إلى قسمين أحدهما يرجع إلى الفعل ويدخل فيه القول، والآخر إلى القول دون الفعل»^(٢).

والنصوص النبوية المتعلقة بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، أيضًا تشمل أفعالاً وأقوالاً خاصة من النبي صلى الله عليه وآله تعبر عن تكريمه وتمجيده عليه السلام، ممّا يميّزه من سائر الصحابة والمسلمين. وأيضًا، ذكر أبو إسحاق ابن نوبخت إضافةً إلى قبول النصّ القوليّ والفعليّ، أمثلةً من نصوص الفعليّ للنبيّ في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «نصّه عليه أفعالاً كنصّه أقوالاً من إخائه له، وتزويجه ابنته، وغير ذلك»^(٣).

نظرًا لاعتقاد الشيعة أنّ الإمامة هي استمرار للرسالة والنبوة، فاختيار الإمام وتنصيبه يكون على غرار اختيار النبيّ وتنصيبه، ويعتبر أمرًا إلهيًا وخارجًا عن إرادة البشر. ويتمّ تحقيق إرادة الله في مسألة الإمامة من خلال إبلاغ النبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام المنصوص عليه سابقًا. وهذا يعني أنّ أساس إمامة الشيعة مبني على تنصيب الإمام من قبل الله، ويعتبر النصّ (التصريح) وسيلة الإعلان والتعريف بالإمام. وبالتالي، في كتب المتكلمين الشيعة، لا يُذكر مصطلح (النص الشرعيّ) أو (التنصيب الإلهيّ) في سياق سمات الإمام، بل يتمّ تناول مصطلح النصّ في المباحث المتعلقة بكيفية تحديد الإمام، وكذلك التنصيب الإلهيّ في المباحث المتعلقة بوجوب تنصيب الإمام. وبناءً على

(١) فاضل مقداد، إرشاد الطالبين، ص ٣٣٨.

(٢) سيّد مرتضى، الشافي في الإمامة، ج ٢، ص ٦٥.

(٣) ابن نوبخت، إبراهيم، الياقوت في علم الكلام، ص ٨٠.

ذلك، يُعتبر معيار تحديد الإمام التنصيب الإلهي، أو النص الذي يكشف عن التنصيب الإلهي.

في السياق التالي، بعد توضيح حقيقة الإمامة وضرورة تثبيت تعيين الإمام بالنص الإلهي، تتجلى هذه العقيدة من خلال أقوال فاطمة الزهراء (عليها السلام).

مفهوم الإمامة

كلمة (إمام) في اللغة تعني القائد، المُسبق، المُرشّد، القائم، والرئيس. سواء كان مؤمناً وعادلاً أو ضالاً وظالماً^(١). عرّفت الإمامة في الاصطلاح إلى «الرئاسة الشاملة في الشؤون الدينيّة والدينيّة»، ويُعدّ هذا التعريف مُجمّعاً لتعاريف علماء الإسلام للإمامة، حيث يعتبر البعض هذه الرئاسة مبنية على الأصالة^(٢) بينما يرى البعض الآخر أنّها تأتي بالنيابة والخلافة من النبي^(٣).

برغم أنّه تمّ أخذ عناصر مثل القيادة، الخلافة، الوصاية، والزعامة السياسيّة في تعريف مصطلح الإمامة، إلّا أنّ الآيات القرآنيّة تنظر إلى الإمامة فوق ما تمّ ذكره كعهد خاص من الله، وتقدّمها موهبة إلهيّة تشبه موقع النبوة والرسالة، والتي تتوزّع وفق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤). بعبارة أخرى الإمامة بناءً على آيات القرآن هي أمر إلهي^(٥)، وتعيين الإمام أيضاً سيكون منحصر بإرادة الله تعالى^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٨؛ لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٤؛ مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٠؛ مفردات في غريب القرآن، ص ٨٧.

(٢) سيّد مرتضى، الشافي في الإمامة، ج ١، ص ٥؛ طبري امامي، ص ١٧؛ علامه حلي، الألفين، ص ٢٢.

(٣) للحصول على تعريف الإمامة من وجهات نظر الفريقين، يُمكن الرجوع إلى: مظفرى، حيدر، بازخواني تحولات اعتدادي وتاريخي امامت وواژگان مرتبط، ص ٤٦-٥١.

(٤) انعام/ ١٢٤.

(٥) ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ بقره/ ١٢٤.

(٦) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ بقره/ ١٢٤؛ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ أنبياء/ ٧٣؛ ﴿وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾

من مجموعة الإشارات المذكورة، يتبين أن الإمامة على عكس العديد من المراتب والدرجات التعليمية والاكسابية، هي موقع روحي ملكوتي وديني، يتم منحه بإرادة الله تعالى لعباده المختارين والمنتخبين. بعبارة أخرى: في التفكير القرآني والإسلامي، حقُّ السيادة (الملك والحكم على الخلق) مخصَّص بالله تعالى^(١)، الذي يتم تفويضه بإرادته التشريعية إلى الإمام المنتخب من قبله^(٢)، ويتوقع أن تكون مسألة خلافة النبي ﷺ، وشؤون الإمامة في نظر فاطمة الزهراء عليها السلام قضية أصولية ودينية ضرورية.

الإمامة من منظور فاطمة الزهراء عليها السلام

تم التأكيد في هذا النص على سيرة السيدة زهراء عليها السلام وأقوالها لسببين؛ أحدهما: لأنها مرتبطة زمنياً بفترة حياتها في عصر الرسالة، وأيام النزول الأولى للإسلام. والآخر: بالإضافة إلى المكانة المرموقة التي تحظى بها السيدة الطاهرة في المجتمع الإسلامي، فإن آراءها تمثل نواة التشيع الأولى، وتشهد تاريخياً على أصالة «فكرة تعيين الإمامة من الله» في عصر النبوة، وكونها مركزاً للتشيع. بناءً على ذلك، يبدو أنه من الضروري إثبات مكانة هذه السيدة، وحجيتها، وأهميتها في الكتاب والسنة أساساً للمناقشة.

=قصص/ ٥؛ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِمَّةً﴾ سجده/ ٢٤؛ ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فرقان/ ٧٤.
(١) ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ انعام/ ٥٧، يوسف/ ٤٠، يوسف/ ٦٧؛ ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قصص/ ٧٠.
(٢) ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ص/ ٢٦؛ ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آل عمران/ ٧٩؛ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ عَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ انعام/ ٨٩؛ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ جاثي/ ١٦؛ ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ بقره/ ٢٥١.

١. مكانة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وحجّة كلامها:

فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ليست سيدة نساء العالمين بسبب صلتها العائليّة فحسب، بمثابة ابنة للنبي (صلى الله عليه وآله)، وزوجة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأمّ الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)؛ لأنّها ليست الوحيدة التي تمتلك هذه الصفات. إذا كانت فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) هي أمّ اثني عشر إماماً، فإن فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها) هي أمّ ثلاثة عشر إماماً، ومع ذلك، فإنّ هذا لا يقلّل من مكانة وتفرد السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

لذلك يكشف لنا أنّ السبب في سيادة فاطمة الزهراء على نساء العالمين وتفردّها في العالم^(١) ليس في العلائق الاعتباريّة النسيّية والعائليّة، بل يعود إلى جوانب الروحيّة والشخصيّة لها، والتي تعتبر أساس هذه الاعتبارات العائليّة التي يجب علينا أن نبحث عنها.

ومن الواضح أنّه لا يمكننا الحصول على معرفة الحقيقة لمكانة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلّا بالاطّلاع على كتاب الله والسنة النبويّة، ومنها:

١. آية التطهير^(٢): لقد منح الله تعالى بإرادته التكوينيّة هبة الطهارة من كلّ رجس لأهل البيت (عليهم السلام)، وفاطمة (سلام الله عليها) هي الأمّ والمحور لأهل البيت (عليهم السلام).

٢. آية المباهلة^(٣): بالرغم من أنّ حضور أهل البيت (عليهم السلام) في المباهلة، واستجابتهم للدعاء بنزول العذاب تعتبر منقبة عظيمة لهم، إلّا أنّ المنقبة الأعظم هي اعتبار أهل

(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) لِفَاطِمَةَ، مَا كَانَ لَهَا كُفُوٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ. كافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب مولد الزهراء (عليها السلام)، ص ٤٦١.

(٢) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، احزاب/ ٣٣.

(٣) ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، آل عمران/ ٦١.



البيت عليه السلام في أبرز جوانب جمال وعظمة الله، وهو إنشاء اللعنة والمحاكاة لعذاب إلهي، وهي صفة من الصفات الجلالية لله تعالى، وكانت فاطمة الزهراء أساس أهل البيت عليهم السلام.

٣. محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة الزهراء^(١): فاطمة كانت ابنته الحبيبة، وكانت تحتل مكانة مميزة في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. كان يعتني بها ويحنو عليها بكل حب ورعاية. قلب النبي يحمل محبة مظاهر جمال الله وعظمته، ففاطمة واحدة من منها.

٤. رضا فاطمة (سلام الله عليها) وغضبها هما مقياس الحق والباطل^(٢): الإنسان الكامل هو الذي يحافظ على نفسه من تأثيرات الشهوات والهواجس، حيث يكون رضاه وغضبه مقياس تمييز الحق من الباطل. والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعكس هذا المقياس بأن مقياس أعمال أمته هو رضاه وغضبه، هو رضا وغضب الله.

يمكننا أن نجعل مجموعة الموارد المذكورة تفسيراً لحديث الثقلين، الذي يؤكد على حجية سيرة السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وكلماتها مثل حجية القرآن.

الإمامة الإلهية في الفكر الفاطمي

كانت مسألة خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفكرة الإمامة عند السيدة فاطمة عليها السلام مسألة أساسية وضرورة دينية، لهذا السبب، قامت عليها السلام بعد حادثة السقيفة بالدفاع عن الحقوق المنتهكة والأصول المتعطلة، وعينت الحدود الاعتقادية بين أهل السقيفة وأهل البيت عليهم السلام^(٣).

(١) قَالَ عَلِيٌّ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا جَلَسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَاطِمَةَ، وَهُمَا مُضْطَجِعَانِ: أَكُنَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنَا أَوْ هِيَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَأَنْتَ يَا عَلِيٌّ أَعَزُّ مِنْهَا.

(٢) فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها، ويبغضني ما يبغضها. اربلي، كشف الغم في معرفه الاثمه، ج ١، ص ٣٤٨.

(٣) انصاري زنجاني، خويني، اسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، ج ١٠، ص ٣٧٢.



من أهم الأهداف التي توخّتها فاطمة الزهراء في مطالباتها، هو الدفاع عن حق الإمامة والولاية الإلهيّة للأهل البيت، وإثبات أحقيّتهم في قيادة الأُمّة بعد النبي ﷺ. يُكشف ذلك من خلال خطبتها ﷺ التي ألقتها في المسجد النبوي، وخطبتها الأخرى بنساء المدينة، وفي عدّة مواقف أخرى، وربطت سعادة المجتمع الإسلاميّ بها، ووصفت اجتماع السقيفة بأنّه إجراء مبكر، واعتبرته خيانة للقرآن وتوجيهات النبي ﷺ، وحذّرت من عواقبه^(١)، حيث قالت: «ويلكم ما أسرع ما ختم الله ورسوله فينا أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله ﷺ بإتباعنا ومودّتنا والتمسّك بنا»^(٢)

وأكدت ﷺ هذا وصرّحت على إلهيّة الإمامة، واعتبرتها عهد من الله في وصيّتها لأمر المؤمنين ﷺ، حيث قالت: «لَا تَصَلِّيْ عَلَيَّ أُمَّةٌ نَقَضَتْ عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣). ما هو العهد الذي نقضه بعض الأُمّة إلّا حق الإمامة، وحقّ الولاية الذي عاهدته الرسول ﷺ؟.

أيضاً قالت (السيدة فاطمة ﷺ): «فَنَحْنُ وَسَيْلَتُهُ فِي خَلْقِهِ، وَنَحْنُ أَلْ رَسُولُهُ، وَنَحْنُ حُجَّةُ غَيْبِهِ، وَوَرَثَةُ أَنْبِيَائِهِ»^(٤). تتضمّن هذه الكلمات النيرة رسالة آيات التطهير والمباهلة وحديث الثقلين، وتعبر عن أربعة أدوار أساسيّة للإمامة: وسيلة الاتصال بين الخلق والخالق، ومكانة المنتجبين الإلهيّة، وحجّة الله على العباد، وخليفته على الأرض، ووارثي أنبياء الله، حيث جميعها تشير إلى الطابع الإلهي لمنصب الإمامة.

وإنّما ﷺ قد تشير إلى حق الإمامة الإلهيّة وانحصارها لأهل البيت ﷺ في شكواها إلى الله، حيث قالت: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَشْكُو فَقَدْ نَبِّكَ.. وَمَنْعُهُمْ إِيَّانَا حَقّاً الَّذِي جَعَلْتَهُ لَنَا

(١) طبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) انصاري زنجانى، خوئينى، اسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ﷺ، ج ١٠، ص ٣٧٢.

(٣) خصيبى، هدايه الكبرى، ص ١٧٨.

(٤) دلائل الإمامة، ص ١١٤.

فِي كِتَابِكَ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّكَ بِلسَانِهِ»^(١).

وفي موضع آخر، ردّت على السؤال والشبهة التي تدور حول عدم تدخّل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للدفاع عن حقّه في الإمامة، بتقديم تشبيه جميل مستند إلى القرآن الكريم، ومعتمد على منطقته. حيث قالت: «مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ، إِذْ تُؤْتَى وَلَا تُنَافَى»^(٢).

التشبيه المذكور يشير إلى الطابع الإلهي لمنصب الإمامة، وعدم انتخاب الإمام من قِبَل الناس، بل هو تعيين إلهي من قِبَل الله. كما يدلُّ على التشبيه أيضًا، على وجوب قبول الإمام المعين من قِبَل الله، والذي يتمتّع بسلطة إلهية وركيزة ثابتة في الدين.

إنجاز الإمامة في فكر السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

في مقطع آخر من خطبتها، أكّدت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنّ الإمامة هي منصب إلهي مختصّ، يتضمّن التنظيم الاجتماعيّ، والوحدة السياسيّة والعقائديّة في الأمّة الإسلاميّة، حيث قالت: «فَجَعَلَ اللَّهُ... طَاعَتَنَا نِظَامًا لِلْمَلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَانًا لِلْفُرْقَةِ»، وتوضيح ذلك أنّ الله هو الذي جعل طاعة أهل البيت عليهم السلام سببًا لتحقيق التنظيم الاجتماعيّ، وجعل لهم الإمامة التي هي العامل في تحقيق وحدة الأمّة الإسلاميّة، وابتعادها عن التفرّق والتشتّت.

وفي السياق نفسه، عند ردّها على محمود بن لبيد، تشير إلى مسألة الإمامة في حديث الغدير، حيث قالت عليها السلام: «أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ تَرَكُوا الْحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ وَاتَّبَعُوا عِتْرَةَ نَبِيِّهِ لَمَا اخْتَلَفَ فِي اللَّهِ اثْنَانِ»^(٣)، فتكشف هذه العبارات أنّه قد غُصِبَ حقُّ الإمامة والزعامة الذي جعله الله تعالى مختصًا بأهل بيت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا السبب انحرف المجتمع عن طريق الحقّ والسعادة.

(١) خصيبي، الهداية الكبرى، ص ٤٠٧.

(٢) رازی، علي بن محمّد، كفاية الأثر في النصّ على الائمه الاثنى عشر، ص ١١٩.

(٣) رازی، علي بن محمّد، پيشين.

الأئمة المنصوصين عند فاطمة الزَّهراء (عليها السلام)

إنَّ السّيّدة فاطمة (عليها السلام) لم تكتفِ بتبيين حقيقة مسألة الإمامة ومكانتها الرفيعة في منظومة العقيدة الإسلاميّة والشيعة، بل كانت تحدّد الأئمة المعصومين المنصوصين عليهم بأسمائهم. هناك رواية منقولة عن أمّ سلمة، تقول: زرت السّيّدة فاطمة الزَّهراء وسألتها: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ عَنْ لَيْلَتِكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أَصْبَحْتُ بَيْنَ كَمَدٍ وَكَرْبٍ، فَقَدْ النَّبِيُّ وَظَلِمَ الْوَصِيُّ، وَاللَّهُ حُجْبُهُ أَصْبَحْتُ إِمَامَتُهُ مُقْتَصَّةً عَلَى غَيْرِ مَا شَرَعَ اللَّهُ فِي التَّنْزِيلِ، وَسَنَهَا النَّبِيُّ فِي التَّأْوِيلِ...»^(١).

في هذا الحوار، أكّدت السّيّدة فاطمة (عليها السلام) على إلهيّة منصب الإمامة، وتصريحها بأنَّ تعيين تنصيب الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بهذا المقام كان بأمر من الله تعالى في كتابه، ونصّ رسوله (صلى الله عليه وآله).

بالإضافة إلى ذلك، قد تعتمد السّيّدة فاطمة (عليها السلام) في المناسبات المختلفة، على ذكر حديث غدير خم؛ لإثبات إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتعبّر عن اعتراضها على نقض العهد، وغصب حقّه في الإمامة والخلافة. وحلفت وتذكّرت بأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك اليوم قد طرح قضيّة الولاية والإمامة لعلّي، وأخذ البيعة من الناس لمنع تجاوزات الفرصيين.

فيما يتعلّق باستفسار محمود بن لبيد حول نصّ النبي (صلى الله عليه وآله) بشأن إمامة عليّ (عليه السلام)، فإنّه يحتوي على نقاط مهمّة ومثيرة للاهتمام، حيث يثبت إمامة عليّ (عليه السلام)، ويوضح مسار الإمامة إماماً بعد إمام:

«عن محمود بن لبيد: قُلْتُ يَا سَيِّدَتِي إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ تَلْجُلُجُ فِي صَدْرِي. قَالَتْ: سَلْ. قُلْتُ: هَلْ نَصَّ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) قَبْلَ وَفَاتِهِ عَلَى عَلِيٍّ بِالْإِمَامَةِ؟ قَالَتْ: وَاعْجَبَاهُ أَنْ نَسِيتُمْ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ؟ قُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي بِمَا أَسْرَ إِلَيْكَ.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل ابيطالب، ج ٢، ص ٢٠٥.



قَالَتْ: أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: عَلِيٌّ خَيْرٌ مَنْ أُخْلِفَهُ فِيكُمْ، وَهُوَ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي، وَسِبْطَايَ وَتَسْعَةُ مَنْ صُلِبَ الْحُسَيْنِ أئِمَّةٌ أَبْرَارٌ، لَيْتَنِي اتَّبَعْتُمُوهُمْ وَجَدْتُمُوهُمْ هَادِينَ مَهْدِيَيْنِ، وَلَيْتَنِي خَالَفْتُمُوهُمْ لَيَكُونُ الْاِخْتِلَافُ فِيكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

المصادر

* القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بي جا، دار احياء الكتب العربي، بي تا.
٢. ابن اثير، عز الدين على بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر.
٣. ابن نوبخت، ابراهيم، الياقوت في علم الكلام، كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى، قم، ١٤١٣.
٤. ابن حيون، نعمان بن محمد، شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، موسسه النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٩.
٥. ابن شهر آشوب محمد بن على، مناقب آل ابى طالب، مكتبه الحيدريه، نجف، چاپ اول، سال، ١٩٥٦م.
٦. ابن طاووس حلى، رضى الدين على، التحصين التحصين لاسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين، موسسه دار الكتاب، قم ١٤١٣ق.
٧. ابن عساكر، على بن الحسن الدمشقى الشافعى، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابى سعيد عمر بن غرامة العمرى، بيروت، دارالفكر، ١٤١٥ق.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٥٣؛ الخزاز كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، ص ١٩٨.



٨. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٧/ ١٩٨٦.
٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار احياء التراث العربى، ١٤٠٨ق.
١٠. ابن حجر هيثمى، احمد بن محمد، الصواعق المحرقة فى الرد على اهل البدع والزندقه، دارالكتب العلميّة، بيروت.
١١. احمد الكاتب، تطور الفكر السياسى الشعى من الشورى الى ولايه الفقيه، مؤسسة الانتشار العربى.
١٢. اربلى، على بن عيسى، كشف الغمّه فى معرفة الاثمه، مكتبه بنى هاشمى، تبريز، ١٣٨١ق.
١٣. امينى، عبد الحسين، الغدير فى الكتاب والسنة والأدب، قم، مركز الغدير للدراسات الاسلاميه، ١٤١٦ق.
١٤. بحراني، سيد هاشم، غاية المرام وحبّة الخصام، مؤسّسة التاريخ العربى، بيروت، ١٤٢٢ق.
١٥. بخارى، محمد بن اسماعيل، صحيح البخارى، بيروت، دارالفكر للطباعة والنشر و التوزيع، ١٤٢٥ق.
١٦. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، ناشر: دار المعرفة، بيروت.
١٧. ثعلبى، احمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار احياء التراث العربى، بيروت.
١٨. حلى، حسن بن يوسف بن مطهر، الألفين الفارق بين الصدق والمين، المكتبه الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٨ق.



١٩. خزاز رازی، علی بن محمد، کفایة الأثر فی النصّ علی الأئمة الإثني عشر، قم، نشر بیدار، ١٤٠١ق.

٢٠. خصیصی، حسین بن همدان، الهدایة الكبرى، البلاغ، ١٤١٩، بی جا.

٢١. ذهبی، محمد بن عثمان، تاریخ الاسلام، دار الکتب العربی، بیروت، چ اول، ١٤١١ق.

٢٢. سید مرتضی، علی بن الحسین، الشافی فی الامامة، مؤسسة الصادق، تهران، ١٤٠٧ق.

٢٣. صدوق، محمد بن علی، الأمالی.

٢٤. صدوق، محمد بن علی، کمال الدین وتمام النعمه، چاپ دوم، قم، دارالکتب الاسلامیه، ١٣٥٩ق.

٢٥. صدوق، محمد بن علی، معانی الاخبار، دارالنشر الاسلامیه، بی تا، بی جا

٢٦. طبرسی، احمد بن علی، الاحتجاج علی اهل اللجاج، مشهد، نشر مرتضی، بی تا.

٢٧. طبری، احمد بن عبد الله، ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی، قم، دارالکتب الاسلامی، ١٣٨٦.

٢٨. طبری، محمد بن جریر، تاریخ الامم والملوک، بیروت، دارالتراث، ١٣٨٧ق/ ١٩٦٧م.

٢٩. طریحی، فخرالدین بن محمد، مجمع البحرین، مکتبه المرتضویه، تهران، ١٣٧٥.

٣٠. فاضل مقداد، ارشاد الطالبین الی نهج المسترشدين، کتابخانه عمومی آیت الله مرعشی نجفی، قم، ١٤٠٥.

٣١. فاضل مقداد، اللوامع الالهیه، مکتب الاعلام الاسلامی، قم ١٤٢٢ق.

۳۲. فراهیدی، خلیل بن احمد، کتاب العین، مؤسسه دارلهجره، قم، ۱۴۰۹.
۳۳. کتاب سلیم بن قیس هلالی، نشر هادی، قم، ۱۴۰۵.
۳۴. مجلسی، محمّد باقر، بحارالانوار، لبنان، دار احیاء التراث العربی، چ سوم، ۱۴۰۳ ق.
۳۵. مسلم، نیشابوری، صحیح مسلم، بیروت، دارالفکر، ۱۳۹۸ ق.
۳۶. مفید، محمّد بن نعمان، الفصول المختاره، ترجمه آقا جمال خوانساری، قم، انتشارات امیر المؤمنین، ۱۳۷۷ ش.
۳۷. واقدی، محمّد بن عمر، الرده، تحقیق یحیی الجبوری، بیروت، دار الغرب الاسلامی، ۱۴۱۰/۱۹۹۰.



الأبعاد المعرفية في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام

أ.م. صباح محمد حسين التميمي

جامعة ديالى

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد..

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر: ١]، لقد جاء في بيان معنى الكوثر في النص أنه الخير الكثير، وقيل: نهر في الجنة، وقيل: هي الزهراء عليها السلام، فهي الامتداد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهي تمثل الخير الكثير، وهذا ما أجمع عليه أكثر مفسري الأمة سنة وشيعة.

من هذه النص القراني نطلق لتعرّف إلى تلك القيمة العظمى التي حظيت بها مولاتنا الزهراء عليها السلام، وما ترتّب على تلك المنزلة من تبعات وقعت على عاتقها؛ لتقوم بتلك المهمة الإلهية التي أوكلت بها، والتي صوّرها القران بصورة نهر عظيم، عطاؤه لا ينضب، فبرغم قصر الحقبة الزمنية التي قضتها في هذه الدنيا، إلا أنها كانت كوثرًا، فالقران دقيق في وصفه، صادق في قوله.

إن الوقوف على الجانب المعرفي في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام تتشعب عنده النهايات، وقد يصعب أن نجد حدودًا معينة لذلك العطاء الذي ورثته الأمة الإسلامية

من هذه السيدة العظيمة، إلّا أننا ورغم قصورنا، نحاول أن نتقصّى الاثر ونقتفي فيمن سبقنا للوقوف على بعض الجوانب المعرفية التي تمخّضت عن تلك الخطبة العظيمة التي خطبتها الزهراء بعد رحيل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، عندما أدركت أنّ الأمة مصرّة على مقتته، مجتمعة على قطيعة رحمه، لاثت بخمارها وتجلّبت بجللبها؛ لترسل إلى الأجيال رسالتها التي فيها دروس وعبر، نستنطق حروفها لتنبئ لنا عن تلك المعارف الإلهية التي أرادت الزهراء (عليها السلام) أن توصلها لنا، وفي عدّة محاور يمكن بيانها في الآتي:

المحور الأوّل/ الحفاظ على الأحكام الإلهية: لقد أدركت الزهراء (عليها السلام)، ومنذ اللحظة الأولى لرحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّ هناك مؤامرة تتعرّض لها الأحكام الإلهية، فعندما طالبت الزهراء (عليها السلام) بفدك من الخليفة الأوّل، هي لم تطلبها كحقّ شخصي، وإنّما هي حقّ إلهي انتزع غضباً وعدواناً، وهو بداية للانحراف عن أحكام الله تعالى.

المحور الثاني/ الحفاظ على أصول الدين الحقّة ومنها الإمامة: لقد أكّد رسول الله مراراً وتكراراً إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) للأمة والشواهد التاريخية التي رويت من جمهور المسلمين، شاهدة على ذلك، إلّا أنّنا نلاحظ أنّ الأمة بعد رحيله (صلى الله عليه وآله) عمدت على هذا الأمر، وأرادت نقضه وإقصاء ولده عن محلّهم الذي وضعه الله لهم، واختارهم له، وكان ذلك سبب في ضياع الأمة وتشتتها، وقد شخّصت السيدة الزهراء خطورة ذلك الموقف، ونددت بذلك رافضة تنحية أمير المؤمنين (عليه السلام) عن المحلّ الذي نصّبه الله ورسوله فيه.

المحور الثالث. الزهراء (عليها السلام) ودورها في الحفاظ على المعارف الإلهية: لقد كان للسيدة الزهراء (عليها السلام) الأثر الكبير في الحفاظ على المعارف الإسلامية الحقّة، فهي قد أخذت على عاتقها إثارة حالة من الوعي عند كثير من النساء التي كانت تجتمع فيهنّ، وتبيّن هنّ



تلك المعارف التي أرادها الله تعالى، فضلاً عن خطبتها في المهاجرين والأنصار، نعم إنَّ الزَّهراء عليها السلام في مواقفها كانت فرقاناً بين الحقِّ والباطل، وكانت الصوت الذي أزعج أعداء الإسلام، ورغم ما كان منهم إلَّا أنَّها لم تبرح عن مطالبتها في عودة الحقوق إلى أهلها والأمر إلى نصابها بما أراد الله تعالى، فلم تقف عن دعوتها للحقِّ، رغم أنَّ ذلك كلفها الكثير، حتَّى ذهبت شهيدة مزرعة بدمها مظلومة، مغصوبٌ حقُّها.

إنَّ الزَّهراء عليها السلام بهذا الدور استطاعت أن تعطي للأجيال فرصة ومساحة واسعة في البحث، واستقصاء المعارف الحقَّة، والمنهج الذي يمكن أن يصل به الإنسان إلى برِّ الأمان، فكانت منهجاً وطريقاً إلى الحقِّ، اتَّضح لنا من خلال جملة من مواقفها التي عبَّرت وطلبت بها؛ لتعطي لنا درساً أن لا نسكت عن الباطل أبداً مهما قويت شوكته، فالحقُّ كلُّ الحقِّ مع المنهج المستقيم الذي تمثله رسالة السماء التي جسَّدها محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته تجسيداً عملياً، فكانت سيرتهم منهجاً يُتَّبَع، وسبيلاً يُقْتَفَى به للوصول إلى رضا الله تعالى.



المحور الأول

الحفاظ على الأحكام الإلهية

إنَّ الأحكام الإلهية تمثل تلك النظم والقوانين التي تنظم حياة الإنسان بعد إدراكه ما وهبه الله من قوة عاقلة إثر ما يحيط به من اختلاجات وتجاذبات تمنعه من الرؤية الصحيحة، فتختلط عنده الصور، فيأتي النبي أو الرسول بمجموعة من الأحكام والنظم، من خلالها يتضح له الطريق جلياً، وهذه وظيفة الأنبياء كافة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٧].

إذن الأحكام الإلهية سبيل نجاة الإنسان وتطبيقها يمثل الطريق المستقيم إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٧٣]، فلا سبيل لنجاة الإنسان بدونها، إلا أننا نجد في مسيرة الإنسان تكثر حالة الابتعاد عن ذلك المنهج الإلهي واتباع هوى النفس، وكلُّ ما من شأنه يكون مصدراً للذلة الإنسان وراحته على حساب دينه وآخرته.

لقد جعل الله له أولياء يدافعون عن أحكامه، ويصدون كل من يسعى إلى الوصول بتلك الأحكام إلى صورة مغايرة للحقيقة، ولو بتلك النسبة البسيطة؛ لأن الانحراف أوّل خطوة ينتهي بمنهج منحرف، ولقد كان للسيدة الزهراء ذلك الدور الريادي في الذود والدفاع عن تلك الأحكام؛ لأنها تعتقد جزمًا أنَّ ذلك التغيير سوف يجرُّ الولايات على الإسلام والمسلمين، وهذا ما كان واقعاً.



لقد كان تشخيص الزهراء عليها السلام دقيقاً في وصف الملابس التي تلت رحيل رسول الله صلوات الله عليه وآله، فأرادت أن تفضح تلك المخططات التي البست لباس الإسلام ظاهراً، وهي تستبطن النفاق والكفر والخروج عن سنن الله وأحكامه، فقالت: «فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ، وَالزَّكَاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَهَاءً فِي الرِّزْقِ، وَالصَّيَامَ تَثْبِيْتاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ». جعلت الزهراء عليها السلام في وصفها للشرك أنه حالة من الدنس التي تلوث حقيقة الإنسان، فنحن نعلم أن الأصل في الأشياء الطهارة، فالنفس عندما يوجدها الله تعالى، يوجدها طاهرة، إلا أنها عندما تجدد تلك البيئة الموبوءة والواقع المنحرف، نجد أنها يصيبها التلوث بالدرن، حتى كان الإيمان تطهيراً من ذلك النجس المعنوي، وقالت من الشرك، ولم تقل من الكفر، وفي ذلك حصر للخطاب فيمن تخاطب، فهم رغم أنهم مؤمنون ظاهراً إلا أنهم يعانون من الشرك الخفي، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٦]، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في النص السابق، هو أن الرجل يقول: لولا فلان هلك، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال الراوي: قلت: فيقول: لولا أن الله من عليّ بفلان هلك؟ قال: نعم لا بأس بهذا.

إذن يعدُّ الشرك ظاهرة مستشرية بين المسلمين، ليس اليوم أو قبل مئة سنة، لا بل الأمر كان حتى في زمن رسول الله صلوات الله عليه وآله، ورغم وجوده المبارك، إلا أن هذا المرض كان موجوداً، وقد شخّصت السيِّدة الزهراء عليها السلام ذلك بدقّة، وهو سبب لكثير من المشاكل التي يعاني منها المجتمع، ف«ورد عنه عليها السلام: يا أيها الناس اتقوا الشرك، فإنه أخفى من ديب النمل». فقال من شاء أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه».

أما الإيمان الذي يعدُّ العلاج الوحيد لذلك الشرك، والتطهير من دنسه، فهو الإيمان بما جاء به الرسول صلَّى الله عليه وآله، في الحفاظ على محورين مهمَّين يعدَّدان بيضة القبان، وهما فقط يحققان حالة التوازن، والإيمان بهما هو الإيمان الحقيقي، ولا يفرقان أبداً، وهما كتاب الله القرآن الكريم، وما حوى من حقائق إيمانية، وترجمانه أهل البيت عليهم السلام. قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «إني تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفرقا حتَّى يردَّا عليَّ الحوض»^(١). إنَّ حالة المفارقة لهذين المحورين يعدُّ السبب الأوَّل فيما أصاب الأمة من ضياع بعد رحيله صلَّى الله عليه وآله، فجعل التمسُّك بهما عاصماً من الضلالة، ومن كان التمسُّك بهما مانعاً من الضلالة، فالتمسُّك به واجب. والتمسُّك بالقرآن الكريم هو اتِّباعه، والاهتداء به، بالاتِّمار بأوامره، والانتهاز عن نواهيه، وأخذ معارف الشريعة وأحكامها وتعاليمها منه، والتمسُّك بأهل البيت عليهم السلام إطاعتهم، ولزوم تلقِّي تعاليم الدين الخنيف منهم، والعمل بأوامرهم ونواهيه، والاقتران إلى الله سبحانه وتعالى بهم، وهذا ما أكَّدت عليه الزَّهراء عندما قالت: «وإِمامَتنا أمانةٌ مِنَ الْفُرْقَةِ».

قالت الزَّهراء عليها السلام: «وَالصَّلَاةُ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةُ تَرْكِيبَةً لِلنَّفْسِ وَنَبَأاً فِي الرُّزْقِ، وَالصِّيَامُ تَثْبِيثاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجُّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ»^(٢). إنَّ الصلاة في حقيقتها تُبعد الإنسان عن أحد الأمراض التي عانت منها المجتمعات البشرية في أحقاب متتالية، وهو التكبر، ومن الملاحظ أنَّ التكبر هو صفة تلازم أهل الدنيا ممَّن لهم مكانة اجتماعية أو سياسية أو دينية، لذا حذرت منه السيدة الزَّهراء عليها السلام، وهذا يعكس لنا صورة المخاطبين والحال الذي هم عليه، فالإنسان الذي لا يملك الجاه والسلطة ومبررات الظهور، قد لا نجده متكبراً، بل ينذر أن نجد إنساناً متكبراً من لا شيء، لذا فإنَّ التكبر ملازم لمن شأنهم الظهور خاصَّة، وكانت الصلاة لهم علاجاً لأهمِّ جزء فيها، وهو السجود، حيث

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٢٧، ص ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٩، ص ٢٢٣.



يمرغ أنف الإنسان في التراب في حالة من الخضوع والتذلل لله تعالى، فضلاً عن الركوع الذي يعدُّ هو الآخر يمنح الإنسان سمة التذلل والخضوع له تعالى، والمراد بالتنزيه، أي يبعد الإنسان عن التكبر، فالصلاة تُبعد الإنسان عن التكبر، ولكن أي صلاة هذه التي أرادتها الزَّهراء عليهنَّ السلام، نعم هي تلك الصلاة التي «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإذا قُبِلت قبل منه سائر عمله، وإذا رُدَّت عليه ردَّ عليه سائر عمله، فإذا صَلَّيت فأقبل بقلبك إلى الله تعالى، فإنَّه ليس من عبد مؤمن يُقبل بقلبه على الله تعالى في صلاته ودعائه، إلَّا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين إليه، وأيده مع مودَّتهم إيَّاه بالجنة»، كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام.

فالصلاة إذن هي العلاج الوحيد للتكبر، ف«الكبر رداء الله، والمتكبر يناع الله رداءه»^(١)، ومن «نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة»^(٢).

لقد ادركت الزَّهراء عليها السلام عمق الشريعة الإسلامية، والاثار التي تترتب على أحكامها، فوصفتها كالحكيم الذي يصف العلة، فيحدّد لها العلاج المناسب، فقالت في بيان ما للزكاة من أثر: «وَالزَّكَاةُ تَزَكِيَةٌ لِلنَّفْسِ، وَنَبَاءٌ فِي الرِّزْقِ».

إنَّ للزكاة أثراً على حياة الإنسان، ويكون ذلك من خلال أثرين، الأثر الأوّل: الجانب المعنوي والروحي، فقالت: «وَالزَّكَاةُ تَزَكِيَةٌ لِلنَّفْسِ»، فالزكاة تطهّر النفس من الأنانية والإثرة، ومن الشحّ والبخل، فحبُّ المال غريزة في نفس الإنسان، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [سورة الفجر، الآية: ٢٠]، فعندما يعمد إلى ذلك المال ويُخرج جزءاً منه، ويدفعه إلى مستحقّيه، أو بيت المال، فهو يفرط بما يحبُّ، وهذا بدوره تحدّي للنفس، أي حالة من الترويض والتربية التي شاء الله أن يربّي العبد عليها؛ لتصفوا نفسه، وليقلَّ تعلُّقها بمتعلّقات الدنيا، الذي يعدُّ المال أوضح مصاديقها، ودفع الزكاة

(١) جامع أحاديث الشيعة: السيّد البروجرديّ، ج ١٣، ص ٤٤٥.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ٢٩٤.



ترغب الإنسان بالزهد الذي يحميه من العبودية للمال، وتنمّي بداخله مشاعر المودة والمحبة بين الناس، والمشاركة في إقالة عثراتهم، ودفع حاجاتهم، وتلبية رغباتهم. فنحن نعلم أنّ الفقر بابٌ فيه ذلّةٌ للإنسان، قد يتعرّض له أي إنسان، أيّا كان مقامه وما يملك، لذا جاءت الزكاة لتحفظ كيان الإنسان من التعرّض لهذه الذلّة، فضمنت له ما يكفيه من حقّ في أموال الغير، وهو صورة من صور التكافل والتماسك الاجتماعي، وأهل البيت كانوا دقيقين في مسألة حفظ كرامة الإنسان، حتّى في طريقة إعطاء الزكاة، فروي عن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟ قال: يأتوني إلى المنزل فأعطيهم. فقال لي: ما أراك يا إسحاق إلّا قد أذلت المؤمنين، فيأياك إياك، إنّ الله تعالى يقول: مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ أَرْصَدَ لِي بِالْمَحَارَبَةِ»^(١).

والزكاة هي تطهير لنفس المعطي والآخذ، فالمعطي عرفناه، أمّا الآخذ فهي تجعله يعيش حالة المعية، أي إنّ الإسلام لم يتركه الله يتكفّف الناس، بل فرض ما يسدّ حاجته ويغنيه في أموال غيره، فعندما يستشعر هذا الأمر يدرك أنّ دين الإسلام هو دين عزّة وكرامة، الهدف منه هو الحفاظ على كيان الإنسان وبنائه بناءً صحيحاً متكاملًا من كل الجوانب، فذلك الشعور هو باب من أبواب القرب والتربية للنفس على العمل والطاعة.

والزكاة تطهّر المال من حقّ الفقراء وغيرهم، وهو الجزء الثاني من مقولة السيدة الزهراء سلام الله عليها، وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٣]، وهي أحد وسائل نماء الأموال وزيادتها، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه»^(٢)، فالمال الذي تخرج

(١) وسائل الشيعة: الحرّ العاملي، ج ٩، ص ٣١٦.

(٢) ميزان الحكمة: محمّد الريشهري، ج ١، ص ٨٤١.



منه الزكاة لا ينقص، بل على العكس في ذلك، تكون فيه بركة النماء والزيادة، قال الإمام الحسن عليه السلام: «ما نقصت زكاة من مالٍ قطُّ»^(١)، فمن يدفع الزكاة طاعةً لله، ملبياً لأمره، فالله تعالى هو ضامن له ما أعطى، ويعوّضه في الدنيا في إنماء ماله وزيادته، وبثّ البركة فيه، وفي الآخرة بأن يجازيه جزاء المطيعين أجراً عظيماً عنده تعالى.

فالزكاة بذلك تحمي المجتمع من مفساد الفقر وذُلّ الحاجة ومشاعر الحقد والحسد والضعينة على الأغنياء، ففي وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام: «يا عليّ كفر بالله العظيم من هذه الأئمة عشرة، وعدّ منهم مانع الزكاة، ثمّ قال: يا عليّ ثمانية لا يقبل الله منهم الصلاة، وعدّ منهم مانع الزكاة، ثمّ قال: يا عليّ من منع قيراطاً من زكاة ماله، فليس بمؤمن ولا بمسلم ولا كرامة، يا عليّ تارك الزكاة يسأل الله الرجعة إلى الدنيا، وذلك قوله عليه السلام: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾»^(٢).

ثمّ قالت الزهراء عليها السلام: «والصَّيَامُ تَنْبِيْناً لِلْإِخْلَاصِ». لقد ركّز الإسلام على عنصر الإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥]، ففي الحصر دلالة على انحصار العبوديّة الحقيقيّة لله تعالى في الاخلاص، وقال تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٣) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ [سورة الزمر، الآية: ٢-٣]. إنّ للأمر في النصّ دلالة يتّضح من خلالها ما للإخلاص من أثر في الجانب العبادي لله تعالى، أي تحقّق العبوديّة الحقيقيّة، فالدين الحقيقيّ هو الدين الذي يتّسم بالإخلاص له وحده؛ لأنّ كلّ عمل يتخلّله نيّة أخرى غير التوجّه الحقيقيّ لله تعالى، فهو عمل فسد في معناه، وإن كان من حيث الظاهر قائم موجود، فعن الإمام علي عليه السلام: «طوبى لمن أخلص عمله وعلمه، وحبّه وبُغضه، وأخذَه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله»^(٤)،

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٩٣، ص ٢٨

(٢) وسائل الشيعة: الحرّ العاملي، ج ٩، ص ٣٤

(٣) ميزان الحكمة: محمّد الريشهري، ج ١، ص ٧٥٥



فالعَمَلُ الخالص، وإن كان قليل في مقداره، إلا أنه كثير في معناه ومنزلته عند الله تعالى، فالله لا ينظر إلى الكمِّ، وإنما ينظر إلى نوع العمل وطبيعته من حيث الإخلاص لله تعالى، ففيما ناجى الله تعالى موسى (عليه السلام): «يا موسى، ما أريد به وجهي فكثير قليله وما أريد به غيري فقليل كثيره»^(١)، وللإخلاص ثمار طيبة وآثار عظيمة ينالها العبد إذا اتَّسم بسمَةِ الإخلاص، قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): «ما أخلص عبد لله (صلى الله عليه وآله) أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢)، وعن الإمام علي (عليه السلام): «عند تحقق الإخلاص تستنير البصائر»^(٣).

وقولها سلام الله عليها: «والصَّيَامُ تَثْبِيْتًا لِلْإِخْلَاصِ» يدلُّ أن حالة الإخلاص هي حالة عرضية قد تنتاب الإنسان، لذا عبّر عن دور الصيام أنه مثبت للإخلاص، وما يحتاج إلى تثبيت فإن من شأنه الزوال وتغيير الحال، كذلك يدلُّ النصُّ أن الإخلاص هو ممّا يمكن أن يثبت في داخل العبد، ولكن ذلك يحتاج إلى مجاهدة وانقطاع عن كلّ ما حَرَّمَ الله، وابتعاد عن ملذّات الدنيا، وهذا حال الصائم، لذا خصّ من بين الفرائض أنه نال سمة التثبيت للإخلاص، الذي يعدُّ أساساً في قبول عمل العبد.

ولقد اختار الله فريضة الصوم ليكون صاحب الأثر الكبير في تثبيت الإخلاص، ويعدّ النفس للتقوى؛ لأنّه يُميت الشهوات، فتترفع الإرادة عن المحظورات، وبالتالي يكون الإنسان أقرب إلى تقوى الله وطاعته. كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٣].

إنّ الصوم يربّي النفس على عدم الشره الذي يمثّل حاجزاً أمام تلك الآثار الروحية

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٤، ص ٣٦.

(٢) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، ج ٢، ص ٣١٣.

(٣) ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج ١، ص ٧٦٠.



عند الإنسان، فالشره سبب أساسي في طغيان النفس، والابتعاد عن النقاء والإخلاص، فإنَّ «أقرب ما يكون العبد من الله إذا ما خفَّ بطنه»^(١)، فالصوم هو من أهمِّ العوامل والمؤثرات التي تربط الإنسان بخالقه، وتوقظه عن غفوته وغفلته.

فمن أثار الصوم هو جعل حاجز مانع بين العبد وما حوله من ملذَّات، قال رسول الله ﷺ: «عليك بالصوم، فإنه جنَّة من النار، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع، فافعل»^(٢)، وهذه الجنَّة التي عبَّر عنها الحديث، هي بحقيقتها تمثِّل صورة للإخلاص الذي نفذ إلى داخل العبد، فنشأ لأجله ذلك الحجاب الحاجز بينه، وبين ما لا يرضي الله تعالى.

وليس كلُّ من امتنع عن الطعام والشراب هو صائم، لذا نجد أنَّ كثيرًا ممَّن تجده يصوم شهر رمضان، إلَّا أنَّه ما يلبث أن ينقضي حتَّى يعود إلى ما كان عليه من المعاصي، فهنا الصيام لم يقدِّمه بدوره الحقيقي، وهو حصول العبد به على تلك الملكة التي تمنعه عن الدخول في المعصية مرَّة أخرى، فهذا ممَّن لم يثبت الإخلاص في داخله، قال الصادق عليه السلام: «إنَّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إنَّما للصوم شرطٌ يحتاج أن يُحفظ حتَّى يتمَّ الصوم، وهو صمت الداخل، أمَّا تسمع ما قالت مريم بنت عمران: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٢٦]، يعني صمتًا، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضُّوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تحالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تفاتروا، ولا تجادلوا، ولا تتأذوا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تضاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة. والزموا الصمت والسكوت، والحلم والصبر والصدق، ومجانبة أهل الشرِّ، واجتنبوا قول الزور والكذب والفري والخصومة، وظنَّ السوء

(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٢٦٩.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٩٣، ص ٢٥٨.



والغيبة والنميمة، وكونوا مشرفين على الآخرة، منتظرين لآيامكم، منتظرين لما وعدكم الله، متزوِّدين للقاء الله، وعليكم السكينة والوقار والخشوع والخضوع وذلل العبيد الخيف من مولاه، خيرين خائفين راجين مرعوبين مرهوبين راغبين راهبين. قد طهرت القلب من العيوب، وتقَدَّست سرائركم من الخبث، ونظَّفت الجسم من القاذورات، وتبرَّأت إلى الله من عداه، وواليت الله في صومك بالصمت من جميع الجهات، ممَّا قد هناك الله عنه في السرِّ والعلانية، وخشيت الله حقَّ خشيته في سرِّك وعلانيتك، ووهبت نفسك لله في آيام صومك، وفرَّغت قلبك له، ونصبت نفسك له فيما أمرك ودعاك إليه. فإذا فعلت ذلك كلَّه فأنت صائمٌ لله بحقيقة صومه، صانعٌ له لما أمرك، وكلَّمًا نقصت منها شيئاً فيما بَيَّنْتُ لك، فقد نقص من صومك بمقدار ذلك»^(١).

وقالت الزَّهْرَاءُ سلام الله عليها: «وَالْحَجَّ تَشْيِيدًا لِلدِّينِ». في هذه الكلمات تبيَّن الزَّهْرَاءُ (عليها السلام) ما للحجِّ من أثر، وهو التشييد، لنرى كيف تقوم هذه الشعيرة العبادية الإسلامية بهذا الامر، فالحجُّ من فروع الدين، والفرع هو الجزء الذي يبين ويظهر من الأصل، ويتكوَّن من مجموعة من المناسك، فهو أكبر تجمُّع عباديَّ يتمُّ من خلال السفر إلى مكَّة المكرمة في الحجاز، يؤدِّي فيه المسلم هناك مجموعة من الأعمال العبادية، وله أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية، وأنَّ هذا التجمُّع وهذا الحدث سترك في نفوس كثير من الأسئلة عن هذه الطقوس العبادية التي تُظهر حالة من الانتظام والالتزام، يجتمع فيه المسلمون مجموعات من جميع الفرق الإسلامية بمكَّة، وفي هذا إظهار للعالم ما في الإسلام من انتظام وتماسك المسلمين فيما بينهم، إذ يتوجَّهون إلى قبلة واحدة ويؤمُّهم إمام واحد، ويتنظَّمون في وقتٍ واحدٍ، وهذا صورة من صور إظهار بناء الإسلام الذي عبَّرت عنه الزَّهْرَاءُ (عليها السلام) بالبناء المشيَّد، فهي كأنَّها جعلت الحجَّ ذلك، الصرح الكبير بكلِّ ما يحمل من معاني العبودية والولاء لله تعالى، جعلته صرحاً شامخاً

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٩٣، ص ٢٩٣.



يعانق السحب رفعة وعلواً لهذا الدين الحنيف، وفي هذا التركيب صورة متماسكة ودقيقة في وصفها لهذا الركن العظيم والفرع من فروع الدين الإسلامي، ففي الحجّ إظهار لعظمة الله تعالى، حيث نجد تلك الجموع الغفيرة كلّها تضحّ وتلبّي الله تعالى إقراراً واعترافاً بعبوديته، فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام من أنّ الحجّ يبعث على التواضع أمام عظمة وعزة الباري عز وجل. قال عليه السلام: «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ»^(١). وذكر في خطب أخرى حكم مختلفة للحجّ كأن يكون ساحة للاختبار الإلهي لتحمل الصعوبات، ومساحة للتقارب بين المسلمين، والتقرب إلى الله تعالى.

وفي الحجّ ثمار جمّة، منها تحقّق حالة من التعارف بين المسلمين، وهو صورة من صور تشييد بناء الدين، فقد روي عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: ما العلة التي من أجلها كلّف الله العباد الحجّ والطواف بالبيت؟ فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَأَمَرَهُمْ بِمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الطَّاعَةِ فِي الدِّينِ، وَمَصْلَحَتِهِمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ، فَجَعَلَ فِيهِ الْاجْتِمَاعَ مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لِيَتَعَارَفُوا، وَلِيَنْزِعَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ التَّجَارَاتِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَلِيَتَنَفَعَ بِذَلِكَ الْمَكَارِي وَالْجَمَالَ، وَلِتَعْرِفَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَعْرِفَ أَخْبَارَهُ، وَيَذَكَرَ وَلَا يَنْسَى، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَوْمٍ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى بِلَادِهِمْ وَمَا فِيهَا هَلَكُوا وَخَرِبَتِ الْبِلَادُ، وَسَقَطَتِ الْجَلْبُ وَالْأَرْبَاحُ، وَعَمِيتِ الْأَخْبَارُ، وَلَمْ تَقْفُوا عَلَى ذَلِكَ، فَذَلِكَ عِلَّةُ الْحَجِّ»^(٢).

إنّ الحجّ يمثل صورة من صور العود إلى الله تعالى، فالكلّ نلاحظ أنّه ارتدى ملابسه البيضاء، يريد أن يرجع إلى الله بذلك اللون الأبيض، بعيداً كلّ الشوائب والأدران التي

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام عليّ عليه السلام، ج ١، ص ٢٧.

(٢) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ١١، ص ١٤.



قد تلوثه في حياته، فنجد المسلم يعيش حالة من الصفاء والقوة الإيمانية بما لم نره في غيرها من الاماكن، وهذا مصدر قوة للبناء الديني حتى وإن عاد إلى أهله، نلاحظ أن لفظ (حاج) تبقى وقاءً له عن كثير من الأمور التي كان قد تمرَّ عليه قبل هذا الحال، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل، قال: «وعلة الحجّ الوفاة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحظرها الشهوات واللذات، والتقرب بالعبادة إلى الله تعالى، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً إليه في الحرّ والبرد والأمن والخوف، دائماً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرغبة إلى الله تعالى، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس، ونسيان الذّكر وانقطاع الرجاء والعمل، وتجديد الحقوق، وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها، ومن في البرّ والبحر، ممّن يحجّ وممّن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك؛ ليشهدوا منافع لهم»^(١).

ونجد أن الزّهراء، وهي تدافع عن أحكام الله تعالى، انطلقت من مرتكز مهم، وهو المطالبة بالحقوق المغصوبة، وهو صورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الشعيرة المعطّلة، التي يعدّ تعطيلها سبباً لانتكاسات الأمّة على مرّ التاريخ، فقد أدركت الزّهراء عليها السلام ومنذ اللحظة الأولى لرحيل رسول الله صلّى الله عليه وآله أن هناك مؤامرة تتعرّض لها الأحكام الإلهية، فعندما طالبت الزّهراء عليها السلام بفدك من الخليفة الأوّل، هي لم تطلبها كحقّ شخصي، وإنّما هي حقّ إلهي انتزع غصباً وعدواناً، وهو بداية للانحراف عن أحكام الله تعالى، فقالت: «يا بن أبي قحافة، أفني كتاب الله أن تترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً على الله ورسوله، أفعل عِمِدَ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٢٦.



إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٦]، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم، الآية: ٥-٦]، وقال (أيضاً): ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [سورة الانفال، الآية: ٧٥]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرَّمْتُ حَظَّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١]، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٠]، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية (من القرآن) أخرج أبي محمداً عليه السلام منها؟ أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟^(١)

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٩، ص ٢٢٧



المحور الثاني

الحفاظ على أصول الدين الحقّة

ومنها:

الإمامة

لقد كانت الخطبة الفدكية تمثل انعطافة في مسيرة الدعوة الإسلامية، كان الغرض منها كشف زيف من تسرّ بالدين، وغصب الحقوق، وتسبب قيادة الأمة من هو ليس أهلاً لذلك، فقالت عليها السلام: «وَطَاعَتَنَا نِظَامًا لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَانًا مِنَ الْفُرْقَةِ».

إن طاعة أولياء الله تمثل طاعة الله تعالى، وقد قرنت بطاعته تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩]، وإن فائدة هذه الطاعة التي ندها الله في قوله، هي توفر حالة من الانتظام في السلوك على مستوى الأفراد والمجتمعات؛ لأن المنهج واحد، لا تعدد ولا اختلاف، وهذا بدوره يؤدي إلى انتظام الأمور في كل حكم من الأحكام التي يحتاجها الإنسان في حياته، ونحن نرى ما عليه الأمة من تشتت وعدم انتظام في أمورها، والسبب أن الطاعة وجّهت إلى غير محلّها، فعندما تكون الطاعة لغير أولياء الله، فلا ريب أن تكون هذه الطاعة ناقصة، وهذا النقصان يسبب عدم الانتظام لتعدد الآراء والأقوال في الحكم الواحد، وهذا بدوره يربك مشهد الحياة، فعن بشير العطار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نحن قوم فرض الله طاعتنا، وأنتم تأتمنون بمن لا يُعذرُ الناسُ بجهالته». وعلة هذا الفرض هو





ما ينتج عنه من انتظام ونصب الأمور بمحلّها، فهم الأعلام، وهم الأكثر إحاطة بقوانين الله وأحكامه، فقد خصّهم الله بكرامته وولايته، قال الإمام عليّ عليه السلام: «إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا، إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاسْتَغْلَوْا بِأَجْلِهَا، إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشَوْا أَنْ يَمِيتَهُمْ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّ سَيَرَكَهُمْ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا، أَعْدَاءُ مَا سَالمَ النَّاسُ، وَسَالمَ مَا عَادَى النَّاسُ، بِهِمْ عَلمَ الْكِتَابِ، وَبِهِ عَلمُوا، وَبِهِم قَامَ الْكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا، لَا يَرُونَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ»^(١).

ومن هنا يتّضح لنا جلياً ما لهذه الطاعة من أثر في إحقاق الحقّ، وانتظام أمور المسلمين، لذا نرى أَنَّ الخليفة الأوّل والثاني في كثير من المواقف، كانوا يستنجدون بالإمام عليّ عليه السلام، حتّى قال قائلهم: «لَا أَبْقَانِي اللَّهُ لِمَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ»^(٢).

تعدّ الإمامة الأصل الرابع ضمن منظومة العقائد التي يؤمن بها أتباع أهل البيت عليه السلام، وهي العنصر الذي ينفردون به عن غيرهم من التوجّهات العقائدية الأخرى، وذكرنا فيما سبق ما لطاعة أهل البيت عليه السلام من الأثر الكبير في تحقّق العدالة الإلهية، وانتظام أمور الأمّة.

ثمّ قالت السيدة الزهراء عليها السلام: «وَأِمَامَتُنَا أَمَانًا مِنَ الْفُرْقَةِ». بعد أن بان لنا الأثر في طاعة أهل البيت عليه السلام، جاءت الزهراء عليها السلام لتكشف لنا ما لولايتهم من أثر في الحفاظ على النسيج الإسلامي من التمزّق، فالاعتقاد بإمامتهم يمثّل حصن الأمّة وحاميها من التفرقة، حتّى قال الرسول صلى الله عليه وآله: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٣). لقد حدّدت الزهراء عليها السلام مصدر القوّة في كيان الأمّة، لذا نلاحظ أَنَّ أعداء الإسلام وأعداء

(١) ميزان الحكمة: محمّد الريشهريّ، ج ١، ص ٣٦٩٨.

(٢) بحار الأنوار: العلّامة المجلسيّ، ج ٤٠، ص ١٤٩.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، ص ٤٠٩-٤١٠.



الله قد أدركوا ذلك، فعمدوا إلى هذا الصرح الإلهي، فأرادوا أن يقوِّضوا معاملته، فحبسوا الأمور عن أهلها، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله تحذير خطير يبيِّن لنا عاقبة من لم يقرَّ بإمامة أهل البيت عليهم السلام، فموت على غير دين الله، وهي الجاهلية، ولو بحثنا ودقَّقنا نجد أنَّ المعرفة المرجوة هي ليست المعرفة الظاهرية، وإنَّما هي تطبيق لتعاليم الله وأحكامه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلَّا من اتَّقَى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلَّا بالتواضع، والتخشُّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرِّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفِّ الألسن عن الناس إلَّا من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدًا بهذه الصفة. فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحبُّ عليًّا وأتولاه، ثمَّ لا يكون ذلك فعلاً؟ فلو قال: إنِّي أحبُّ رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله خيرٌ من عليٍّ عليه السلام، ثمَّ لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحبُّ العباد إلى الله ﷻ، وأكرمهم عليه، أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرَّب إلى الله تبارك وتعالى إلَّا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحدٍ من حجة، من كان لله مطيعاً، فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً، فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلَّا بالعمل والورع»^(١).

إنَّ إبعاد الإمام عليٍّ عليه السلام وأهل البيت عن خلافة المسلمين يمثل تحدياً كبيراً، كان سبباً لتشتت الأمة وفرقتها، ومنذ ذلك اليوم تعاني الأمة ما آلت إليه الأمور بعد اجتماعهم في السقيفة، وما سبقه من أحداث مهَّدت لذلك، كيوم الدار وغيرها، وصرَّحت الزَّهراء عليها السلام بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام، وأهل البيت في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، وفضلهم على

(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٧٤.



غيرهم، فقالت عليها السلام: «وأبعدتم من هو أحقُّ بالبسط والقبض»^(١). وقالت عليها السلام في موضع آخر: «ويجهم أني زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطّين بأمور الدنيا والدين»^(٢).

وفي إشارات منها عليها السلام أن الأئمة وقعت في المحضور من الأمر، وأن عاقبة ذلك وخيمة، فقالت: «فوسمتم غير إيلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لئما يندمل، والرسول لئما يقبر، بداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين»^(٣). لقد نبّهت الزّهراء عليها السلام أن الاختيار غير صحيح، وعندما تكون المقدمات غير صحيحة، فأنّى للنتائج أن تكون صحيحة.

لقد أكّد رسول الله مراراً وتكراراً إمامة أمير المؤمنين عليه السلام للأئمة، والشواهد التاريخية التي رويت من جمهور المسلمين شاهدة على ذلك، إلّا أنّنا نلاحظ أنّ الأئمة بعد رحيله صلى الله عليه وآله عمدت على هذا الامر وأرادت نقضه وإقصاء ولده عن محلّهم الذي وضعه الله لهم واختارهم له، وكان ذلك سبب في ضياع الأئمة وتشبّثها، وقد شخّصت السيّدّة الزّهراء خطورة ذلك الموقف، ونددت بذلك رافضة تنحية أمير المؤمنين عليه السلام عن المحلّ الذي نصبه الله ورسوله فيه، فقالت: «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتّى يظأ صماخها بأخمصه، ويحمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تربصون بنا الدوائر، وتتوكّفون

(١) الأسرار الفاطمية: الشيخ محمّد فاضل المسعودي، ص ٤٩١.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٣، ص ١٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢٩، ص ٢٢٥.



الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال»^(١).

وللزَّهراء عليها السلام مواقف أخرى في الدفاع عن الإمامة، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنَّ عليًّا عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمارٍ، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصر، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمِّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال عليُّ عليه السلام: أكنت أترك رسول الله ﷺ ميتاً في بيته لا أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»^(٢).

إنَّ خروج الزَّهراء عليها السلام ليلاً مع الحال التي هي عليه، من لوعة فراق رسول الله ﷺ، وما تعانیه من ضعف الحال، وما عليه يومئذ السلطة من ملاحقة المعارضين لأحكامها، كان ذلك دوراً رسالياً لا يقوم به إلّا من أدرك الإسلام وحقيقة الإيمان، وما يترتب عليه من واجب إسلاميٍّ مقدّس في الحفاظ على العقيدة الحقّة من الضياع والانحراف، وهو درس في غاية الأهميّة يحقُّ لنا بالاعتداء والاحتذاء به، ليس لنا فقط، بل للأجيال كافّة.



(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام: الحاج حسين الشاكري، ج ١٠، ص ٢٣.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٨، ص ٣٥٢.

المحور الثالث

الزَّهراء (عليهنّ السلام) ودورها في الحفاظ على المعارف الإلهية

لقد كان للسيدة الزَّهراء (عليها السلام) الأثر الكبير في الحفاظ على المعارف الإسلامية الحقّة، فهي قد أخذت على عاتقها إثارة حالة من الوعي عند كثير من النساء التي كانت تجتمع فيهنّ، وتبيّن لهنّ تلك المعارف التي أرادها الله تعالى، فضلاً عن خطبتها في المهاجرين والأنصار. نعم إنّ الزَّهراء (عليها السلام) في مواقفها كانت فرقاناً بين الحقّ والباطل، وكانت الصوت الذي أزعج أعداء الإسلام، ورغم ما كان منهم، إلّا أنّها لم تبرح عن مطالبتها في عودة الحقوق إلى أهلها، والأمور إلى نصابها، بما أراد الله تعالى، فلم تقف عن دعوتها للحقّ، رغم أنّ ذلك كلفها الكثير، حتّى ذهبت شهيدة مضرّجة بدمها، مظلومة مغصوب حقّها.

لقد قامت فاطمة الطاهرة (سلام الله عليها) بدور القائد الحقيقي؛ فكانت تدرك ما تفعل وتعي ما تقول فحركتها كانت حركة القائد الواعي الذي يحدد أهدافه ويسعى إلى تحقيقها كما قال السيّد الخميني: «لو كانت الزَّهراء رجلاً لكان نبياً»^(١) وهذا القول يكشف لنا ما للزَّهراء (عليها السلام) من دور في الحفاظ على مرتكزات العقيدة الإسلامية التي يمكن ان نطلق عليها اسم المعارف الإلهية فأدت (عليها السلام) الدور الملقى على عاتقها بأحسن وجه، فاستحقت أن تكون سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

(١) مكانة الزَّهراء (عليها السلام) في فكر الإمام الخميني (رحمته الله): الشيخ فادي سعد:

<https://baqiatollah.net/article.php?id=3433>.

إنَّ الزَّهْرَاءَ عليها السلام بهذا الدور استطاعت أن تعطي للأجيال فرصة ومساحة واسعة في البحث واستقصاء المعارف الحقَّة، ومنهج يمكن أن يصل به الإنسان إلى برِّ الأمان، فكانت منهجاً وطريقاً إلى الحقِّ، اتَّضح لنا من خلال جملة من مواقفها التي عبَّرت وطالبت بها لتعطي لنا درساً أن لا نسكت عن الباطل أبداً، مهما قويت شوكته، فالحقُّ كلُّ الحقِّ مع المنهج المستقيم الذي تمثَّله رسالة السماء، التي جسَّدها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وأهل بيته تجسِّداً عملياً، فكانت سيرتهم منهجاً يتَّبَع، وسبيلاً يُقْتَفَى به للوصول إلى رضا الله تعالى.

لقد جسَّدت الزَّهْرَاءُ تلك المعارف الإلهية تجسِّداً عملياً، وهذا أسلوب من أساليب الحفاظ على تلك المعارف، عندما تنقل للأجيال من خلال سيرتها العملية، فقد جسَّدت الأخلاق الإسلامية والقيم السامية والمودة والعدل في تعاملها مع زوجها وأبيها وأولادها، فعن الإمام الحسن عليه السلام قال: «رأيت أُمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راکعة ساجدة حتَّى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعوا لنفسها بشيء. فقلت لها: يا أُمّاه، ولم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثمَّ الدار»^(١).

كانت تعلِّم النساء ما يشكل عليهنَّ من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضرورية، وكان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها، ويبدو أنَّ بيتها كان المدرسة النسائية الأولى في الإسلام، حيث تُقبل عليها النساء طالبات للعلم، فيجدن فاطمة العالمة وهي تستقبلهنَّ بصدر رحب لا يعرف الملالة والسأم.

عن الإمام العسكري عليه السلام قال: «حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزَّهْرَاءِ عليها السلام فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، فثَّنت فأجابت، ثمَّ ثلَّثت إلى أن عَشَّرت

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٨٦، ص ٣١٣.



فأجابت، ثمّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله. فقالت عليها السلام: هاتي وسلي عمّا بدا لك.. إنّي سمعت أبي يقول: إنّ علماء أُمّتنا يُحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتّى يُخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور»^(١).

وعنه عليه السلام قال: «قالت فاطمة عليها السلام، وقد اختصمت إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجّتها، فاستظهرت على المعاندة، وفرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنّ حزن الشيطان ومردته أشدّ من حزنها»^(٢).

ولم تقتصر في تعليمها على النساء، بل كانت عليها السلام تطرف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة، فعن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله عنك شيئاً تطرفينيه. فقالت: «يا جارية، هاتي تلك الحرية»، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحك اطلبيها، فإنّها تعدل عندي حسناً وحسيناً»، فطلبتها فإذا هي قد قمّتها في قيامتها، فإذا فيها: «قال محمّد النبي صلّى الله عليه وآله: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلّ خيراً أو يسكت. إنّ الله يحبّ الخير الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السّئال الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، وإنّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار»^(٣).

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧، ص ٢٢٥.

(٢) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ١١.

(٣) الكافي: الشيخ الكليني، ج ١، المقدمة، ص ٦.



نتائج البحث

لقد تمخض بحثي هذا عن جملة من النتائج التي يمكن بيانها في الآتي:

١. سعت السيدة الزهراء عليها السلام لأن يقوم النظام الإسلامي على الأسس الصحيحة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وآله، وطبقها وسار فيها الإمام علي عليه السلام، ومن بعده أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام.
٢. لقد ركزت السيدة الزهراء عليها السلام على مسألة في غاية الدقة والاهمية، وهي مسألة الإمامة باعتبارها تنظم شؤون الأمة، وتحفظها من الضياع، وعبرت عن ذلك بقولها: «وإمامتنا نظاماً للملّة».
٣. سعت السيدة الزهراء عليها السلام لأن تعطي للأمة درساً في أن الحقوق يُسعى لها، وتؤخذ لا تعطى، ففي خروجها ومطالبتها بحقوقها أرادت أن توضح أن ذلك هو المنهج المطلوب في مواجهة الظالم والغاصب، ولا بد من الوقوف تلك الوقفة الشجاعة للمطالبة بالحق ورد المظالم عن المجتمع.
٤. إن الزهراء عليها السلام بموقفها أعطت صورة للأجيال عن حجم المؤامرة التي كانت قد وقعت فيها الأمة، تلك المؤامرة التي أودت بالأمة إلى حالة من الضياع والتشطي، والابتعاد عن المنهج الحق، فخروجها لم يكن جزافاً، ولكن كان موقفاً من خلاله انفضحت كثير من المؤامرات.
٥. الزهراء عليها السلام تمثل الفرقان بين الحق والباطل، ففي قولها وخطابها أمام القوم، كانت تمثل رسول الله صلى الله عليه وآله قبال المنهج المنحرف الذي اراد بالإسلام الضياع، فأرادت أن تعلم المجتمع المنهج الذي لا بد أن يتبع، وأن لا نسعى وراء كل صيحة.



٦. ركّزت الزّهراء في خطابها على أهمّ مرتكزات المعارف الإسلامية، التي لا بدّ للفرد المسلم أن يكون محيطاً بها، بدءاً من مسألة التوحيد الذي يعدّ المعيار الأوّل في الإسلام، وبيّنت معنى التوحيد الحقيقيّ، وهو التوحيد العمليّ، ثمّ عرّجت على مسألة مهمّة أخرى، وهي مسألة الإمامة باعتبارها من المسائل التي تعدّ محلّ خلاف الأُمّة، وأثبتت تلك الحقيقة من خلال مجموعة من الشواهد الحاضرة في أذهان كثير من السامعين يومئذ.

٧. دعت السيّدة الزّهراء عليها السلام المسلمين من مهاجرين وأنصار والخطاب موجّه إلى المسلمين كافّة عبر الأجيال إلى أن يكونوا متمسّكين بحقوقهم، وأهمّ حقّ هو الطاعة لله تعالى، وطاعة من أمر الله بطاعتهم، والحفاظ على أحكام الله، وعدم التفريط بذلك الحقّ، أيّا كانت التّبعات، فهي سلام الله عليها ضحّت بنفسها وبجنيّتها من أجل الدّفاع عن الحقّ.

٨. إنّ المنهج المعرفيّ الذي خطّته الزّهراء لنا هو المنهج العمليّ للشريعة الإسلامية، يمكن الاستفادة من كلماته رغم قلتها، إلّا أنّها كانت معبرة وذات أثر كبير في الساحة الإسلامية.

٩. يمكن أن نتخذ من السيّدة الزّهراء منهجاً وقدوة ترفد منظومتنا المعرفيّة بكلّ ما فيه صلاح ديانا وآخرتنا، ومنهج يحقّق حالة من السعادة والاستقرار في بيت كلّ إنسان اتّخذ من سيرتها منهجاً، ومن كلماتها مشرباً رويّاً عذباً.

في الختام ادعو الله تعالى التوفيق للجميع، وأن يجعلنا ممّن يقتفي أثر هذه السيّدة العظيمة في منهجها وسيرتها العطرة، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

مراجع البحث

١. الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي. الجزء الثاني. تعليقات وملاحظات: السيّد محمد باقر الخراسان. منشورات دار النعمان للطباعة والنشر.
٢. الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي. الناشر: (مشترك) مؤسسة الزائر في الروضة المقدّسة لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة.
٣. بحار الأنوار: العلم العلامة الحجة فخر الأئمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي «قدس الله سرّه، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.
٤. جامع أحاديث الشيعة: آقا حسين الطباطبائي البروجردي، الناشر: دار الأولياء، بيروت، لبنان.
٥. جامع السعادات: محمد مهدي بن أبي ذر النراقي، تحقيق: محمد كلانتر، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف.
٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام: أبو جعفر الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ) الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٧. الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، مكان النشر: قم، الناشر: مطبعة الخيام، ١٤٠٣هـ.
٨. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ أبو جعفر الصدوق، محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه (ت ٣٨١هـ)، الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان.
٩. مكانة الزهراء عليها السلام في فكر الإمام الخميني قدس سره: الشيخ فادي سعد:

<https://baqiatollah.net/article.php?id=3433>





١٠. موسوعة المصطفى والعترة عليه السلام: الحاج حسين الشاكري، مؤسسة نشر الهادي، قم، إيران.

١١. ميزان الحكمة: الشيخ محمد الريشهري، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده.

١٣. وسائل الشيعة: الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الخضر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، جمادى الثانية، ١٤٠٩هـ.



الأذكار المقدسة ومضامينها عند أهل البيت عليهم السلام

تسبيح الزهراء عليها السلام أنموذجاً

الباحثة حوراء خضير عبّس

الملخص

من الشعائر الإسلامية التي أكّدها القرآن الكريم، هي شعيرة التسبيح، تلکم الشعيرة التي تزيد في إيمان الإنسان، وتضيف عليه هالة من النورانية، عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التي ذكرها القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة.

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تلك الشخصية الإنسانية التي تحمل طابع المرأة، لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً صلى الله عليه وآله ليكون آية قدرة في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته الزهراء لتكون علامة وآية على قدرة الله في أبداع مخلوقه من الفضائل والمواهب، فلقد أعطى الله تعالى لفاطمة الزهراء عليها السلام أوفر حظاً من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة، بحيث لا يمكن لأي امرأة أن تبلغ تلك المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقهم آيات محكمات في الذكر الحكيم، تلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة.

لذا جاء بحثي الذي لم يف السيدة البتول عليها السلام جزءاً من حقها علينا، مقسماً على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أمّا التمهيد، فكان في التسبيح لغةً واصطلاحاً.
والمبحث الأول، تناولت فيه التسبيح في القرآن الكريم والروايات الشريفة.
أمّا المبحث الثاني، فقد قسّم إلى محورين:
الأوّل: فضل تسبيح الزّهراء عليها السلام.
الثاني: شروط تسبيح فاطمة عليها السلام.
أمّا المبحث الثالث، فقد قسّم إلى محورين أيضاً:
الأوّل: آثار تسبيح الزّهراء عليها السلام.
الثاني: شرح أذكار تسبيح الزّهراء عليها السلام.
ثمّ جاءت الخاتمة بأبرز النتائج التي توصلت إليها، تلتها قائمة بثبت المصادر.



المقدمة

الحمد لله الودود خالق الوجود، والصلاة والسلام على الأحمد المحمود، الحبل الممدود بين العبد والمعبود، الذي هو نفس عليّ وعليّ نفسه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ المنتجبين، ومن سار بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد...

فإنّ من الشعائر الإسلامية التي أكّد عليها القرآن الكريم، هي شعيرة التسييح، تلکم الشعيرة التي تزيد في إيمان الإنسان، وتضيف عليه هالة من النورانية، عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التي أكّد عليها القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة.

فاطمة الزّهراء عليها السلام تلك الشخصية الإنسانية التي تحمل طابع المرأة، لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإنّ الله تعالى خلق محمّداً عليه السلام ليكون آية قدرة في الأنبياء، ثمّ خلق منه بضعته وابنته الزّهراء لتكون علامة وآية على قدرة الله في أبداع مخلوقه من الفضائل والمواهب، فلقد أعطى الله تعالى لفاطمة الزّهراء عليها السلام أوفر حظّ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة، بحيث لا يمكن لأيّ امرأة أن تبلغ تلك المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقّهم آيات محكمات في الذّكر الحكيم، تُتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة.

ويُعدّ تسييحها ثروة إيمانية وعبادية، لا يمكن الاستغناء عنها، بوصفها لوناً من ألوان التّعبد والتهجّد التي يمارسها المؤمن كلّ يومٍ وليلة.

التمهيد

التسبيح في اللغة والاصطلاح

لا ريب أنَّ التسبيح يُعدُّ من الأصول المهمة والأسس المتينة التي ينبني عليها المعتقد فيما يتعلّق بمعرفة الربِّ تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته، إذ إنّ المعتقد في الأسماء والصفات يقوم على أصليْن عظيمين، وأساسين متينين، هما الإثبات للصفات بلا تمثيل، وتنزيه الله عن مشابهة المخلوقات بلا تعطيل.

فالتسبيح في اللغة: هو التنزيه، فأصل هذه الكلمة من السَّبَح، وهو البُعد، قال الأزهرى في تهذيب اللغة: «ومعنى تنزيه الله من السوء تبعيده منه، وكذلك تسبيحه تبعيده، من قولك: سبحتُ في الأرض إذا أبعدت فيها، ومنه قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس ٤٠)، وكذلك قوله: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ (النازعات ٣)»^(١).

والسُّبْحَة: «خَرَزَات يُسَبَّحُ بها، وهي أيضاً التَطَوُّع من الذكر، والصلاة، تقول: منه قضيتُ سبحتي»^(٢).

أمّا التسبيح في الاصطلاح: ف«هو إبعادُ صفات النقص من أن تُضافَ إلى الله، وتنزيهُ الربِّ سبحانه عن السوء وعمّا لا يليقُ به، وأصلُ التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه، والتبرئة له من ذلك»^(٣).

(١) جامع البيان، ابن جرير: ٢١١ / ١.

(٢) مختار الصحاح، الرازي: ٢٨٢.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهرى: ٣٣٨ / ٤.





المبحث الأول

التسبيح في القرآن الكريم والروايات الشريفة

التسبيح في القرآن الكريم

لقد ورد لفظ التسبيح ومشتقاته في القرآن الكريم ثمان وأربعين مرة، وهي موزعة في كل سور القرآن وآياته المباركة.

والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتلهيل، هي مفاهيم مشتركة، وعنوانها جميعاً تقديس الله سبحانه وتعالى الذي تفرّد بالعزّة والكمال.

والتكبير أن يكبر الله، ويقول: الله أكبر، فهو أكبر من كل كبير.

والتحميد أن يقول العبد: «الحمد لله، فلا يستحق الحمد إلا هو سبحانه، ولا يليق الثناء إلا عليه»^(١).

والتلهيل أن يقول العبد: لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره المشركون.

بعض آيات التسبيح:

١. قال تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء ٤٤).

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٠/٢٥.



٢. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء ٧٩).

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص ١٨).

٤. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ يُخْرِجُونَ اللَّهَ مُبْدِئَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور ٤١).

٥. قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر ٢٤).

٦. قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَّتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد ١٣).

لمحات في تفسير هذه الآيات:

١. إنَّ التسبيح الذي تثبته الآية لكل شيء، هو: التسبيح بمعناه الحقيقي، وقد تكرر في كلامه تعالى إثباته للسموات والأرض، ومن فيهنَّ، وما فيهنَّ، وفيها موارد لا تحتمل إلا الحقيقة.

٢. التسبيح تنزيه قوليّ كلامي، وحقيقة الكلام الكشف عمّا في الضمير بنوع من الإشارة إليه والدلالة عليه.

٣. (ما) تطلق على عامّة الموجودات ما عقل منها وما لم يعقل.

٤. قال الأشاعرة: «إنَّ البهائم والجماد إنّما تسبّح الله بلسان الحال، لا تسبيح له بلسان المقال»، يعني ليس له قابلية أو أدراك التسبيح.

٥. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿ (ص ١٨-١٩)، ومثله قوله تعالى: ﴿يَجِبَالٌ أَوَّيٌّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ ١٠).



٦. إن التسبيح لله تعالى يمثل ظاهرة كونية تشمل كلّ الكائنات، حسب ما أكّده القرآن، تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر ٩٨).

٧. افتخر الملائكة عندما أرادوا لأنفسهم أن يكونوا خلفاء الله في الأرض: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة ٣٠).

٨. تسبيح الرعد حقيقة دلّ عليها القرآن، فنؤمن بها، وأن لم نفهم تلك الأصوات، فالله لا يُخْبِرُ إِلَّا بِمَا هُوَ حَقُّ، ويرسل الصواعق المدمّرة، يهلك بها من يشاء^(١).

٩. من الطرائف قول بعض المتصوّفة: «إِنَّ الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم»^(٢).

التسبيح في الروايات الشريفة

كان الرسول الأعظم ﷺ يُتَحِفُ أَهْلَ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُخَصِّصُهُمْ بِبَعْضِ الْأَدْعِيَةِ وَالْعِبَادَاتِ، كَمَا يُتَحِفُ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ ذَوِيهِمْ بِالْمَالِ وَالْوَلَايَاتِ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اهْتَمَوْا بِهَذَا التَّسْبِيحِ كَثِيرًا، وَأَوْصَوْا بِهِ شِيعَتَهُمْ، وَأَنْ يَعْلَمُوهُ لِأَوْلَادِهِمْ. لَعَلَّ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كَانَ يُخَصِّصُهُمْ ﷺ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، هُوَ أَهْلِيَّتُهُمْ لَهَا، فَالْهَدْيَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لِلْمَهْدِيِّ إِلَيْهِ.

فقد علّم رسول الله ﷺ ابن عمّه جعفر بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام المعروف باسمه، وعلم ابنته فاطمة عليها السلام التسبيح الذي يُعرَفُ بِاسْمِهَا.

(١) صفوة التفاسير، الصابوني: ٧٧/٢.

(٢) الكاشف في تفسير القرآن، محمّد جواد مغنّية: ٣٨٨/٤.

وللائمة عليها السلام عناية كبيرة بهذا التسبيح، وهو المقدم عندهم في التعقيب بعد كل فريضة، بل وحتى بعد الصلاة المستحبة^(١).

روى ابن الجوزي في هذا التسبيح عن الإمام علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة، ووسادة آدم حشوها ليف، ورحاين، وسقاء، وجرتين، فقال علي عليه السلام لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت^(٢) حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه. فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي.

فأتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما جاء بك وما حاجتك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك. واستحييت أن أسأله فرجعت.

فقال: فقال: ما فعلت؟

قالت: استحييت أن أسأله.

فأتياه جميعاً، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري.

وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فاخدمنا.

فقال صلى الله عليه وآله: لا أعطيكما وأدع أهل الصفوة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم.

فرجعا وأتاهما النبي صلى الله عليه وآله وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطيا رأسيهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رؤوسهما، فثارا.

فقال صلى الله عليه وآله: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتاني! قالوا: بلى.

قال: كلمات علمنيهن جبريل: تسبّحان الله في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً.

(١) أعلام النساء، علي محمد علي دخیل: ١١٥

(٢) سنو الدلو: جرّها من البئر.



وإذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبّراً أربعاً وثلاثين.

قال عليّ: فو الله ما تركتهن منذ علمنيهنّ رسول الله ﷺ^(١).

وما جاء في فضل هذا التسبيح وعناية أهل البيت ﷺ به:

١. قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي هارون المكفوف: «يا أبا هارون إنّنا نأمر صبياننا بتسبيح الزّهراء عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزّمة، فإنّه لا يلزمه عبد فيشقى»^(٢).

٢. قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «من سبح تسبيح الزّهراء عليها السلام ثمّ استغفر كفر له، وهي مائة باللسان، وألف في الميزان، وتطرد الشيطان، وترضي الرحمن»^(٣).

٣. قال الإمام الصادق عليه السلام: «تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام في كلّ يوم، في دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من ألف ركعة في كلّ يوم»^(٤).

٤. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سبح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يشي رجله من صلاة الفريضة، غفر الله له، ويبدأ بالتكبير»^(٥).

٥. قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا﴾: «من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات»^(٦).

(١) صفة الصفوة، أبو الفرج بن الجوزي: ٢ / ٤.

(٢) ثواب الأعمال: الصدوق: ١٦٣، الكافي: الكليني: ٣ / ٣٤٣، الأمالي، الصدوق: ٤٦٤.

(٣) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٦٣.

(٤) الكافي، الكليني: ٣ / ٣٤٣، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٩٦.

(٥) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٦٤.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي: ٨ / ٣٥٨.

٦. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سبَّح الله في دبر الفريضة قبل أن يشني رجله بتسبيح فاطمة عليها السلام المائة، وأتبعها بلا إله إلا الله مرّة واحدة غفر له»^(١).

٧. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سبَّح تسبيح فاطمة عليها السلام في دبر المكتوبة قبل أن ييسط رجله، أوجب الله له الجنة»^(٢).

٨. وعن الصادق عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ «من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين لله كثيرا والذاكرات»^(٣).

٩. وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير الذي قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾»^(٤).

(١) المحاسن، البرقي: ٣٠.

(٢) فلاح السائل، ابن طاووس: ١٥٢.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي: ٨ / ٥٦١، الأحزاب: ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، الأحزاب: ٤١.



المبحث الثاني

شروط تسبيح الزّهاء عليه السلام

١. التوجه والخشوع في التسبيح:

الخشوع هو شرط مهم في جميع العبادات، حتّى المستحبة منها، وفي تسبيح الزّهاء بالطبع مؤكّد، وبدون الخشوع يصبح التسبيح لقلقة لسان، ولا يستفيد الشخص من بركاته؛ لأنّ قلبه لا يتوجّه إلى الله ﷻ، ولا يحصل على الكمال ما دام قلبه مشغولاً عن ذكر الله.

يقول الإمام الخميني رحمته الله عن الآداب القلبية لتسبيح فاطمة: «كما ذكرت في آداب التسبيحات الأربعة، يجب في تسبيح فاطمة أيضاً التبتّل والتضرّع والانقطاع والتذلّل في القلب، ومع التكرار يتعوّد القلب على هذه الحال، وإيصال الذّكر من اللسان إلى القلب حتّى يذوب القلب في الذّكر والتوجّه إلى الله»^(١).

٢. المباشرة بالتسبيح بعد الصلاة:

ومن شروط التسبيح الإتيان به مباشرةً بعد الفراغ من الصلاة، أي بعد التسليم مباشرةً، ولهذا أسرارٌ وفوائد أيضاً.

يقول الشيخ البهائي في هذا الشأن: «.. وليكن جلوسك في التعقيب متّصلاً بجلوسك في التشهّد، وعلى تلك الهيئة من الاستقبال، والتورّك، واترك في أثناءه الكلام

(١) الآداب المعنويّة للصلاة، الخميني: ٤٠٨.

والتلفُّ ونحوهما، فقد روي: أنَّ ما يضرُّ بالصلاة يضرُّ بالتعقيب»^(١).

٣. الموالاة في التسبيح:

بمعنى عدم الفصل والقطع بين الأذكار، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «أنَّه كان يسبِّح تسبيح فاطمة، فيصله ولا يقطعه»^(٢).

٤. من شكَّ في التسبيح يبني على الأقلَّ إن لم يتجاوز المحلَّ:

فلو سها فزاد على عدد التكبير أو غيره، رفع اليد عن الزائد، وبني على (٣٤) أو (٣٣)، والأولى على نقص واحدة، ثمَّ يكمل العدد بما في التكبير والتحميد دون التسبيح^(٣)، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا شككت في تسبيح فاطمة الزهراء؛ فأعد»^(٤).

٥. يستحبُّ التسبيح بالسبحة المتَّخذة من تربة الحسين عليه السلام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ أَدَارَ سُبْحَةً مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً، بِالِاسْتِغْفَارِ أَوْ غَيْرِهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَأَنَّ السُّجُودَ عَلَيْهَا يَحْرِقُ الْحُجُبَ السَّبعَ»^(٥).
وعنه عليه السلام قال: «السبحة التي من قبر الحسين عليه السلام تُسبِّحُ بيد الرجل من غير تسبيح»^(٦).

(١) مفتاح الفلاح، البهائي: ٦٦، وسائل الشيعة، محمَّد بن الحسن الحرَّ العاملي: ٤٥٨/٦.

(٢) روضة المتقين، المجلسي: ٣٦٤/٢.

(٣) تحرير الوسيلة، الخميني: ١٨٤/١.

(٤) الكافي، الكليني: ٣٤٢/٣.

(٥) وسائل الشيعة، الحرَّ العاملي: ٤٥٦/٦.

(٦) المزار، المفيد: ١٥١.



المبحث الثالث

آثار تسبيح أم أبيها عليها السلام وبيان أذكاريهاالمحور الأول: آثار تسبيح أم أبيها عليها السلام

تسبيح فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من المستحبات المؤكدة التي أكدت عليها الشريعة المقدسة، وهو ذو أهمية خاصة من قبل الأئمة عليهم السلام، وفقهاء الشيعة، حتى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أراد تعليم هذا التسبيح لفاطمة الزهراء عليها السلام، فقال: «يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا وما فيها»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام»^(٢).
مع أن هذا التسبيح يعدّ من العبادات السهلة والبسيطة، إلا أن له آثار عديدة، منها:

١. السعادة:

يترتب على تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام آثار وفوائد كثيرة، من جملتها الابتعاد عن الشقاوة، والوصول إلى السعادة.

والبحث عن السعادة هو همّ جميع الناس من جميع الفئات والشعوب، فكل إنسان يبحث عن السعادة، لكن بطريقته الخاصة، ووفقاً لمعايره، إذن الوصول إلى السعادة

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٣٦/٨٢.

(٢) الكافي، الكليني: ٣/٣٤٢.

من أهمّ المسائل التي تشغل بال بني البشر، حيث ينظّمون حياتهم وفق برامج خاصّة، يصلون خلالها إلى السعادة، ويتجنّبون الشقاوة، لكن بما أنّ الإنسان خُلِقَ مختاراً، يجب عليه أن يختار طريق السعادة على حرّيته، على هذا يختار الإنسان سبيله بعد أن يعلم طريق الخطأ والصواب، إمّا سبيل الهداية والصراط المستقيم، وإمّا طريق الشقاوة والسقوط في الهاوية^(١).

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

إذن هذه المسألة (الشقاوة وسوء العاقبة) يخاف منها البصير، ويغفل عنها المغفل النائم، فالمغفلون يقضون الأيام في غفلة من هذا الأمر، ولكن الفريق الأوّل يخاف سوء العاقبة والشقاء، وينشغل دائماً بالدعاء والذكر؛ خوفاً من الشقاء، ويتضرّع إلى الله ويدعوه أن يرزقه السعادة.

المداومة على تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام يوجب للإنسان السعادة، وحسن العاقبة. إذن من الجدير بنا حفظه والمداومة عليه وعدم تضييعه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «يا أبا هارون إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه، فإنه لم يلزمه عبد فشقى»^(٢).

ونعلم من هذا الحديث أنّه يجب على الوالدين تعويد أولادهم منذ الصّغر على تسبيح فاطمة عليها السلام، كما يعودونهم على الصلاة.

٢. طرد الشيطان، ورضى الرحمن:

الشيطان ألدّ أعداء الانسان منذ أن أقسم ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْذِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُحْصِينَ ﴿ (ص: ٨٢-٨٣). ولا ينجو منه الإنسان إلّا بالإخلاص والعمل الصالح.

(١) آثار وأسرار تسبيح الزّهراء عليها السلام، عليّ رضا رجالي: ٤٨-٤٩.

(٢) الكافي، الكليني: ٣/٣٤٣.





بعض بني البشر مشغولون بالفرار الدائم من الشيطان، والشيطان مشغول بمطاردتهم دائماً، فهم لا يتخلّصون أبداً من الشيطان، وربّما تعبوا من الفرار، واستسلموا أخيراً للشيطان وخدعه.

وفئة قليلة يحاولون طرد الشيطان من نفوسهم بالمداومة على الذكر والدعاء والعمل الصالح، ومن الطبيعي أنّهم سيواجهون الصعوبات في هذه الحرب الشيطانية، مَنْ يصل إلى هذا المقام يكسب النفس المطمئنة، ويصل إلى السكينة والثبات ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣).

عندما يوفّق الإنسان في طرد الشيطان، والمداومة على طاعة الله وعبادته، والتسلّح بسلّاح الإخلاص^(١)، يكسب رضا الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الشيطان (لعنه الله) ووساوسه مانع ضخّم أمام الإنسان للوصول إلى أعلى مدارج الكمال، نعم رضا الله ورضوانه ينشدهما الصالحون، وهما نهاية أمل العارفين، والورود في سلك الصالحين والعارفين إحدى هذه الطرق، والأذكار التي تساعد الإنسان على طرد الشيطان هي المداومة على تسبيح فاطمة عليها السلام.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «من سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام، ثمّ استغفر، غُفِرَ له، وهي مائة باللسان، وأُلف في الميزان، ويطرد الشيطان ويُرضي الرحمن»^(٢).

وفي رواية معتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا آوى أحدكم إلى فراشه، ابتدره ملك كريم، وشيطان مريد، فيقول له الملك: اختم يومك بخير، وافتح ليلك بخير، ويقول له الشيطان: اختم يومك بإثم، وافتح ليلك بإثم.

قال: فإن أطاع الملك الكريم، وختم يومه بذكر الله، وفتح ليله بذكر الله إذا أخذ

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص». جامع أحاديث الشيعة، السيّد البروجرديّ: ٣٧٢/١.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ: ١٠٢٣/٤.



مضجعه، وكبر الله أربعاً وثلاثين مرة، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين مرة، وسبح الله ثلاثاً وثلاثين مرة، زُجر الملك الشيطان، فتنحى عنه، وكلاه الملك حتى ينتبه من رقدته، فإذا انتبه ابتدره شيطانه، فقال له مثل مقالته قبل أن يرقد، ويقول له الملك مثل ما قال له قبل أن يرقد، فإن ذكر الله ﷻ العبد بمثل ما ذكره أولاً، طرد الملك شيطانه، فتنحى، وكتب الله ﷻ له بذلك قنوت ليلة^(١).

٣. الشفاء من الأمراض:

تسبيح فاطمة عليها السلام كما ورد في الأحاديث والروايات، شفاء من بعض الأمراض البدنية، ومن هذه الروايات:
أتى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام عنده، وشكى من ضعف في سمعه، فقال له الإمام عليه السلام: «عليك بتسبيح فاطمة عليها السلام، ما يمنحك ولماذا أنت ساه عن تسبيح فاطمة عليها السلام؟»^(٢).

فقال له الرجل: جُعِلَ فداك، وما هو تسبيح فاطمة عليها السلام، وكيف هو؟ قال الإمام: «(٣٤) مرة الله أكبر، و(٣٣) مرة الحمد لله، و(٣٣) مرة سبحان الله، فتلک مائة مرة». قال ذلك الرجل: فما فعلت ذلك إلا يسراً حتى أذهب عني ما كنت أجده^(٢).

٤. البراءة من النار والنفاق:

كما ذكرنا سابقاً في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن تسبيح فاطمة عليها السلام من تأويلات الذكر الكثير الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم: «تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾» (الأحزاب: ٤١).

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠٩ / ٧٦.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٣٤ / ٨٥.





وقال رسول الله ﷺ: «من أكثر ذكر الله ﷻ أحبّه الله، ومن ذكر الله كثيراً كُتِبَ له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»^(١).

وعلى هذا، من داوم على تسبيح فاطمة عليها السلام (بشرطها وشروطها)، كتب الله له البراءة من النار والنفاق.

٥. المغفرة:

أيضاً من آثار تسبيح فاطمة عليها السلام المغفرة، مغفرة الله سبحانه وتعالى طهارة من الذنوب والمعاصي وآثارها السيئة، وخرق الحجب المظلمة، والوصول إلى الكمال، لكن للأسف قليلون يعرفون معنى المغفرة وآثارها، وكيفية الحصول عليها، وكيف تحلّ المغفرة الإلهية جميع المشاكل؟ وترفع الحجب بين العبد وربّه.

ولكن ما الفرق بين العفو والمغفرة؟.

قليل في الجواب عن هذا السؤال: إنّ العفو الإلهي يعني غُضَّ النظر عن الأخطاء والعيوب والنقائص، ومحو آثارها. والغفران الإلهي يعني ما أفاض الله من الرحمة على الشخص الخاطئ والمذنب، بعد غُضَّ النظر عن أخطائه، فالغفران فضل من الله لتتميم نقائص العبد، وإيصاله إلى الكمال المطلوب.

والغفران يأتي بعد العفو، فالعفو ليس إلّا محواً للسيئات، ولكن الغفران تطهير لسالك الحقّ من السيئات، وتبديلها بالحسنات والدرجات.

والعفو الإلهي يُنجي الإنسان من السقوط والهلاك، وغفران الله يرفعه إلى منازل المقرّبين.

(١) الكافي، الكليني: ٤٩٩/٢.



إذن فلولا أن من الله على السالكين سبيل الرشd بالعفو والإغماض؛ لغلّبوا هنا، وانقلبوا صاغرين، ولولا غفرانه تعالى لم يتيسّر لهم البقاء والوصول إلى الكمال والقرب الإلهي.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أن يثني رجله من صلاة الفريضة، غفر الله له»^(١).

وربّما يعجب البعض من كثرة هذه الآثار المترتبة على عمل بسيط في الظاهر، لكنّه ينطوي على معاني عظيمة وأسرار التوحيد التي لا تخفى على أهل القلوب والعارفين الخالص، وإذا داوم عليه شخص بشرطها وشروطها، سوف يستفيد من آثارها إن شاء الله تعالى.

المحور الثاني: بيان الأذكار في تسبيح أم أبيها عليها السلام

الله أكبر:

الله أكبر، يعني أنّه أكبر وأجلّ من أن يدرك وصفه، فعندما يسأل أحد ماذا يعني (الله أكبر) يقول: أي إنّ الله أكبر من كلّ شيء، ولكن هذا الجواب خاطئ.

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رجل عنده: الله أكبر.

فقال: الله أكبر من أيّ شيء؟»

فقال: من كلّ شيء!.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: حدّدته.

فقال الرجل: وكيف أقول؟.

فقال: الله أكبر من أن يوصف»^(٢).

(١) الكافي، الكليني: ٣/ ٣٤٣.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ١١.



عندما نُكَبِّرُ من أعماق قلوبنا، أي عندما ينطبق اللسان والقلب في التكبير، نحسُّ بالقدرة والثبات والاطمئنان؛ لأننا نعلم أن جميع الجبابرة والطواغيت ذرّة ليس لها شأن أمام الله الكبير المتعال.

نعم، فهو واضح السنن والقوانين التكوينية على وجه الأرض، فلم يتحقّق النصر النهائي إلّا في ظلّ تلك القوانين والسنن، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، لكن المفروض على المكبر أن يكبر من أعماق قلبه وإيمانه، إذا كبر الشخص وفي قلبه تعظيم وتكريم لغير الله، لم يكن في تكبيره إلّا كذباً ومحتالاً.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «فإذا كبرت، فاستصغر ما بين السموات العلّى والثرى دون كبريائه، فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، فقال: يا كذاب أتخدعني، وعزّي وجلالي لا حرمك حلاوة ذكري، ولأحجبك عن قربي، والمسرة بمناجاتي»^(١).

الحمد لله:

الحمد يعني الشكر والمدح والثناء، يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته: الحمد لله تعالى بمنزلة الثناء عليه أمام الفضيلة، وهو أخص من المدح، وأعم من الشكر، فيمدح الشخص أمام أفعاله وصفاته الاختيارية وغير الاختيارية، ولكن الحمد يؤتى به أمام الاختيارية فقط، والشكر يستعمل أمام بذل النعم فقط، فكلُّ شكرٍ هو حمد، وليس كلُّ حمدٍ شكر.

والحمد أيضاً مدح، ولكن ليس كلُّ مدحٍ حمد^(٢).

عندما نقول في الصلاة: (الحمد لله ربّ العالمين)، يعني جميع الحمد والثناء خاصّ لله، ولا يستحق شيء أو تخصّ غيره، جميع الحمد لله سواء حمّد الناس غيره أو حمدوا الله

(١) مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق (عليه السلام): ٨٧.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني: ١٣٠.



سبحانه، فيجوز مدح الآخرين وشكرهم، ولكن الحمد مخصوص لله تعالى؛ لأنَّ العبادة تخصُّه سبحانه^(١).

يقول العارف الكامل الشيخ الجليل ميرزا جواد ملكي تبريزي في شرح الحمد لله، أي جنس الحمد:

وهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لله؛ لأنَّ كلَّ جمال يوجد فهو أثر من آثار جماله، وكلَّ خير في العالم فهو من آثار فيضه، وذكر اسم الله في المقام كأنَّه إشارة إلى علَّه اختصاص الحمد لله تعالى؛ لأنَّ الله اسم للذَّات المستجمع لجميع الكمالات والخيرات؛ لأنَّ كلَّ الكمال والخير منه وله، والظاهر أنَّ المراد منه إنشاء الثناء بهذا اللفظ، فيكون معناه أُثني على الله بجميع الثنايا، وأحمده بجميع المحامد كلَّها، والأخبار بمحموديته تعالى واقعاً في جميع المحامد، وإن لم يشعر الحامد به؛ لأنَّ قصد حامد زيد مثلاً في قبال إحسانه حمده، من جهة أنَّه منعم عليه، والمنعم الحقيقي في جميع النعم هو الله، كما في دعاء الصحيفة: «وأنت من دونهم وليُّ الإعطاء»، فيرجع الحمد كلُّه لله^(٢).

سبحان الله:

التسبيح يعني تنزيه الله سبحانه من كلِّ صفة غير محمودة. يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته: «السبح: المرُّ السريع في الماء وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سَبْحًا وَسَبَاحَةً، والتسبيح تنزيه الله تعالى، وأصله المرُّ السريع في عبادة الله تعالى وجعل ذلك في جعل الخير، كما جعل الإبعاد في الشر، فقليل: أبعد الله^(٣)».

إذن يشمل التسبيح جميع الأذكار والعبادات، كما يُسمَّى (الله أكبر) و(الحمد لله) و(لا اله إلا الله) تسبيحاً، مثل تسبيح فاطمة عليها السلام، والتسبيحات الأربعة.

(١) آثار وأسرار تسبيح الزهراء عليها السلام، علي رضا جالي: ٥٩.

(٢) أسرار الصلاة، ميرزا جواد مكِّي تبريزي: ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني: ٢٢٦.



«سأل رجل عمر بن الخطاب: ماذا يعني (سبحان الله)؟ فقال له: إن في هذا الحائط رجلاً كان إذا سُئِلَ أنبأ، وإذا سكت ابتدأ، فدخل الرجل، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، ما تفسير (سبحان الله)؟».

قال: هو تعظيم الله ﷻ وتنزيهه عما قال فيه كلُّ مشرك، فإذا قاله العبد صلى الله كلُّ ملك»^(١).

نعم، كيف لا نسبح الله سبحانه و تعالى، وهو يسبحه جميع من في السموات والارض. ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: ١)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

قيل في أحوال الشيخ ملا محمد الكاشي، أستاذ الشيخ نجمي القوجاني وغيرهم من المشايخ أنه في كل ليلة عندما كان يصلي صلاة الليل، كان يتغيّر حاله ويُسمع منه أنين، ويرتجف بدنه حتّى يُسمع صوت عظامه من خارج الغرفة.

أتاه يوماً بعد الدرس أحد طلابه وقال: «هذا الشيخ يقول إنّه سمع البارحة من جميع أبواب وجدران المدرسة صوتاً يقول: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّنَا وَرَبُّ الْمَلَائِكَةِ والروح».

فقال الشيخ الكاشي ليس عجيباً أن تردّد الأبواب والجدران الذكر معي، لكن كيف استطاع هذا الشخص معرفة هذا السرّ؟»^(٢).

وأخيراً سبحان الله، يعني تنزيه الربّ من النقص والعيب والظلم والشريك والأعمال الباطلة وكلّ رجسٍ يوجد عند الموجودات^(٣).

(١) معاني الأخبار، الصدوق: ٩.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ١٨٤ / ١٨٤.

(٣) آثار وأسرار تسبيح الزّهراء عليها السلام، علي رضا رجالي: ٦٣.



الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب تسبيح سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، يمكننا بكثير من الاختصار أن نوجز بعض ما توصلنا إليه من نتائج:

١. فاطمة الزهراء عليها السلام شخصية إنسانية تحمل طابع المرأة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب.

٢. إنَّ ما ذكرنا من سيرتها وفضل تسبيحها وآثاره، ما هو إلا قطرات من بحر محاسنها، وشذرات من حلل مناقبها، أهديها إلى كل امرأة تريد القدوة الصالحة، والأسوة الناصحة، والمثل الناصعة.

٣. ورد تسبيح فاطمة عليها السلام في كتاب الله تعالى، بحسب ما أفادت به الأحاديث الشريفة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٤. تسبيح الزهراء عليها السلام ينطوي على معاني عظيمة وأسرار التوحيد التي لا تخفى على أهل القلوب والعارفين الخالص، وإذا داوم عليه شخص بشرطها وشروطها سوف يستفيد من آثارها إن شاء الله.

٥. يعدُّ تسبيح الزهراء عليها السلام من أفضل تعقيبات الصلاة، ويُستحسن مداومة عليه بعد الصلاة الواجبة، وقيل النوم، وقبل زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. آثار وأسرار تسبيح الزهراء عليها السلام، علي رضا رجالي، ترجمة: زهراء الموسوي، دار الرسول الأكرم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٢. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري، المكتبة الإسلامية، طهران.



٣. الآداب المعنويّة للصلاة، السيّد روح الله الموسويّ الخميني، عربّه عن الفارسيّة وشرحه وعلّق عليه: السيد أحمد الفهري، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط٢، ١٩٨٦م.
٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف عبدالله محمّد عبد البر أبو عمر، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٥. أسرار الصلاة، ميرزا جواد مكّي تبريزي، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٦. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن الحجر العسقلاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٧. أعلام النساء، عليّ محمّد عليّ دخیل، الدار الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٢م.
٨. الأمالي، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، الشيخ الصدوق، قدّم له: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٩م.
٩. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، العلامة محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٠. التتمة في تواريخ الأئمّة عليهم السلام: السيّد تاج الدين بن عليّ بن أحمد الحسيني العاملي، قسم الدراسات الإسلاميّة، قم، ١٤١٢هـ.
١١. تحرير الوسيلة، السيّد روح الله الموسويّ الخميني، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٩٩٨م.
١٢. تذكرة الخواص، شمس الدين سبط بن الجوري، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٣. الثغور الباسمة في مناقب السيِّدة فاطمة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الحكيم الأنيس، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي.

١٤. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق، تحقيق: السيِّد محمد مهدي السيِّد حسن الخراسان، ط ٢، ١٣٦٨ هـ.

١٥. جامع احاديث الشيعة، السيِّد آقا حسين الطباطبائي البروجردي، دار الأولياء، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ هـ / ١٣٦٧ هـ.

١٦. دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، مؤسَّسة البعثة، قم المقدَّسة، إيران، ١٤١٣ هـ.

١٧. دلائل الصدق لنهج الحق، الشيخ محمد حسن المظفر، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٩٦٧ م.

١٨. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٢٥٦ هـ.

١٩. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، تحقيق: علي بنه الأشتهازي، حسين الموسوي الكرمانلي، الناشر: بنياد فرهنگ اسلامي، ط ١.

٢٠. روضة الواعظين، الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري، تحقيق: غلام محسن المجيدي، مجتبى الفرجي، منشورات دليل ما، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

٢١. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.



٢٢. صحيح البخاريّ، محمد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، باب مناقب فاطمة عليها السلام، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طرق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٢٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوريّ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.
٢٤. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ، تحقيق: أحمد بن عليّ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
٢٥. علل الشرائع، محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.
٢٦. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال في أحوال سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، دار النشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.
٢٧. فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليل، رضيّ الدين ابن طاووس، تحقيق: غلام محسن المجيدي، دار جواد الأئمة عليهم السلام، ٢٠١١ م.
٢٨. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكلينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط ٤، ١٣٦٥ هـ.
٢٩. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، عليّ بن عيسى الإربليّ، دار الأضواء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أمين الدين أبو عليّ الفضل بن الحسين الطبرسيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٣٧٩ هـ.
٣١. المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقيّ، دار الكتب الإسلاميّة، قم المقدّسة، ١٣٧٠ هـ.

٣٢. المزار، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، تحقيق: السيّد محمد باقر الأبطحي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط ١.
٣٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ط ١.
٣٤. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، الإمام الصادق عليه السلام، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٣٥. معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٧١ - ١٣٣٨هـ.
٣٦. مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي البهائي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٣٧. المفردات في غريب الحديث، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيّد كبلاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
٣٨. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مؤسّسة العلامة للنشر، قم، ١٣٧٩هـ.
٣٩. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، نشر: آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، إيران، ١٤١٤هـ.



جهد فاطمة الزهراء عليها السلام في مراحل الثلاث

عبد الكريم جعفر الكشفي

مدير عام تربية محافظة ديالى السابق

ملخص البحث

في بيت اذن الله أن يُرفع، ويُذكر فيها اسمه، والذي هو معدن الرسالة، ومهبط الوحي، ولدت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في أحضان النبوة والوحي، وكانت فاطمة حبيبة قلب الرسول صلى الله عليه وآله، وريحانته من الدنيا، وكان ينهض إذا دخلت عليه فاطمة، وكان يقبل رأسها ويدها، وقال يوماً لعائشة: «يا عائشة لو علمت ما أعلم؛ لأحببتها كما أحبُّ، فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن سرّها فقد سرّني» رواه البخاري. وسماها الرسول صلى الله عليه وآله فاطمة؛ لأنّ الله تعالى فطم من أحبّها من النار، وكانت تسعى لملء الفراغ الذي تركه رحيل أمّها خديجة بنت خويلد عليها السلام، وشاركت الرسول في محنته وآلامه وأشجانه وهو يواجه أذى المشركين والمنافقين، وكان ذلك هو الدور الأوّل.

وعند زواجها من أمير المؤمنين علي عليه السلام، كانت سلوة فؤاده، تُدخل الفرح والسرور على خاطره وفي قلبه، وكانت تضمّد جراحه في حروبه مع الرسول، وكانت تطحن الطحين بيدها، وتدير شؤون البيت، وشاركته شطّف العيش، حلوه ومره، وكانت هذه هي مرحلة الجهاد الثاني.

وبعد وفاة رسول الإنسانية محمد صلّى الله عليه وآله، عاشت مرحلة الفقد واليتم، لقد بكت الزهراء عليها السلام طويلاً وبدموع حري، على اغتصاب حقّها في فذك، وقد دُفنت سرّاً في زمن يسوده الإرهاب والقمع، وسيبقى إخفاء قبرها وثيقة دامغة حيّة لمظلوميّتها، وطغيان الجهاز الحاكم إلى أبد الأبد، وكانت هذه مرحلة الجهاد الثالث.

وللتعرّف على جهاد الزهراء بمراحلها الثلاث، دار بحثنا حول المحاور الآتية:

المحور الأوّل: جهادها مع أبيها محمد صلّى الله عليه وآله.

المحور الثاني: جهادها مع بعلها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

المحور الثالث: جهادها بعد وفاة أبيها، واغتصاب حقوقها.



مقدمة البحث

في بيت أذن الله أن يُرفع، ويُذكر فيها اسمه، والذي هو معدن الرسالة، ومهبط الوحي، ولدت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في أحضان النبوة والوحي، وكانت فاطمة حبيبة قلب الرسول صلى الله عليه وآله، وريحانة من الدنيا، وكان ينهض إذا دخلت عليه فاطمة، وكان يقبل رأسها ويدها، وقال يوماً لعائشة: «يا عائشة لو علمت ما أعلم؛ لأحببتها كما أحبُّ، فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن سرّها فقد سرّني» رواه البخاري. وسماها الرسول صلى الله عليه وآله فاطمة؛ لأنّ الله تعالى فطم من أحبّها من النار، وكانت تسعى لملء الفراغ الذي تركه رحيل أمّها خديجة بنت خويلد عليها السلام، وشاركت الرسول في محنته وآلامه وأشجانه وهو يواجه أذى المشركين والمنافقين، وكان ذلك هو الدور الأوّل.

وعند زواجها من أمير المؤمنين علي عليه السلام، كانت سلوة فؤاده، تُدخل الفرح والسرور على خاطره وفي قلبه، وكانت تضمّد جراحه في حروبه مع الرسول، وكانت تطحن الطحين بيدها، وتدير شؤون البيت، وشاركته شطّف العيش، حلوه ومره، وكانت هذه هي مرحلة الجهاد الثاني.

وبعد وفاة رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله، عاشت مرحلة الفقر واليتم، لقد بكت الزهراء عليها السلام طويلاً وبدموع حرّى، على اغتصاب حقّها في فذك، وقد دُفنت سرّاً في زمن يسوده الإرهاب والقمع، وسيبقى إخفاء قبرها وثيقة دامغة حيّة لمظلوميّتها، وطغيان الجهاز الحاكم إلى أبد الأبد، وكانت هذه مرحلة الجهاد الثالث.

وللتعرّف على جهاد الزّهاء بمراحلها الثلاث، دار بحثنا حول المحاور الآتية:

المحور الأوّل: جهادها مع أبيها محمد صلى الله عليه وآله.

المحور الثاني: جهادها مع بعلها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

المحور الثالث: جهادها بعد وفاة أبيها، واغتصاب حقوقها.



المبحث الأول

جهاد الزهراء عليها السلام مع أبيها محمد صلّى الله عليه وآله

في بيت من بيوت معدن الرسالة ولدت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، في أحضان النبوة والوحي، حيث بيت ترتل آيات القرآن المجيد، وكان رسول الإنسانية محمد صلّى الله عليه وآله يحب فاطمة حباً كبيراً، وكان ينهض إذا دخلت عليه فاطمة، وكان يقبل رأسها ويدها، وقال يوماً لعائشة: «يا عائشة لو علمت ما أعلم لأحببتها كما أحب، فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن سرّها فقد سرّني»^(١).

وسمّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة؛ لأنّ الله تعالى فطم من أحبّها من النار، ولأنّها كانت تشبه سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله في خلقه وأخلاقه وبحديثها ومنطقها، وكانت فاطمة الزهراء تحبّ الرسول حبّاً منقطع النظير، وكانت لا تحبّ أحداً قدر حبّها لأبيها، وكانت ترعى الرسول وعمرها ستّ سنين، وهذا هو الجهاد الأكبر لها، وكانت تسعى للملء الفراغ الذي تركته أمّها خديجة بنت خويلد الأسديّ، وهي صغيرة في عمر الورد، شاركت الرسول صلّى الله عليه وآله في محنته والألم وأشجانه، وهو يواجه أذى المشركين والمنافقين في مكّة، كانت تضمّد جراحه، وتضمّد رجله من أشواك حماله الخطب، وتغسل رجله عن ما يلقيه كفّار قريش، وكانت ريجانته وسلوة فؤاده، وكلّما شهداها دخل الفرح والسرور

(١) صحيح البخاريّ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ ت ٢٥٦ هـ، دار ابن كثير دمشق/بيروت، ٢٠٠٢ م، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام، ج ٤، ص ٢١٩.

إلى قلبه وخاطره، ولهذا لُقِّبها الرسول مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله بـ (أُمُّ أَيْيَهَا)، وجاءت هذه التسمية لإظهار أفضليَّة الزَّهْرَاءِ عليها السلام على نساء النبيِّ، فإذا كانت النساء أمَّهات المؤمنين، فهي أُمُّ أَيْيَهَا^(١).

لقد كان الزواج والمخاض الصعب جدًّا لما تزوَّج رسول الإنسانية مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، خديجة بنت خويلد، كرهها أغلب الناس وهجرها، ومنعوا النساء من أن يسلمن عليها أو يدخلن إلى بيتها، فأصابها الحزن والأسى، حتى استوحشت خديجة الطاهرة المؤمنة هذا الامر، بسبب ذاك الحسد، وسببه هو أنَّ خديجة من نساء قريش المعروفات في الجاهليَّة، والمشهورات بالوجاهة، إلى درجة أنَّهم كانوا يدعونها بالطَّاهرة، وسيِّدة نساء قريش^(٢)، فكان هذا الجهاد الآخر للزَّهْرَاءِ عليها السلام وهي في بطن أمِّها.

إنَّ أوَّل ما يطالعنا في حياة هذه المرأة العظيمة الصديقة الزَّهْرَاءِ عليها السلام، هو تاريخ ولادتها، إذ تذكر أغلب الروايات أنَّها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، لكن الولادة الميمونة لفاطمة الزَّهْرَاءِ عليها السلام، تبعًا لأئمَّتنا عليهم السلام، أنَّها عليها السلام قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، أي في سنة الهجرة إلى الحبشة^(٣).

لقد ازداد الجو المشحون بالحقد بالولادة الميمونة، بولادة سيِّدة نساء العالمين، هذه المرأة الحائزة الميمون، وكانت هذه هي بوارد الجهاد والاستقامة ضدَّ الحاسدين والحاquدين، حيث إنَّها ستكون سليلة البيت الميمون الطاهر، وأنَّ الله تبارك سيجعل نسل رسول الإنسانية مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله منها، وسيجعل من نسلها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكانت

(١) فاطمة الزَّهْرَاءُ بهجة قلب المصطفى، أحمد الرحامي الهمداني، مؤسَّسة البدر للتحقيق والنشر، بيروت ١٤١٠هـ، ص ٢٠٤.

(٢) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذريّ ت ٢٧٩هـ، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمَّة المصطفين، العلامة الفتوني الشيخ أبي الحسن بن مُحَمَّد طاهر العامليّ، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدَّسة، ١٣٨٩، ج ٢، ص ٢.



الزَّهراء عليهنَّ السلام بجهادها وصبرها تشدُّ أزر أمَّها، ولتبعد الحزن عن أمَّها المجاهدة، فتقول لها: «يا أمَّاه لا تحزني إنَّ الله مع أبي»^(١).

وهكذا بدأت الزَّهراء عليها السلام الحياة بكلِّ آلامها وعنفوانها وسعتها وأحداثها، فقد بدأت مع الأب الحنون رحلة الإسراء والمعراج، ومهبط جبريل على سفوح جبل حراء، ورحلة الحياة الجديدة مع بدء عهد نور الإسلام في ظلال الوحي الإلهي، ونمت فاطمة الزَّهراء عليها السلام وأزهر وجهها الصغير الجميل، فإذا هي صورة مصغَّرة لوالدها محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم^(٢).

ولمَّا صلبَ عود الزَّهراء عليها السلام، أخذت تشدُّ أزر أبيها، وتكافح وتجاهد وتحارب مع أبيها في ساحة قتال واحدة، في خندق جهاديٍّ واحد، لترسم في صحائف التاريخ المائزة درسًا تتعلَّم منه الأجيال المسلمة والإنسانيَّة، فيتعلَّم الآخرون حياة الجهاد والنضال والإيمان التي تصنعها عقيدة الإسلام المحمَّدي، وعقيدة التوحيد، بعيدة عن الزيف والكذب، وكذلك صارت الزَّهراء عليها السلام عند محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نكهة تفاح وعلي سفرجل وطيب نخيل، وفيها كلُّ الثمار الخالدة^(٣).

وهي طفلة لم يصلب عودها، شهدت جهاد حصار أهل مكَّة اللانسانيَّ للنبيِّ محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن معه من بني هاشم، حيث قوطعت وحوصرت بنو هاشم في الشَّعب لمدة ثلاث سنوات، بسبب قرار لا إنسانيَّ اتَّخذه قريش بداية ظهور الإسلام، وذلك لثني

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري ت ٨٩٤هـ، الناشر المطبعة الكاسطية، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٢) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٣.

(٣) أخبار الدُّول وآثار الأوَّل، أحمد بن يوسف القرماني ت ١٠١٩هـ، تحقيق، فهمي سعد وأحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص ٨٧.



على رسول الله عن دعوته في نشر الإسلام، فتعاهدوا جميعاً على ألا يتعاملوا معهم بأي معاملات كالشراء والبيع والزواج، وكانت خديجة قبل وفاتها في هذا الشعب تبكي، وتتساءل أسماء عن سرّ بكاء الأم، فتقول وهي على وشك الرحيل: أبكي من أجل فاطمة^(١).

وبعد انتهاء حصار شعب أبي طالب، تتحوّل مكة إلى جحيم لا يطاق، ويصبح الوطن الأم وطناً مقهوراً، وتصبح الهجرة إلى وطن جديد بقعة آمنة، وكان هذا جهاد الرحيل، وبعد معاناة طويلة وجهاد مضني شهدته الزهراء^{عليها السلام}، يضع رسول الإنسانية محمد^{صلى الله عليه وآله} خطاه إلى طريق يثرب (المدينة المنورة)، وبعد أيام قليلة تلقت الزهراء^{عليها السلام} أبناء سارة، فقد وصل الشاب الشريد ابن عمّها قرية قبا، وعليها أن تستعد للهجرة، فقد ابتاع عليّ جمالاً للسفر، وأن لقافلة الفواطم أن ترحل^(٢).

وكان جهاد فاطمة الزهراء^{عليها السلام} الأكبر في عام ٢ هجرية، حينما ساندت أبيها في موقعة أحد، فقد كانت تضمّد جراحه، وتقطع نزيف الدم الذي كان يسيل من جسده الشريف، فقد ورد بالأثر عن مشاركتها بروحها ومشاعرها في كفاحه وصبره وجهاده ضدّ المشركين، مرّة رأت على وجهه أبيها آثار التعب والإجهاد وبكت، فسألها: ما يبكيك يا فاطمة؟ فقالت: أراك قد شحب لونك، فقال لها: «يا فاطمة إنّ الله بعث أباك بأمرٍ لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلّا دخله به عزّاً أو ذلاً، يبلغ حيث يبلغ الليل»^(٣).

(١) فاطمة حورية الأرض، كمال السيّد، مؤسّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدّسة، ٢٠٠٣م، ص ٣٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٧١م، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) فضائل الخمسة من الصّحاح الستّة، مرتضى الحسينيّ الفيروزآبادي، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ، ج ٣، ص ١٦١.



كان النبي ﷺ ينتظر ليرى فاطمة الزهراء عليها السلام رفيقته في الجهاد، وشريكته في المعاناة الآلام، والتي دائماً ما تكون منتصرة بصلافة موقفها، ودائماً ما كانت منكسرة القلب، متعبة الأعصاب، حزينة على حياة أبيها، والتي كانت تنتظر انتصاره، لتكشفه لأهل المعمورة وللتاريخ، وبهذا تكون الزهراء قد قدّمت مشهد امرأة عظيمة، وقفت بكلّ قوّة مع أبيها؛ لتقدّم صورة مضيئة حيّة، وتقول ما ضاع حقّ وراءه مطالب، فكان جهادها جهاد الصحابة الأجلّاء، وقد كانت عليها السلام من تلك الفئة التي ظلمها التاريخ، حيث لم يعطها حقّها أبداً، فهي سلام الله ونوره، وكان جهادها واجباً لنصرة نبيّ زمانها والمستحب عندها هو العفو عن الذين ظلموها، رحلت الزهراء عليها السلام إلى دار الخلود، وظلّ جسدها هذا يحمل روحاً لها كمالاتها وطموحاتها وآلامها وأعمالها^(١)، هذا جزء يسير من جهادها مع أبيها.



(١) المرأة في فكر الإمام الخميني، مؤسسة روح الله للثقافة والفنّ، قم المقدّسة، ٢٠٠٥،

المبحث الثاني

جهد الزهراء عليها السلام مع بعلاها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

جهد فاطمة الزهراء عليها السلام في بيت الزوجية

تزوَّجت فاطمة الزهراء عليها السلام في عام واقعة بدر عام (٢) هجرية، وكان عليها أن تتحمَّل جهد البيت والأُومة، وهذه من المهامِّ الثقيلة التي أُلقيت على عاتق فاطمة الزهراء عليها السلام، فذرية محمد صلى الله عليه وآله هي من علي عليه السلام ومنها، وقد أخبرها أبوها بقوله: «إِنَّ الله جعل ذرية كلِّ نبيٍّ في صُلبه، وجعل ذريَّتي في صُلب عليٍّ بن أبي طالب»^(١)، فمن الواجب عليها أن تُحسن تربية الأبناء، وهذا جهد آخر.

لقد كانت الزهراء عليها السلام ربيبة الوحي والنبوة، وعالمة بمناهج التربية الإسلامية، التي تجلَّت في تربيته لأبنائها، وأعدَّتهم أعدادًا كاملاً؛ ليتحمَّلوا مسؤوليَّة قيادة المسلمين، كما ألهمتهم دروس الجهاد الفداء والإيثار والتضحية والصمود بوجه الظالمين، وهذا هو فعلاً الجهاد الأكبر. لقد أنجبت الزهراء خمسة أطفال هم (الحسن والحسين وزينب وأمُّ كلثوم)، في حين أسقط جينيتها المحسن قبل ولادته^(٢)، كانوا مجاهدين من الطراز الأوَّل على والدتهم، عدا المحسن.

(١) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغداديّ ت ٤٦٣هـ، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣١٦.

(٢) بحار الأنوار الجامع لدار أخبار الأئمة الاطهار، محمَّد باقر المجلسيّ ت ١١١١هـ، مؤسَّسة الأعلَمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، ج ٢٠، ص ٩٦.



لقد تزوّج الإمام عليّ عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يكن يملك بيتاً، وكان هذا جهاد الفقر مع بعلها، فقد كان صداقها في الأرض درعاً باعه عليّ بأربعمئة درهم، وصداقها في السماء الشفاعة^(١)، إنّه فعلاً جهاد حياة الكفاف.

أقام أوّل الأمر بسبب فقره في بيت حارثة بن النعمان، وبعد مدّة بنى لها أبوها بيتاً ملاصقاً لمسجده، وانتقلت السيّدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد، وقد كان جهاز بيتها لطيفة مخمليّة، وقربة، ووسادة من آدم حشوها ليف، ورحائين، وجرتين، وكانت القطيفة لا تكفي لشخصين^(٢)، فقد عاشت العوز بأعلى صورته.

ومن عظيم جهادها مع قساوة الحياة، أنّها عاشت في بيت متواضع وبسيط، فراشه من رمل ليّن، معدم الثياب، لا يعدو أن يكون سوى خشبة تمتدّ من جدار إلى جدار، وإرهاب كبش، فعلاً إنّه جهاد من أجل قساوة الحياة، لكن رغم فقر الإمام عليّ عليه السلام، ومن باب الكرم، أقام وليمة دعا المسلمين وأهل المدينة إلى الوليمة، فاكلوا حتى شبعوا، شربوا حتّى ارتووا، وكانت وليمة فاطمة الزهراء أفضل، فقد باركها الله وباركتها السماء^(٣).

وكانت عليه السلام تبذل قصارى جهدها لإسعاد أسرتها، ولم تستثقل من أداء واجبات البيت، برغم كلّ المشاق والصعوبات، حتّى أنّ عليّاً عليه السلام رَقَّ لحالها، وامتدح صنعها، وإنّها استقت بالقربة الماء حتّى أثّر في صدرها، اغبرّت ثيابها من كسح البيت، دكنت

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمّد بن الحسن الديار بكريّ ت ٩٦٦هـ، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، ج ١، ص ٣٦٢.

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ ت ٦٩٤هـ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ص ١٠٥.

(٣) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه، أحمد بن محمّد بن عليّ بن حجر الهيتمي السعديّ الأنصاريّ، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس ت ٩٧٤هـ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمّد الخراط، مؤسّسة الرسالة، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٣٢.

ثيابها من النار التي تضعها تحت القدر، وفي غبش الليل تدور الرحي لتطحن، ومن جهادها العظيم أنَّها كانت تقوم بكلِّ أعباء المنزل الكبيرة لوحدها، ولم تغادر منزلها دون إذن زوجها أبداً^(١).

لقد كان فاطمة الزَّهْرَاءُ عليها السلام - مع علوِّ نسبها الشريف، وجلالة قدرها، وسمو جهودها، وزهدا وتقواها، وطهارة نفسياتها، وكلِّ هذه الفضائل التي لو توافرت في امرأة واحدة استحققت التقدير والإجلال - تقوم بأعمال البيت وتديره بنفسها أوّل الأمر، وكان عليٌّ عليه السلام يعينها ويتعاون معها^(٢)، فقد كانا إمامين مجاهدين.

لَمَّا ثقل عمل البيت على فاطمة الزَّهْرَاءُ عليها السلام، أهدى لها أبوها خادمة اسمها فضة النوبية، تساعدها في جهادها الأسريّ وعمل البيت الشاق، نالت فضة شرف صحبة الزَّهْرَاءِ، وكانت تشاطرها الخدمة وكان لها شرف اشتراكها مع سادة الخلق في نزول سورة (هل أتى) فيهم^(٣).

لقد تعلّمت فضة من مدرسة الزَّهْرَاءِ الكثير، فأحبَّتها كثيراً، واحتراماً لها وزدَّعت الزَّهْرَاءِ العمل، يوم على الزَّهْرَاءِ، ويوم على فضة. إنَّه جهاد الإيثار العظيم الذي تتمتع به الزَّهْرَاءِ العظيمة عليها السلام، وقد شاركت فضة أيضاً مصائب أهل البيت عليهم السلام في واقعة الطفّ الخالدة، ولسمو أخلاقها لمكانتها الخالدة، مدحها أمير المؤمنين عليه السلام، ونسبها إليهم أهل البيت عليهم السلام، حيث دعا يوماً في حقها: «اللهمَّ بارك لنا في فضتنا»^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م، ص ٢٥٦.

(٢) فاطمة الزَّهْرَاءِ من قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمي، مؤسَّسة الأعلميّ للطبوعات، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٧.

(٣) تفسير الكاشف، محمّد جواد مغنیه، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ١٧٧.

(٤) أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق، مؤسَّسة البعثة، قم المقدَّسة، ١٤١٧هـ، ص ١٨٧.

إنَّ من أساسيات نجاح الحياة الزوجية وبناء الأسرة المثالية، هو حسن التبعل للزوج، وهو حسن العشرة، وحسن إطاعة الزوج، والتعامل معه بشفافية، فضلاً عن حسن التبعل، وقد عُرِفَت القديسة الزهراء عليها السلام بحسن التبعل والتدبير مع بعلمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويوماً قال الإمام علي عليه السلام عنها: «ولا أغضبني ولا عصت لي أمراً»^(١)، ولا يخفى على باحث أن حسن تبعل المرأة ومدراتها وتحملها لزوجها، هو نوع من أنواع الجهاد، فإذا كان جهاد الأعداء المشركين واجب على الرجال، فإنَّ جهاد المرأة حسن تبعلها لزوجها، يقول الرسول الأعظم: «جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها»^(٢)، ويجب على المرأة المعاصرة المسلمة، أن تحيد التبعل لزوجها، وأن تحسن معاشرته، وأن تقدّم له ما يرضي الله تعالى ورسوله الكريم وأهل بيته عليهم السلام.

وبعد معاناة صعبة جهاد مرير طويل، وقد أخذ منها السقم كل مأخذ، وقالت لعلي عليه السلام «إنَّ أطفالي يصبحون يتامى بلا أم. ولما سألتها الإمام عن مصدر هذا النبأ، قالت له: لقد رأيت أبي في المنام، وهو يقول لي: هلمّي إليّ يا بنية، فأني إليك مشتاق، أنت الليلة عندي»^(٣).

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ ت ٦٩٣هـ،

مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ، ج ١، ص ٣٦٣.

(٢) الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني الرازي ت ٣٢٩هـ، مطبعة الخيام، قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ،

ج ٥، ص ٥٠٧.

(٣) أعلام الهداية، المجمع العلميّ لأهل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة، ١٤٢٢هـ، ج ٣، ص ١٨٣.

المبحث الثالث

جهد الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها محمد صلى الله عليه وآله واغتصاب حقوقها

إنَّ المحنة والمعاناة الكبيرة التي عاشتها الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، جاءت نتيجة الانقلاب على الشرعية الإسلامية، تنكّر وخذلان وانقلاب أصحاب الأمس على أهل بيت النبوة، وجاهدت جهاد الأبطال من أجل إرجاع الحقّ المغتصب إلى أهله، وليعود أصحاب الأمس إلى رشدهم السويّ، ولا يمكن لأيّ باحث أن يشكّ في مشروعية مواقف وجهاد الصديقة فاطمة عليها السلام في محنتها، وهكذا كان شأن قوم خاتم الرُّسل أبي الزَّهراء صلى الله عليه وآله في كلّ مرحلة من مراحل الرسالة، كانوا يجتمعون ويتداولون الآراء، ويخططون والشیطان مرشدهم^(١)، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠.

وتدور رحى الأيام مع دوران رحى فاطمة الزَّهراء عليها السلام التي كانت نموذج كامل في الجهاد، ومثال المرأة كما أرادها الله، ويدور رحيل عمود الخيمة إلى الملكوت الأعلى، فجسد محمد يغلي من الحمى، وتتألم الصابرة المحتسبة، وتذرف الدموع حرى غزيرة، وتذكّر دفء وحنان الوالد، وانقلاب الأصحاب، وهذه المآسي أيقظت في السيِّدة فاطمة الزَّهراء روح الجهاد والاستقامة والمثابرة، وكأنّها فترة التمرين والتدريب للمستقبل القريب^(٢).

(١) الظليمة فذك ثاني رواشح الردّة، موسى الأردبيلي النجفي، مطبعة فرصاد، قم المقدّسة، ٢٠١١م، ص ٧٢.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسّسة النور للمطبوعات، بيروت، =

إنَّ الدروس العظيمة المستخلصة التي وضعتها هذه المرأة العظيمة مناراً للأجيال اللاحقة، كون جهاد فاطمة الزهراء عليها السلام المير، وحياتها هي صفحة من صفحات التاريخ، تتلمس فيها لوناً جديداً من ألوان العظمة^(١).

إنَّ جهاد فاطمة الزهراء عليها السلام ومعارضتها السلمية ضدَّ الحكومة الغاصبة التي أخذت فذك، أسستها على ركائز دينية ثابتة ومعرفية حاضرة، بعيداً عن الحقد والأنانية، واضعة المصلحة العامة نصب عينها، وبوسائل إعلامية، جهادية جديدة تعتمد على البرهان والحجة والدليل الواضح، والحوار السلمي المباشر، من دون عصبية أو إنفعال، وبذلك تفتح وتؤسس إلى اعتماد الحوار السلمي بدل السيف، بمواجهة الإخوة في الدين، ناكري الحقِّ وغاصبيه، وبذلك تقرُّ مبدأ عدم التنازل عن الحقِّ المغتصب حتى لو لم تستطع استرجاعه، فالواجب الشرعي يدعو عدم تبرأة الغاصب أو الظالم والتنازل عنه، وهذا مبدأ جهادي عظيم ينصُّ على عدم ترك الأجيال القادمة لاستعادة حقوقها، حتى في أسوأ الظروف. لقد بينت الزهراء عليها السلام، من خلال خطبتها الفدكية، أنَّه يمكن إنقاذ الأمة من خلال جهاد الظالمين والمشركين، الذي هو أبلغ رساله لله، فقد ربطت بين هذا الجهاد وبين الانحراف الذي كان القوم عليه^(٢).

إنَّ أهمَّ الأهداف التي توخَّتها الزهراء عليها السلام، بالوقوف ضدَّ الحكومة الغاصبة، هو الدفاع عن بيضة ولاية أهل البيت عليهم السلام، وإثبات حقهم في قيادة الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، ويتضح ذلك من خلال إعلامها الجهادي المتمثل بالخطبة الفدكية في المسجد النبوي، وبنساء المدينة، إذ أدَّت فيها واجبها الإعلامي السلمي الرسالي، بعيداً

= ١٩٩١م، ص ٧٧.

(١) فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب، د. حسن عيسى الحكيم، جمعية الفارابي الأكاديمية،

النجف الأشرف، ٢٠٠٨م، ص ١٠٢.

(٢) أدب فاطمة الزهراء عليها السلام، د. محمود البستاني، دار الحسن عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٧هـ، ص ٤٢.

عن العنف وحدّ السيف. يقول الكاتب المصري عبد الفتّاح مقصود: «فهناك النصر يندلع صوبهم عبر المراحل، ورحى الجهاد ما فتئت دوارة، والجو حولهم يحمل رائحة معركة جديدة»^(١).

كانت الزهراء عليها السلام تبكي على فقد أبيها في البقيع بيت الأحزان، فشعرت الحكومة بالضيق من بكائها وحزنها الذي كان يشكّل احتجاجاً على الحكومة الغاصبة، ممّا دعاهم أن يطلبوا من عليّ أن يمنعها من البكاء، لأنّ بكائها كان نضال وجهاد سياسيّ كما يقول الشهيد عبد الزهرة عثمان محمّد (عز الدين رسول): شعور السلطة أنّ بكاءها أو مشهدها الحزين، وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ووديعته يشكّل حالة اعتصام سياسيّ ضدّ الحكم^(٢). إنّ الجهاد السياسيّ ضدّ الظلم والظلام بمفهوم العصر الحاليّ، وبهذا تكون الزهراء أوّل امرأة في التاريخ اتخذت البكاء جهداً ونوعاً من أنواع المعارضة السياسيّة.

وكان الجهاد الأخير لفاطمة الزهراء عليها السلام حينما أوصت بعدم مشاركة أصحاب الحكومة الغاصبة في دفنها، فحينما فارقت الزهراء الحياة، شرع الإمام عليّ عليه السلام، بتنفيذ وصيّتها، وصرف الناس عن المشاركة بالدفن، ووجّه الصحابي الجليل أبا ذر تبليغ الجموع الغفيرة المتلذذة لحضور الدفن بالانصراف، وانصرفت الجموع الحاضرة، ونامت عيون الناس في تلك الليلة، إلّا بيت واحد ظلّ حزيناً مسهداً، واللوعة والأسى تعتلج صدورهم، إنّ بيت النبوة، بيت الزهراء عليها السلام، ولما هدأت القلوب، كان عليّ الإمام عليّ عليه السلام والحسن والحسين، وعدد قليل من بني هاشم، والصحابة الأبرار الخلّص للإمام تجهيزها، فغسلها الإمام عليّ عليه السلام، وكفنها، ثمّ بادروا بمواراة الجسد الطاهر الثرى

(١) في نور محمّد فاطمة، د. عبد الفتّاح عبد المقصود، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، طهران، ٢٠٠٩م، ص ٥٥٠.

(٢) الصديقة الزهراء عليها السلام بين المحنة والمقاومة، عبد الزهرة عثمان محمّد، مؤسّسة الشهيد عزّ الدين سليم الثقافيّة، بغداد، ٢٠٠٧م، ص ١٩٩.





إلى مثواها الأخير، وبعد أن فضّ الإمام يديه من ثراها الطاهر، وهو يتكئ على جرحه النازف على شفير، أرسل دموعه مدراراً ومعه الحسنان بيكيان، وقال: «فبعين الله تدفن ابتك سرّاً وتُهمضم حقّها، ويُمنع إرثها، ولم يتقاعد العهد، ولم يخلُ منك الذّكر، والله الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول أحسن العزاء»^(١).

لقد كان موقف وجهاد وكلمات الزّهراء عليها السلام، منارات لكلّ الثورات، وأوّل هذه الثورات هي ثورة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وكانت الترجمان الصادق الذي نقل للأجيال تفاصيل تلك النهضة الظافرة، على الرغم من المصائب التي حوّلت لياليها سوداء:

ماذا على من شمّ تربة أحمد
أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها
صبّت على الأيّام صرن لياليا^(٢)

وكذا تكون فاطمة الزّهراء عليها السلام المرأة المجاهدة في حياتها وبعد موتها، وبموتها المروّع بدأت حياة أخرى بالتاريخ، فقد كان هناك قبس من حياة هذه المرأة المجاهدة والمناضلة على وجه الكثير من المجاهدين المظلومين في تاريخ الإسلام، المغصوب حقوقهم، وكلّ ضحايا الظلم والجور، من الذين اتّخذوا الزّهراء عليها السلام شعاراً لهم، فقد كانت عليها السلام في كلّ مكان من أرض المعمورة من تاريخ الشعوب الإسلامية منبع جهاد وإلهام الحرية والعدالة ضدّ الظلم والقسوة والتمييز، ولا يخفى على لبيب أنّ الحديث عن الزّهراء صعب جدّاً؛ لأنّها المرأة التي كانت كما يريد الإسلام للمرأة أن تكون، فصوّر ملامحها

(١) نهج البلاغة، خطبة، تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، خطبة ٢٠٢، ص ٣١٩.

(٢) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ١٣٨١هـ، ص ٢٥٧.



ورسمها النبي وصلها ورقتها وعلمها تحت أضواء الفقر والتعليقات الإنسانية العميقة، فأصبحت نموذجاً لكل أبعاد المرأة المختلفة^(١).

النتائج والتوصيات

١. لقد كانت الزهراء عليها السلام أول امرأة إسلامية مجاهدة في التاريخ.
٢. يجب أن نستلهم من فاطمة الزهراء دروس الجهاد.
٣. علينا أن نتعلم من جهاد الزهراء كيف نقاتل أعداء الإسلام وإعطائها الظالمين.
٤. جهاد فاطمة الزهراء البطولي الشجاع هو بحاجة إلى مزيد من الدراسات.
٥. لقد أسست فاطمة الزهراء الجهاد السلمي ضد الإعداء.
٦. تعدّ الزهراء أول من استخدم البكاء كنوع من أنواع الجهاد.
٧. لقد كانت الزهراء بحق أمّ المجاهدين المظلومين والمدافعين عن الحق.
٨. علّمتنا الزهراء عليها السلام كيف نتخذ الجهاد طريقاً يجب التمسك به.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. أخبار الدول وآثار الأول، أحمد بن يوسف القرماني ت ١٠١٩ هـ، تحقيق، فهمي سعد وأحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
٢. أدب فاطمة الزهراء عليها السلام، د. محمود البستاني، دار الحسن عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٧ هـ.

٣. اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، ١٤٢٢ هـ.

(١) فاطمة هي فاطمة، د. علي شريعتي، ترجمة هاجر القحطاني، دار الكتاب العربي، بيروت،



٤. أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق، مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.
٥. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذريّ ت ٢٧٩هـ، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركليّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٦. بحار الأنوار الجامع لدار أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسيّ ت ١١١١هـ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.
٧. تاريخ الأدب العربيّ في ضوء المنهج الإسلاميّ، د. محمود البستانيّ، مجمع البحوث الإسلاميّة بيروت، ١٣٨١هـ.
٨. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمّد بن الحسن الديار بكرّيّ ت ٩٦٦هـ، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.
٩. تأريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغداديّ ت ٤٦٣هـ، تحقيق د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
١٠. تفسير الكاشف، محمّد جواد مغنیه، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٧م.
١١. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ ت ٦٩٤هـ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
١٢. صحيح البخاريّ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ ت ٢٥٦هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ٢٠٠٢م، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام.
١٣. الصديقة الزهراء عليها السلام بين المحنة والمقاومة، عبد الزهرة عثمان محمّد، مؤسّسة الشهيد عز الدين سليم الثقافيّة، بغداد، ٢٠٠٧م.

١٤. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس ت ٩٧٤هـ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسه الرسالة، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
١٥. ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمة المصطفين، العلامة الفتوي الشيخ أبي الحسن بن محمد طاهر العاملي، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٣٨٩.
١٦. الظليمة فدك ثاني رواشح الردة، موسى الأردبيلي النجفي، نشر مطبعة فرصاد، قم المقدسة، ٢٠١١م.
١٧. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٨. فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماوي الهمداني، مؤسسه البدر للتحقيق والنشر، بيروت ١٤١٠هـ.
١٩. فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب، د. حسن عيسى الحكيم، جمعية الفارابي الأكاديمية، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م.
٢٠. فاطمة الزهراء من قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمي، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.
٢١. فاطمة حورية الأرض، كمال السيد، مؤسسه أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدسة، ٢٠٠٣م.
٢٢. فاطمة من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسسه النور للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.



٢٣. فاطمة هي فاطمة، د. عليّ شريعتي، ترجمة هاجر القحطانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٤. فضائل الخمسة من الصّحاح السّنة، مرتضى الحسينيّ الفيروزآباديّ، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ.
٢٥. في نور محمّد فاطمة، د. عبد الفتاح عبد المقصود، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، طهران، ٢٠٠٩م.
٢٦. الكافي، محمّد بن يعقوب الكلينيّ الرازيّ ت ٣٢٩هـ، مطبعة الخيام، قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ.
٢٧. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ ت ٦٩٣هـ، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.
٢٨. المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، مؤسّسة روح الله للثقافة والفن، قم المقدّسة، ٢٠٠٥.
٢٩. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
٣٠. مناقب آل أبي طالب، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٧١م.
٣١. نزّهة المجالس ومنتخب النفائس، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوريّ ت ٨٩٤هـ، المطبعة الكاسطليّة، القاهرة، ١٢٨٣هـ.
٣٢. نهج البلاغة، خطبة، تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، ودار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

الفكر التربوي في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام

الباحثة لقاء عبد الحكيم عبد الشهيد

مدرسة بنت الرسول صلى الله عليه وآله النسوية للعلوم الدينية

الملخص

الحمد لله الذي لا يبلغ حمده الحامدون، ولا يعدُّ نعمه العادُّون، والصلاة والسلام على مَنْ كان دنوُّه قاب قوسين أو أدنى من ربِّه الأعلى، وعلى مَنْ هي روحه التي بين جنبيه، وعلى سبطيه وخلفائه أئمة الإسلام بالحقِّ، وسلم تسليماً كثيراً.

من مَن الله والائه علينا أن وفقنا للكتابة عن سيرة الزهراء عليها السلام في التربية، تحت عنوان (الفكر التربوي في سيرة الزهراء عليها السلام)، ولا سيما أننا نعيش في زمن تكثر فيه معوقات التربية الإسلامية القويمة، إذ يتناول بحثنا بيان الدور الإسلامي في التربية؛ للوصول بأولادنا نحو الكمال الذي يهدف إلى صناعة الإنسان الكامل منذ فترة طفولته الأولى، متَّخذين من سيرة الزهراء عليها السلام أنموذجاً ونبراساً نستنير به، فالأهل هم الدعامة الأساسية لأولادهم في مسيرة حياتهم، وهذا ما أكَّدته الكثير من روايات المعصومين عليهم السلام: «عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ..»، فإنَّ الأمر موجَّه إلى الوالدين لا إلى غيرهما، وإن ساعدهما الغير في تلك المهمة، فمن أساليب الرقي والتكامل وجود الأسوة الحسنة، وخير أسوة لنا بنت النبي الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

يتناول بحثنا في المبحث الأول أهم مقومات التربية الإسلامية الأصيلة، وفي مبحثه الثاني معوقات تلك التربية في زمننا الحاضر.
سائلين المول عليه السلام أن يوفقنا لذلك، إنه سميع مجيب.
الكلمات المفتاحية: فاطمة الزهراء عليها السلام، الفكر التربوي، سيرة الزهراء عليها السلام.



المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، والصلاة والسلام على خير الخلق محمد وعلى عترته وورثته وحمة علمه، الذين أوجب الله مودّتهم، وفرض على الخلق طاعتهم وولايتهم.

أولاً: موضوع البحث (الفكر التربوي في سيرة السيّدة الزّهراء عليها السلام)

إنّ تتبّع سيرة الزّهراء عليها السلام في التربية تعدّ إحدى اللبّات الأساسيّة لسلم البناء العقائديّ والفكريّ والاجتماعيّ الذي ارتضاه الإسلام طريقاً ومنهجاً لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك والسير نحو التكامل المطلوب، فمن المعلوم عاشت السيّدة الزّهراء عليها السلام حياة قاسية، إلّا أنّها ضربت مثلاً قلّ نظيره في التربية الدينيّة الأصيلة، وما زالت عليها السلام النموذج الأرقى الذي قدّمته السماء، والمثال الذي نحته الإسلام ونفخ في روحه.

ثانياً: أهميّة البحث

١. يوضّح ضرورة التدقيق واختيار الزوج أو الزوجة الصالحة في الأسر الكريمة.
٢. يوضح أهميّة التربية بالحبّ والعطف.
٣. يوضّح معوّقات التربية الصحيحة في عصرنا الحاضر.

ثالثاً: إشكاليّة البحث

١. هل لتربية الزّهراء عليها السلام تأثير وانسجام مع التربية في الوقت الحاضر، مع بُعد الفترة الزمنيّة؟

٢. ما مدى تأثير الصفات الوراثية على التربية؟.

رابعاً: منهجية البحث

للوصول إلى أهداف بحثنا هذا، سوف نتبع المنهج التحليلي الوصفي.

خامساً: خطة البحث

للوصول إلى أهداف البحث ارتأينا أن نقسمه على مبحثين:

المبحث الأول: مقومات التربية الدينية الأصيلة، ويندرج تحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التربية الجسدية.

المطلب الثاني: التربية العقائدية.

المطلب الثالث: التربية الأخلاقية.

المبحث الثاني: معوقات التربية الدينية في الوقت الحاضر، ويندرج تحته ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: العوامل الوراثية.

المطلب الثاني: الأبوة والأمومة الفاشلة.

المطلب الثالث: البيئة الاجتماعية.



المبحث الأول

مقومات التربية الدينية الأصيلة

قبل البدء في البحث عن المقومات التربوية الدينية، سوف نتعرّف على المفهوم اللغوي للتربية، وهي اسم مشتق من الربّ، والربّ هو المالك والسيد والمربيّ والقيّم، ولا يُطلق غير المضاف إلّا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره أُضيف، فيُقال: رب كذا^(١).

والمفهوم الإصطلاحي هو الزيادة والإنماء، حين يتزوّد الطفل بأنواع المعرفة وألوان الثقافة، فيتغذّى عقله، وتكبر مدركاته، فيزكو ويسمو، علاوة على نماء جسمه بسبب تغذيته ورعايته صحيّاً، وتأمين ما يحتاج إليه من مأكّل ومشرب؛ ليرعرع بعافية جيّدة وقد تربّى جسمه ونما عقله وصفت نفسه وزكت روحه^(٢).

فالتربية دواء ناجح للأسقام والأمراض البشرية وشفاء للأجيال، وبها يرتقي الإنسان إلى أوج مدارج الكمال، وهي الأكسير الأعظم لتبديل الأرواح وتهذيبها، وهي العامل المهم في سعادة البشر، والفن المتم للقلوب الإنسانية، تحرّك الإنسان نحو الأهداف السامية، وتطلّع إلى قمم الفضائل والمكرّمات، وتؤمن حياة الأجيال القادمة بقوانينها الرصينة، ولكي يتحقّق ذلك الأمان، لا بدّ للمربيّ من أن يوفرّ الأرضيّة المناسبة والبنية التحتية الأساسية في التربية، وبناء شخصيّة الطفل بترسيخ المبادئ العقائدية والأخلاقية

(١) عليّ بن حسن الحلبيّ، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، الدّمّام، ١٤٢١ هـ، ص ٣٣٨.

(2) <https://apap.ahlamontada.com/t13079-topic>.

مع مراعاة عمره ومراحل نموه الديني، فمعرفة مدركاته العاطفية والأخلاقية تساعد المربي بآية طريقة، وفي أي وقت يمكنه التدخل في تربيته وتنمية المفاهيم المعرفية لديه، وبالتالي هداية عقل الطفل إلى الطريق المطلوب يكون أسهل وأسرع.

المطلب الأول: التربية الجسدية

إنَّ القصد من التربية الجسدية هو تهيئة الأرضية المناسبة، بتوفير أفضل أسباب البناء الجسدي المتوازن، وتأمين احتياجاته المهمة في تسير الفعاليات الحياتية والروحانية للإنسان.

إنَّ تقديم التربية الجسدية ليس دليلاً على أولوية قيمتها، بل هو انسجام مع الطريق الطبيعي لخلق الإنسان الذي يبدأ من البناء البدني، ويرتقي إلى المراحل الأخروية، يبدأ من الأسس الأولى من تراب، ثم نطفة، ثم علقه. قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ..﴾^(١).

فقد أولى الإسلام أهمية خاصة لحقيقة التكوين الإنساني، وأنه مركب من جسد وروح وعقل، وأعطى لكل منها تعاليم خاصة في تطويرها والحفاظ على سلامتها، فقد دعا الإسلام إلى العناية بالجسم، وإشباع حاجاته ودوافعه، فالشخص السليم الجسم يستطيع أن يتحمل أعباء الحياة، ولا يكون عالة على غيره، سواء في عباداته كالوضوء والصلاة والطواف وغيرها، فللبدن والنفس حقٌّ على صاحبها، قال النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(٢).

(١) سورة غافر: الآية ٦٧.

(٢) مها نادر، التربية عند أئمة أهل البيت، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٧ م، ص ٩٠.



فمن الضروريّ الحفاظ والاهتمام بصحّة البدن؛ لأنّ صحّته هي أساس ومقدّمة للصحّة العقليّة، فالجسم المريض لا يستطيع التركيز، ويكون منشغلاً بآلامه وطرق العلاج بعد إهماله وتركه فريسة سهلة لتفشي الأمراض، فليس من المعقول أن ينتظر الفرد وقوعه في الأمراض ثمّ يبدأ في العلاج، فالوقاية خير من العلاج.

إذن التربية الجسديّة تقتضي الاهتمام بالجسد، فالعقل السليم في الجسم السليم، والجسم السليم من الغذاء الصحيّ المفيد، فالأسرة هي المسؤولة الأولى عن صحّة أبنائها وتغذيتهم، من خلال تقديم الرعاية، كتوفير الغذاء الصحيّ والمتوازن لهم، فسوء التغذية لا يكون من قلة الطعام فقط، بل بقلة تنوّعه أيضًا، فنقصه يورث أمراضًا تمتدّ إلى أعمار الإنسان المختلفة، وطالما الطعام قوت الأجسام، فلا بدّ من الاهتمام به من جهتين، صحيًا من جهة، و حلالًا طبيًا من جهة أخرى، فمن واجب الأب أن يتحرّى الطعام الذي لا شبهة فيه، لما له من تأثير بالغ على مستقبل الطفل، بحيث إذا انعقدت النطفة من الحرام، سيكون ذلك بمثابة الأرض الصلبة لتعاسة الطفل وشقائه، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «كسب الحرام يبين في الذريّة»^(١)، وتعليمهم الآداب الإسلاميّة للطعام، فمن نعم الإسلام علينا أنّه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، ووضع لها تعاليم وآداب، وعلى المربي أن يطبّق ويعلم تلك القيم؛ ليصل بهم إلى طريق الصلاح والإصلاح، فعلى الأهل توضيح آداب المائدة منذ نعومة أظافر أطفالهم، كالتسمية وغسل اليدين والأكل ممّا يليه، وغير ذلك، ليكونوا قادرين على إظهار اللباقة وحسن الخلق، وتكون لديهم عادة، سواء داخل البيت أو خارجه، وبطبيعة الحال كلّ ما يتعلّمه الطفل من صغره يبقى راسخًا، فمن شبّ على شيء شاب عليه، لكن يبقى التذكير والمتابعة لهما الدور الكبير في تطبيق ذلك، فكثير من الأهل تعاني من تنبيه أولادها لكثير من الأمور، لكنهم ينسون ويتناسون تلك الإرشادات والتوصيات. إنّ

(١) الشيخ محمّد الشهابيّ، أكل الحرام وآثاره، مدرسة الإمام الصادق للعلوم الدينيّة، ص ٦.

المرئين هم من نسوا أن الأولاد بهم حاجة إلى تلقين مستمر من جهة، وتطبيق الكبار لتلك الأمور الإرشادية من جهة أخرى؛ لكي تترسخ الصورة، وتكون حاضرة في أذهانهم.

وقد أولت السيدة الزهراء عليها السلام عناية في ذلك، ولم تهمل شيئاً من تطبيق قواعد العناية بالبدن، ورعاية آداب المائدة، إلا وقد أرسخته في عقول أولادها، فمن أقوالها عليها السلام: «في المائدة اثنتا عشرة خصلة، يجب على كل مسلم أن يعرفها، أربع فيها فرض، وأربع فيها سنّة، وأربع فيها تأديب، فأما الفرض: فالمعرفة والرضا والتسمية والشكر، وأما السنّة: فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والأكل بثلاثة أصابع، وأما التأديب: فالأكل ممّا يليك، وتصغير اللقمة، والمضغ الشديد، وقلة النظر في وجوه الناس»^(١)، وهذا الحديث شامل وجامع لكل آداب الطعام.

وذكرت عن أبيها عليها السلام توخّي الحذر، وعدم الإسراف في تناول الأطعمة الغنيّة بالدهون؛ لما لها من تأثير على صحّة الإنسان، فقالت عليها السلام في هذا الشأن: قال رسول الله ﷺ: «لا يلو منن إلا نفسه من بات وفي يده غمر»^(٢). والغمر: الدسم والزهومة من اللحم، إشارة إلى الأثر السيئ الذي يتركه الإسراف في تناول الدهون واللحوم على الجسم، والدعوة والتركيز على ممارسة العادات الصحيّة كالنوم المبكر وممارسة الرياضة ونظافة البدن، وتشجيعهم على أداء بعض المستحبات كتقليم الأظافر في أيام مخصّصة، وغسل الجمعة، لكي يعتادوا عليها منذ الصغر، وتعليمهم طريقة التطهير من النجاسات، خشية من وقوعهم في الأمراض، وهذا ما دعت إليه الشريعة الإسلاميّة، وكل ما يصبّ في صالح الفرد؛ لتنشئة مجتمع خالٍ من العاهات والأمراض.

(١) كفاح الحداد، قراءة في السيرة الفاطميّة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينيّة المقدّسة، ط ١، كربلاء المقدّسة، ١٤٣٦ هـ، ص ٧٧٧.

(٢) كفاح الحداد، قراءة في السيرة الفاطميّة، ص ٧٧٨.





المطلب الثاني: التربية العقائدية

ويُقصد بها التربية التي تقوم على التفكير السليم، عن طريق ممارسة الاستدلال للوصول إلى الحقيقة، وممارسة طرائق التفكير الصحيح، والتدبُّر في قوانين وسنن الطبيعة والكون والحياة^(١).

فكلُّ معرفة أو تصوُّر صحيح لحقائق الوجود الكبرى ينبغي أن يعقبه تصديق واقتناع، فعقول البشر مهيَّنة ومعدَّة للتصديق بمجرد أن تلاحظ الرابطة السببية، وحين يحصل التصديق بواسطة الإثبات العقلي، تصل الدعوة إلى الإيمان بما صدَّق به العقل، فإذا كانت النفس مستعدَّة، يتحقَّق الإيمان مباشرة، وبعدها تبدأ رحلة الحياة وامتحاناتها وما فيها من مواقف لتثبيت الإيمان وتقويته، ولأنَّ المعرفة الواعية الممتزجة بالقناعة والدليل هي النواة الأساسية لبناء الشخصية، فإنَّ أوَّل مهمَّات التربية ينبغي أن تتركز على بناء الرؤية الكونية التي تتضمَّن الإجابات المقنعة والمنطقية عن الأسئلة المصيرية في الحياة، وقد اختصرت بثلاث مسائل وقضايا أساسية، هي أن نعرف من أين جئنا (قضية مبدأ العالم وخالقه)، ونعرف إلى أين نحن متجهون (قضية غاية الخلق والمصير)، وأن نعرف الطريق الموصل إلى الهدف الصحيح (الصرار والشرعية والمنهاج)^(٢).

ولأنَّ العقل تلك القوَّة التي أودعها الله تعالى في عباده لكي يصلوا إلى أعلى درجات الكمال، فعلى المربي أن يجعل من التعقُّل نقطة انطلاق في التربية، وخصوصاً التربية العقائدية التي تهدف إلى تشجيع الطفل على التأمل بآيات الله، فقد حدَّد القرآن الكريم طريقة لمعرفة الخالق عبر التدبُّر والتفكير في آيات الله، كالاشجار والأنفس والجبال، ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) التي بها نتوصَّل

(١) مها نادر، التربية عند أئمة أهل البيت، ص ٩٨.

(٢) عبَّاس النوري، تربية الأولاد، قناة على التلكرام: <https://t.me/baakids>.

(٣) سورة فصلت: الآية ٥٣.



إلى معرفة الله، وإدراك قدرته وهيمته على هذا العالم الكبير.

ومن الجدير بالذكر أن لا تتوقف معرفة الله في وقت محدد، لا بدَّ استغلال كلِّ فرصة متاحة ليكون الله حاضرًا في أذهانهم، عند هطول المطر مثلاً، أو تساقط أوراق الشجر، أو أي حدث طبيعي آخر، واستغلال فرصة الذهاب إلى الأماكن المقدَّسة، وتعريفهم قداسة تلك الأمكنة، واصطحابهم إلى المساجد، ومشاهدة صلاة الكبار، والاحتفال بالمناسبات الدينيَّة، وتعريفهم عن أصحاب المناسبة، وقصِّ حياته بأسلوب قصصيٍّ، إذ تعدُّ القصة من أهمِّ الأساليب لنقل المفاهيم الأساسيَّة وترسيخها، وهذه الطريقة نجدها واضحة في كتاب الله من خلال سرد بعض القصص لأجل التعليم ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، كقصة أصحاب السَّبْت، وقصص الأنبياء عليهم السلام، وغير ذلك كثير، وقد يتساءل البعض عن العمر المناسب للتربية الدينيَّة، والجواب نستلهمه من أحاديث أئمَّتنا المرَّيين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته»^(٢)

لقد تلقَّينا الجواب، فالتربية الدينيَّة تبدأ من الطفولة الأولى، ومن بعد الولادة مباشرة، فعندما تكبَّر في أذنه اليمنى، ونقيم في اليسرى، فإنَّنا نلقي عليه أوَّل بذور التربية من (التوحيد والنبوَّة والإمامة..). بالطبع هذا التعليم غير مباشر، لكن له تأثير كبير في الطفل، والتربية المباشرة تبدأ من السنِّ الثانية؛ لأنَّ الإحساس الدينيَّ يبدأ من هذا العمر، من خلال تلقَّينه حبِّ النبي وآله و..

ولا بدَّ من الالتفات إلى الزمان والمكان المناسبين، فيجب اختيار أفضل الأزمنة والأمكنة، وأفضلها عندما يكون الطفل مسروراً، ولا نوصي عندما يكون متعباً، أو

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) د. أكرم بركات، كيف تجعل ولدك صالحاً، بيت السراج للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠١٧م،

ص ١٠٦.



عندما يريد النوم، أو منزعجاً، فإلقاء المفاهيم الدينيّة في هذه الحالة سيولّد ردّة فعل عكسيّة عند أبنائنا^(١)، وكذلك مراعاة مراحل النموّ الدينيّ لديه، فقد قُسمت المراحل العمرية بحسب التربية الإسلاميّة إلى:

١. المرحلة الأولى من الولادة حتّى سنّ السابعة: وهي مرحلة السيادة واللعب وتنمية الخيال عبر القصص والأناشيد، والتعرّف على الشخصيات العظيمة، كالأنبياء والأنبياء.

٢. مرحلة السبعة الثانية (من ٧ إلى ١٤ عاماً): مرحلة التأديب والتعليم والتمهيد للتربية، من خلال توفير الظروف التي تخلق الأُنس بالقرآن، وتوضيح محوريات الصلاة، وتوضيح الفروقات بين الجنسين، ومراعاة أحكام المحارم والنظر، وغيرها.

٣. المرحلة الثالثة من سن ١٤ إلى بداية العشرينات: وهي مرحلة الوزارة والمشاورة والتفكّر والاستدلال^(٢).

وعندما نستقري سيرة الزّهراء (عليها السلام) في التربية نجدتها (سلام الله عليها) تحثّ ولديها كثيراً للذهاب إلى المسجد، وتعلم ما كان ويكون في المسجد، فقد روي «أنّ الحسن بن عليّ (عليه السلام) كان يحضر مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمّه فيلقي إليها ما حفظه، وكلّما دخل عليّ (عليه السلام) وجد عندها علم بالتنزيل...»^(٣). ومن هنا يجدر الانتباه إلى أنّ الزّهراء كانت تحثّ أولادها على الذهاب إلى المساجد؛ لكي يتزوّدوا ويتعلّموا الأحكام، علاوة على ذلك، كانت تضرب مثلاً في العقيدة،

(١) أميمة عليق، ألف باء الحياة، دار الولاء، ط ٢، بيروت، ص ٢٥-٢٦.

(٢) أميمة عليق، حدّثني عن الله، دار الولاء، ط ٢، بيروت، ص ٣٨ وما بعدها.

(٣) شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينيّة، شذرات من حياة فاطمة، العتبة العلويّة، ط ١، ٢٠١٦م،



من خلال عبادتها لله تعالى بإخلاص وإيمان عالٍ، إذ كان قلبها ينبوعاً متفجراً بمعرفة الله والارتباط به سبحانه وتعالى، والخوف من أهوال يوم القيامة، فكانت تحشى من يوم الحشر والعرض عليه سبحانه. كل هذه المعتقدات قد أرسختها في أذهان أولادها بشكل عملي، فكانت تراعي أن يرى الأبناء أمهم، وهي تؤدي العبادات، وتقرأ الأدعية بصوت عالٍ ومسموع، فكانت مثلاً يحتذى به أولادها، ومن سيرة الزهراء هذه تعطي لنا درساً في حب أولادنا في الذهاب إلى المساجد، والتزود بالتقوى، ومعرفة الأحكام الشرعية التي تتذكر هناك، ووجوب أداء التكليف الشرعية أمامهم، لكي يترعرعوا في ظل تلك القيم والتكاليف، ويكون عليهم الأمر هيئاً عند تكليفهم به.

المطلب الثالث: التربية الأخلاقية

الأخلاق بحسب المدلول اللغوي: هي السجية والطبع.

بحسب المدلول الاصطلاحي: ضرورة ترويض النفس على فعل الخير، والحد من ميولها إلى الجانب المهلك، إذ كل صفة تميل إلى الجانب السلبي؛ لقصور في المقدمات التربوية الأخلاقية^(١). قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٢).

إن الرصيد الأكبر في التربية هي تلك الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالإنسان بطبيعته مجبول على حب الخير، وأتصفاه بالفضائل الحسنة من الكرم والجود والاحترام والتواضع، وابتعاده عن كل ما هو قبيح، وهذا مما سهل وأعان الوالدين كثيراً، لكن إن تركت تلك الفطرة دون متابعة، سوف تضمحل وتصدأ؛ لأن من طبع الأبناء تكون ميالة للأهواء والشهوات التي تخالف فطرتهم، فمن الطبيعي أن يصدر منهم الكثير من المخالفات، فلا بد من ترسيخ تلك الفطرة الإنسانية في نفوسهم، بتطبيقنا نحن لتلك القيم الدينية التي سرعان ما تنتقل لهم، فالأبناء يقفون وقفة المتربص والمتابعة

(١) محمد العاملي، فلسفة التربية الفقهية عن الامام الصادق، ص ٨٠.

(٢) سورة العلق: الآية ٦.



لأفعالنا وأقوالنا، فيقولون ما نقول نحن، ويفعلون ما نفعله نحن، ويعيشون ما نعيشه نحن، فالوالدان هم القدوة الحسنة الأولى للأولاد، وتمتاز هذه القدوة بمزايا، منها قدوة تلقائية يتبع فيها الوالدان عن التصنع والتكلف، فعادةً ما يكونون أحراراً في ممارساتهم في البيت الأسري، إضافة إلى ذلك، فهي قدوة شبه دائمة، حيث يكون الطفل كثير الالتصاق بالوالدين في سنواته الأولى، وكثير التأثر بهما، فهي قدوة فكرية عاطفية تحمل أواصر الحب والمودة للأولاد، وبذلك تكون قدوة فاعلة قد يمتد تأثيرها طوال الحياة، وتنبع فكرة القدوة من وجود غريزة المحاكاة والتقليد عند الإنسان، وخاصة في مرحلة الطفولة، حيث ينظر الطفل إلى والديه على أنهم الحق كله والعصمة كلها، فكل ما يصدر منهم يكون من مسلمات الأمور، فيتسابقون إلى الاقتداء بهم، فالقدوات تساعد على التعليم السريع وإيصال الفكرة وتوضيحها وتصحيح الأخطاء فيها، ولهذا فالقدوة الصالحة من عوامل الرقي والتكامل، والعكس صحيح^(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أسلوب القدوة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَمَهُ﴾^(٢)، وعليه لا بد من الوالدين يقتدون بقدوة حسنة وخير القدوات بنت نبي الرحمة ﷺ، فلننظر إلى بيت الزهراء عليها السلام، وماذا كانت تصنع؟ للزهراء عليها السلام بيت محاط بالقداسة، مغمور بالروحانية، مليء بالنور، مكتظ بالتبجيل والتجليل، شيد على الفضائل والأخلاق السامية، طبقت كل معاني الإيثار والزهد التي قدمت أروع صورها ونماذجها في التاريخ البشري، وسطرت بسيرتها ما يعجز الزمان أن يأتي بمثله، قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا^(٣).

(١) كفاح الحدا، قراءة في السيرة الفاطمية، ص ٤٥٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٨-٩.



نعم فقد ثمنت السماء موقفها البطولي حينما أثرت المسكين واليتيم والأسير على نفسها وصبيتها، وقد أعطت لأبنائها درسًا في الإيثار ومساعدة الفقير واحترام الكبير، بتطبيق عملي واضح، وانعكست هذه الأخلاق على أولادها وكيفية تعاملهم مع الآخرين، فأنصّفوا بالأخلاق والروح العالية منذ صغرهم، فقد روي «أن الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ، ولا يحسن الوضوء، فاطهرا تنازعًا، يقول كلُّ منهما للآخر أنت لا تحسن الوضوء. وقالوا: أيُّها الشيخ كن حكمًا بيننا، فتوضأ وقالوا: أيُّنا يحسن الوضوء؟ فقال: الشيخ كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يحسن، وقد تعلم منكما الآن، وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدّكما»^(١).

وقد أعطت لأبنائها درسًا في الإيثار ومساعدة الفقير واحترام الكبير، بتطبيق عملي واضح، علاوة على ذلك حبّها للمؤمنين وجيرانها، فكانت تدعو لجارها قبل دعائها لأهل بيتها. روي عن ولدها الحسن عليه السلام أنّه قال: «رأيت أمّي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتّى أتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثمّ الدار»^(٢).

فالتربية عند الزهراء عليها السلام تربية متكاملة، جمعت كلّ أقسام التربية، فتربيتها الاجتماعية واضحة من خلال تعليمهم الآداب الاجتماعية، والحثّ على احترام حقوق الآخرين، إضافة إلى أدوات التربية، من خلال الحوار والسلام والإنصات والتزاور والاستئذان، وتربيتها البدنية واضحة من خلال ما امتلكه الأولاد من حرية الحركة، والعناية بالبدن، وتربيتها النفسية نجدها في أكثر من زاوية بحضور ساعات الاحتضار

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص ٥٦٣.

(٢) محمد القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، المطبعة العلمية، قم، ١٤١٤ هـ، ص ٢٠٨.



الأخيرة مع الرسول ﷺ، وتربيتها السياسيّة، فلقد كان أولادها معها في فتح مكّة، وفي بيت الأحزان، وكذلك اصطحبتهم إلى المسجد عندما ألقت خطبتها، مطالبةً بحقّ الإمامة وإرثها المغصوب^(١).

فيجدر بنا كمربيّين أن نتّخذ من سيرة الزّهاء في التربية عنواناً ومنهاجاً، نسير على خطواتها في التربية، وتأسيس جيلٍ واعٍ مثقّفٍ وممّهّدٍ للإصلاح، متحصّناً بالحصانة الأخلاقيّة من الورع والعدالة والتّقوى؛ ليكون أميناً بعيداً عن الأهواء الدنيويّة.



(١) كفاح الحدّاد، قراءة في السيرة الفاطميّة، ص ٤٥٣.

المبحث الثاني

معوّقات التربية الدينية في عصرنا الحاضر

تربية الأولاد مسؤولية شرعية واجتماعية تؤخذ على عاتق الوالدين، فإن أهملها فقد ارتكبا جريمة بحق أولادهم؛ لأنهم بتربيتهم المغلوطة وفراهم أسباب الضياع والشقاء، وجرّهم إلى حياة في غابة موحشة، علاوة على ذلك، أصبحا شريكين في تصرفاتهم المنحرفة، وابتعادهم عن الوصول إلى طريق الكمال، ولا يفرا من تفریطهم لأسس التربية القويمة بلا حساب، بل تترك أثراً دنيوياً، يتمثل ببرّ الوالدين والإحسان إليهم والعطف عليهم وحسن معاشرتهم، وخاصة عند تقدّمهما في السنّ، والحاجة إلى أولادهم، وأثراً برزخياً وأخروياً، فإنّ عمل الإنسان ينقطع بعد موته وانتقاله إلى عالم البرزخ أو القبر، إلّا من ثلاثة أمور، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته، فهي تجري بعد موته، وسنة هدي سنّها، فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له»^(١)، وهما سوف يحرمان من تلك الآثار؛ بسبب سوء التربية لأولادهم.

ومن آثار التربية ما يعود على نفس الشخص واستقامته، وتعلّقه بدينه وعقيدته، وطهارة قلبه، وقوّة شخصيته، وعقله الفطن الذي يعرف ما يريد وأين يذهب، إذ توكل إليه الأمور الصعبة، ويُعتمد عليه في المهمّات، فيؤسّس في المستقبل أسرة جديدة يعتني بها كما اعتنى به أهله وربّياه تربية سليمة، والعكس صحيح، بفشله تفشل أسرته

(١) د. أكرم بركات، كيف تجعل ولدك صالحاً، ص ٩.





ومجتمعه المحيط به. نعم إنّ التربية الفاشلة تعمّ المجتمع؛ لأنّ فشل المجتمع مرهون بفشل أفراده، ولكي تكون تربية صحيحة، لا بدّ من التعرّف على معوقات تلك التربية، وإيجاد الحلول الجذرية لها.

المطلب الأوّل: الصفات الوراثية

إنّ تكوين الشخصية بالإنماء العقليّ والسلوكيّ، بالإضافة إلى العامل الوراثيّ، من أهمّ ما يتطلّع المربّون والمصلحون الذين جاهدوا وثابروا في تحديد سلوكيّات وتصرفات الأفراد بالاتّجاه الإيجابيّ الفعّال، ونزع أسباب التردّي والانحطاط في الشخصية السلوكيّة، وباتت مسؤوليّة التقويم لأفعال الأفراد من أهمّ أولويّات العلماء في التاريخ البشريّ، ولكنّ الرسائل السماويّة سبقت ذلك كلّها، ولم تهمل الجانب التربويّ.

فالإسلام كشف قانون الوراثة قبل أن يكتشفها علماء النفس والوراثة، ووضّح أنّ لها تأثير إيجابيّ في التكوين السليم، فهي تؤثر ذاتيّاً في الشخص من بداية وجوده إلى مماته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾^(١)، إذ يرى الاسلام أنّ سلوك الآباء والأمّهات له تأثير كبير على سلوك أبنائهم الذين يرثون صفاتهم الصالحة أو الطالحة، فالموجود الحي ينقل كثيراً من الصفات والخصائص إلى الأجيال التي تليها، فالجيل اللاحق يكسب صفات الجيل السابق، كاللون الشعر ووضع الأنف والجنون والبلادة والحمق^(٢)، ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم يحكي على لسان النبيّ نوح هذه الحقيقة الصادمة، إذ يقول بعد أن يأس من هداية قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٦١ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْسُدُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَفَّارًا ۝٦٢﴾^(٣).

(١) سورة عمران: الآية ٣٣-٣٤.

(٢) محمد تقى فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ص ٥١.

(٣) سورة نوح: الآية ٢٦.



فلقد وضع الإسلام كثيراً من الأحكام لكي يمنع من حدوث أولاد أشقياء وأجيال فاسدة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه»^(١). والمقصود من الشقاء والسعادة في بطن الأم هو تلك الانعكاسات التي تطرأ على الجنين تأثراً بالحالة الصحية والجسدية و النفسية للأم، فتولد فيه استعداداً للشقاء أو السعادة، فبعض الأمراض الجسدية تؤثر على الجنين، فيولد مصاباً ببعضها، وتلازمه الإصابة إلى الكبر، فتكون مصدر شقاء له، أو يكون سالماً من الأمراض، فتكون السلامة ملازمة له، كذلك الحالة النفسية والعاطفية، فالقلق أو الاطمئنان، والاضطراب أو الاستقرار، والخوف وعدمه، وغيره يؤثر في الجنين، ويبقى ملازماً له ما لم يتوفر له المحيط الاجتماعي المثالي الذي يُنقذه من آثار الماضي^(٢).

الإسلام وضع الطرق الإرشادية، وسلك أدق السبل اللازم إتباعها لكي يمنع انتقال الصفات الرذيلة في أعقابهم، ويستأصل الأسر المنحطة في المجتمع التي تُضعف شوكة الإسلام والمسلمين، فقد أكد على اختيار الزوجة من الأسر التي تمتلك الصفات النبيلة والكريمة؛ لتأثير الوراثة على تكوين المرأة والطفل الذي تلده، وعلى هذا الأساس كانت خديجة هي زوجة النبي الأعظم التي ولدت سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخريين، وفاطمة عليها السلام بدورها أنجبت أفضل الخلق وأكملهم إيماناً وأخلاقاً.

وقد أكمل الإسلام خطوته في الإرشاد عندما كره تزويج الرجل بالحمقاء أو المجنونة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إياكم وتزوّج الحمقاء، فإنّ صحبتها بلاء، وولدها ضياع»^(٣).

(١) محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ص ٦٧.

(٢) الشيخ ياسين عيسى والسيد علي عاشور، التربية الفاشلة وطرق علاجها، دار البلاغة للنشر، بيروت، ٢٠١١م، ص ٧٧.

(٣) د. كتور أكرم، كيف تجعل ولدك صالحاً، ص ١٦.

كذلك حذر من الزواج بالمجنونة، فالجنون ينتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، فالآباء المصابين بالجنون لا يتجان إلا مجانين مثلهم، وهذا قانون طبيعي غير قابل للتبديل، والمولود المجنون ليس شقيًا لنفسه فحسب، بل يسبب شقاوة المجتمع أيضًا^(١). ولكي لا ينتشر في المجتمع الحماقة والشذوذ والعاهات، أوصى النبي محمد ﷺ بالزواج من ذات الدين، وترك زواج المرأة لجمالها أو مالها، فقد لا يرى فيها خيرًا «من تزوج امرأة، لا يتزوجها إلا لجمالها، لم ير فيها ما يجب، ومن تزوجها لجمالها، لا يتزوجها إلا له وكله الله إليه، فعليكم بذات الدين»^(٢).

وأكد أن المرأة لا بد لها أن تتعرف على حال الرجل قبل الارتباط به، فتجنب من لديه سوء خلق أو عاهات، فينتقل ذلك إلى أولادها، فإن فساد أحد الوالدين يؤثر سلبيًا في سلوكيات الأبناء ونموه العقلي، اذا ينشأ في جوٍّ أسريٍّ مليئ بالتصادمات وإشاعة الخوف والاضطراب النفسي، وهذا يعدُّ من معوقات التربية التي حذر الإسلام من الوقوع فيها، من خلال وصاياه الكثيرة في اختيار الزوجة الصالحة؛ لكون الأم هي التي تعدُّ الأجيال، وتنقل القيم وتصون الأبناء، وبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، وعندما يصلح المجتمع تسود الأخلاق والقيم الإنسانية التي تأخذ بيده نحو طريق الكمال، وهذا الهدف المنشود، ومراعاة التسمية والدعاء عند مباشرة الزوجة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا جامع أحدكم، فليقل بسم الله وبالله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتني...»^(٣).

والاهتمام بغذاء الحامل، فقد نبّه الإسلام إلى دور الغذاء في مستقبل الولد وحسنه، فعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «أطعموا حبالكم السفرجل، فإنه يحسن من اخلاق

(١) محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ص ٦٨.

(٢) السيد علي السيستاني، منهاج الصالحين، ج ٣، مطبعة دار التعارف، بيروت، ١٤٣٩ هـ، ص ٦٨.

(٣) د. أكرم، كيف تجعل ولدك صالحًا، ص ١٨-١٩.

أولادكم»^(١)، وكذلك الدقة في اختيار المرضعة من غير الأم؛ لما للبن من تأثير في أخلاق الرضيع.

المطلب الثاني: الأبوة والأمومة الفاشلة

تعدُّ تربية الأبناء من أصعب الوظائف وأكثرها مسؤولية واشقها جهداً، إذ يعدُّ الوالدين المؤسسة التربوية الأولى والنواة الأساسية لتنشأة الأبناء وتربيتهم، فالوالدين بطبيعة الحال مجبولون على حبِّ أبنائهم والاهتمام بهم، لكن الجهل بالتربية والخطوات غير المدروسة منهم، تحول دون التربية الصالحة، بل تُعطي نتائج عكسية غير مرضية.

فالطفل إلى جانب تأثره الوراثي بوالديه، يتأثر كذلك بسلوكهما، فإذا عرف الولد من والديه الكذب، فإنه لا يتورع عنه، طالما قدوته في حياته يكذب، وهكذا سائر الصفات، وقد نبّهت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على ضرورة الصدق في التعامل مع الأطفال، فقال النبي صلى الله عليه وآله مخاطباً الآباء: «أحبُّوا الصبيان وارحموهم، فإذا وعدتموهم شيئاً فآفوا لهم..»^(٢).

وقد يتأثر الطفل بوالديه عندما يراها في تشاجر دائم، فهذا سيولد انعكاس سلبي على شخصيته، بخلاف لو اعتاد على حالة الودِّ والوئام، ولعلَّه إلى هذا يشير أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «مودَّة الآباء قرابة بين الأبناء»^(٣).

ومن أهمِّ معوقات التربية عدم تعليم الولد الحلال والحرام، ويبقى تركيز الأهل على تعليم أولادهم علوم الدنيا فقط، بل يمنعوهم في بعض الحالات من تعلُّم أحكام الإسلام، وهذا ما تنبَّأ به رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال: «ويلُّ لأولاد آخر الزمان من آبائهم.

(١) د. أكرم، كيف تجعل ولدك صالحاً، ص ٢١.

(٢) الشيخ ياسين عيسى والسيد علي عاشور، التربية الفاشلة وطرق علاجها، ص ١٢٢.

(٣) د. أكرم، كيف تجعل ولدك صالحاً، ص ٨٦.





فقليل: يارسول الله من آبائهم المشركين؟ فقال ﷺ: من آبائهم المؤمنين، لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلم أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم بريء، وهم مني براء»^(١).

وعلى الآباء مسؤولية انتقاء أفضل الأسماء، إذ من حقوق الأبناء على آبائهم حسن التسمية، فقد ورد أن رجلاً جاء إلى النبي محمد ﷺ، وسأله: ما حق ابني هذا؟ فأجاب ﷺ: «تحسن اسمه وأدبه وتضعه موضعاً حسناً»^(٢).

ومن معوقات التربية عدم الأخذ بتعاليم الدين القويم، وهو بدوره يوفر لنا الملاذ الآمن من جميع المشكلات، لكن ما نراه اليوم أن الكثير من الآباء يميلون إلى أسماء الفنانين وأسماء المشهورين من الأجانب في تسمية فلذات أكبادهم، غير مكترئين إلى النتائج السلبية، وتأثر الطفل بتلك الشخصيات، فهم بمثابة القدوة السيئة لهم، وبئس القدوة تلك.

ومن مظاهر التربية الهدامة إلقاء الأبناء في أحضان الشقاء بدافع إسعادهم، وترسيخ دعائم الكذب في نفسياتهم، من خلال تعليمهم طابع الصدق، إذ إن بعض الأولياء والمربين الحريصين يتسببون أحياناً بتشددهم المتزمت أو إسنادهم الزائد أو بقلّة تمرّسهم برمي أطفالهم في حضيض الانحطاط، يقول جان جوك: «يريد المربون تعليم الطفل نمط سلوك الراشدين، ولكن بما أن تحليل هذا النمط السلوكي مازال متعذراً على الطفل، وحتى لا يستوعبها كما ينبغي، فإنه لا يتعلم من الدروس الأخلاقية إلاّ التعوّد على الكذب والمراوغة والتظاهر»^(٣).

وكذلك من مصادق التربية الهدامة والفاشلة، هو الإهمال، وهنا تنقلب المعادلة،

(١) د. أكرم، كيف تجعل ولدك صالحاً، ص ٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٣) د. عبد العظيم كريمي، التربية الصادمة، دار الهادي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧ م، ص ١١.



فإن إهمال الوالدين، أي السكوت عن القول أو الفعل السيئ للأبناء دون الوعظ والتنبية، وعلى فترات طويلة، تقع المشكلة ويحصل ما لم نتوقع! ويزداد الأمر تعقيداً عندما تؤثر أفعالهم سلباً على الفرد ومجتمعه، كالسرقة أو الإنجرار نحو العقائد الباطلة، أو تعاطي المخدرات، فالمسؤولية الشرعية والاجتماعية تقتضي من المربين أن يستنهضوا همهم ويستيقظوا من سباتهم في ترك الإهمال، وإيجاد الحلول، ولو باللجوء إلى ذوي الخبرة والاختصاص لحل تلك المشاكل.

وتعدُّ التربية بالقسوة من مصاديق التربية الهدامة، فإنَّ الأب سيئ الخلق الذي يبطش بعائلته، ويتحكَّم بالأسرة على أساس القسوة، وبلغة السبِّ والشتيمة والضرب على أبسط الهفوات، لا يجني إلاَّ أسرة بعيدة كلَّ البعد عن مبادئ الحصانة الأخلاقية، يكون هدفها هو إرضاء ذلك الأب الظالم، دون أن تترسَّخ في أذهانهم تلك الأدبيات، فتكون أخلاقهم سطحية لا جوهريّة، ولوقت قصير، فالقسوة تعطي نتائج سريعة في طاعة الأبناء بدافع الخوف لا بدافع الاعتقاد، لكن سرعان ما يزول، فالذي يأتي بسرعة يزول ويضمحل بسرعة، ليس هذا فحسب، وإنَّما يتحوَّل الطفل إلى مخلوق سلبيّ ضعيف الشخصية، قليل الثقة خائف، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، مخذول بين أصدقائه، وهذه التربية فقدت كلَّ مقوماتها الأساسية، وتزيد الطفل شعوراً بالعداء والابتعاد عن المربي في أسرة يسودها جوُّ الخوف والقلق النفسي، ولهذا دعا الإسلام الوالدين إلى تفهّم تغيير الزمان، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»^(١)، ولأنَّ غايتنا هو الوصول بأبنائنا نحو طريق الكمال، فلا بدَّ من التربية بالحبِّ والعطف، حبُّ الآباء لأبنائهم أمر فطريّ لا خلاف فيه، لكن الحب شيء والتعبير عنه شيء آخر، فلا بدَّ أن يشعر الطفل بذلك الحبِّ والمودة، وهو أغلى شيء في حياتهم، هذا ممَّا يزيد الطفل قوّة ومناعة، وهناك الكثير من الأحاديث التي وردت في

(١) د. أكرم، كيف تجعل ولدك صالحاً، ص ٩٧.



فضل حبّ الآباء لأبنائهم والإحسان إليهم والشفقة والرحمة بهم، فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنَّ الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده»^(١).

فالحبُّ داخل الأسرة هو العمود الفقريّ لإنجاح التربية المتميّزة، وهذا نراه واضحاً في تصرّف السيّدة الزّهراء عليها السلام في حديث الكساء، عندما دخل عليها أبوها وزوجها وولداها، وهي تردُّ السلام عليهم بكلّ حبٍّ وعطف، فنجد أدب الحوار والسلام واضحاً داخل الأسرة الزّهراوية، وهي تُشعر أولادها بحبّها واحترامها لهم، بقولها عندما سلّم عليها ولداها: «وعليك السلام يا قرّة عيني وثمره فؤادي»^(٢).

المطلب الثالث: البيئة الاجتماعية

تشمل البيئة الاجتماعية البيئات الكائنة خارج نطاق الأسرة، كالخارج والأقارب والجمعيات والنوادي ودور العبادة وغيرها، فمثّل هذه البيئات قد تعمل سلباً أو إيجاباً في السلوك عند الأفراد^(٣).

فالتعامل مع البيئات الإيجابية تضيف على الشخص طابع تلك البيئة وتؤثر به، وتسلك به سلوكاً طيباً، عكس الأماكن المعدّة للهو واللعب، فتترك في نفس الإنسان الازدواجية، وتترك أثراً سلبياً في نفسه، وتعرّفه على زملاء السوء، فالصدقة تشكّل حالة إيجابية في حياة الفرد، إذ يميل الإنسان بطبيعته إلى إنشاء علاقات مع غيره من الأفراد، واكتساب صدقات، ويكره العيش بمفرده في عزلة عن الآخرين، لكن تكمن المشكلة عند مصادقة الصديق المسموم، فالصدقة السامة من أهمّ ما يميزها كلّ ما هو سلبيّ

(١) الشيخ الكليني، كتاب الكافي، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، طهران، ١٣٦٧ هـ، ص ٥٠.

(٢) عبّاس القمي، مفاتيح الجنان، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، لبنان، ط ٩، ١٤٣٢ هـ، ص ٦١٤.

(٣) مها نادر، التربية عند أئمة أهل البيت، ص ٢٣٣.

لا يدفع إلى الأمام، وكلُّ ما يعطى للطرف الآخر عدم الشعور بالارتياح أو المساواة^(١)، فالصدقة لها تأثير خطير على حياة كلِّ شخص منّا، فهي تؤثر على المستوى الصحيّ والدينيّ والأخلاقيّ والعلميّ، بل تتشعب في مختلف نواحي الحياة، ويدخل الفرد في معترك بين السلوكيّات والأفكار الجديدة التي اكتسبها من صديقه، وبين سلوكيّات أسرته، فمن واجب المربيّ أن يتعرّف على أصدقاء أولاده، سواء أصدقاء المدرسة أو الجيران، وخصوصاً عندما تنتقل الأسرة إلى مدينة أخرى، سيبحث الولد عن أصدقاء جدد، إذن لا بدّ من الدقّة والانتباه في علاقاته الجديدة، منعاً من الوقوع في مشاكل كبيرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صحبة الأشرار تكسب الشرّ كالريح إذا مرّت بالنتن حملت نتناً»^(٢).

وأكد ابن سينا على ضرورة النظر في أقران الصبيّ، إذ إنّ يتعلّم منهم الكثير، فلا بدّ أن يحاط الصبيّ مع مَنْ هم حسنة آدابهم، مرضيّة عاداتهم، كما قال: «لأنّ الصبيّ عن الصبيّ ألّفن، وهو عنه آخذ، وبه يأنس»^(٣).

ومن مؤثرات البيئة الاجتماعيّة وأكبرها تهديداً للبشريّة، وصول العادات الغربيّة إلى بيوتنا بشكل مكثّف من خلال سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ، وما يبيث فيها من قنوات تصل إلى درجة الانحطاط الانحدار بكلّ معانيه، وقلة المتابعة من الوالدين، وجلوس الطفل لفترات طويلة، وتركه على هواه، يسمع ويرى ما يشاء وما يدور حول العالم بدون مراقبة من قبل الأسرة، نعم إنّ استخدام الانترنت والكمبيوتر والجوّال بدأت تفرض وجودها علينا، وأصبح التعامل معها بشكل طبيعيّ، والأطفال كذلك، فهم ليسوا ببعيدين عنها، بل غرت عالم الأطفال وخيالهم، وبدأت

(١) د. ابراهيم الفقي، كيف تكسب الأصدقاء، الإبداع للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص ٦٠.

(٢) عبد الواحد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، مؤسّسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص ١٦٤.

(٣) مها نادر، التربية عند أئمة أهل البيت، ص ٢٣٣.



تؤثر فيهم بشكل مباشر، فهي تفيد الطفل، وترفع مستواه، لكن تكمن المشكلة من عدم التوجيه والمراقبة من قبل الأسرة، والاستخدام السيء لها، تحول دون الاستفادة منها، بل تكون أداة دمار وقتل للطفولة، وكذلك للتلفاز أضرار، تقول الباحثة بدرية أحمد: إنَّ التلفاز يحاول جذب الصغار إلى عالم الرسوم المتحركة، وهذه الرسوم تخلق عوالم مثيرة صاخبة من مخلوقات وحركات غير منطقية تتحدى كلَّ قوانين الحركة والزمن والحياة، وهذه الرسوم معظمها مستوردة من الدول الأجنبية، والطفل مخلوق بريء يقتبس كلَّ ما يشاهد بعفوية من قيم وعادات ومضامين، فهذه القنوات تقدّم برامج الرسوم لكلِّ أطفال العالم وفق منظورها الخاص، ولا يمكن للطفل العربي أن يتقبَّل كلَّ ما يطرح على تلك الفضائيات، فكلُّ مجتمع عاداته وتقاليده، يتربّى وسطها الأطفال، ومن الصعب تغيير هذه القيم التي تُعرض في الفضائيات»^(١).

إذن على المربي أن يجد البدائل، ولا يترك الطفل لساعات يجلس على تلك الوسائل فلا بدَّ أن يشغل الطفل في دورات ممارسة الرياضة مثلاً، وتوفير الألعاب الكافية في المنزل، كذلك عدم حرمانه من الانترنت بشكل كامل، وإنَّما نجد الحلول، فالبديل الذي نوفره لأطفالنا هو الانترنت نفسه! لكن نوفر فيه مواقع عربية إسلامية مثيرة وجذابة، تحتوي على كلِّ جديد ومفيد، ولا بدَّ أن نجاري العصر ونركب سفينة النجاة، باستخدام سلاح العصرية والتقدم. هناك الكثير من الأساليب التي تهياً لحماية الأطفال من التعرُّض للمواقع الإباحية والخلاعية، أو ذات المعتقدات الخطيرة، وغيرها من المواقع غير المناسبة على مواقع الانترنت، لذا فمن الضروري التعرُّف إلى البرامج التي تتيح رقابة أبوية على الانترنت؛ لمنع برامج معينة بتهيأة الجهاز بطريقة لا تسمح للأطفال باستخدام الانترنت إلَّا كمصدر للتعليم، وليس جهازاً للتفاعل، وتذكير الأطفال أنَّ

(١) الشيخ ياسين عيسى والسيد علي عاشور، التربية الفاشلة وطرق علاجها،



قيمة الانترنت كلها تكمن في الجانب التعليمي والثقافي، وليس في جوانب أخرى، وإن لم تكن لدينا معرفة بكيفية تهيئة الجهاز وضبطه لهذا الغرض، اتَّصل على الشركة لتشرح لك ذلك خطوة بخطوة^(١).

الخاتمة

الاستنتاجات:

١. التربية الجسدية توفر أفضل أسباب البناء الجسدي المتوازن، وتأمين احتياجاته، وقد اعتنت السيدة الزهراء عليها السلام كثيرًا بأداب المائدة، وحذرت من الإسراف في تناول الأطعمة الغنية بالدهون.
٢. المعرفة الواعية الممتزجة بالقناعة والدليل هي النواة الأساسية لبناء شخصية الفرد.
٣. التربية عند السيدة الزهراء تربية متكاملة، جمعت كل أقسام التربية، فتربيتها الأخلاقية واضحة من أدب الحوار، والحث على مساعدة الفقير والأسير، واحترام حقوق الآخرين.
٤. إن تكوين الشخصية يكون من خلال الإنماء العقلي والسلوكي، بالإضافة إلى العامل الوراثي، ولذلك دعا الإسلام إلى ضرورة الفحص عن التربة الصالحة في الزواج.
٥. إن التربية بالقسوة تعطي نتائج أسرع، لكن سرعان ما تزول لكونها سطحية، لا جوهرية، وهذا يخالف ما ربت عليها الزهراء من احترام الطفل والثناء عليه.

(١) الشيخ ياسين عيسى، والسيد علي عاشور، التربية الفاشلة وطرق علاجها، ص ١٠٦-١٠٧.



التوصيات:

نوصي بنشر فكر السيِّدة الزَّهراء (عليها السلام) في التربية، عن طريق إقامة مؤتمرات أو ندوات أو طباعة كتب تحوي طرق التربية عند السيِّدة الزَّهراء (عليها السلام).

المصادر

* القرآن الكريم.

١. أميمة عليق، ألف باء الحياة، دار الولاء، ط٢، بيروت.
٢. علي السيستاني، منهاج الصالحين، ج٣، مطبعة دار التعارف، بيروت، ١٤٣٩هـ.
٣. محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ج١، مطبعة دار التعارف، بيروت، ١٣٨٦هـ.
٤. محمد القزويني، فاطمة الزَّهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد، المطبعة العلمية، قم، إيران، ١٤١٤هـ.ق.
٥. كفاح الحداد، قراءة في السيرة الفاطمية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، كربلاء المقدسة، ١٤٣٦هـ.
٦. عباس القمي، مفاتيح الجنان، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، لبنان، ط٩، ١٤٣٢هـ.
٧. علي بن حسن الحلبي، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.
٨. مها نادر، التربية عند أئمة أهل البيت، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٧م.

٩. الشيخ محمد الشهابي، أكل الحرام وآثاره، مدرسة الإمام الصادق للعلوم الدينية.
١٠. عباس النوري، تربية الأولاد، قناة على التلكرام: <https://t.me/baakids>.
١١. أكرم بركات، كيف تجعل ولدك صالحًا، بيت السراج للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠١٧م.
١٢. شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، شذرات من حياة فاطمة، العتبة العلوية المقدسة، ط١، ٢٠١٦م.
١٣. محمد العاملي، فلسفة التربية الفقهية عن الإمام الصادق، ط١، بيروت.
١٤. محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار المعارف للمطبوعات، بيروت.
١٥. ياسين عيسى وعلي عاشور، التربية الفاشلة وطرق علاجها، دار البلاغة للنشر، بيروت، ٢٠١١م.
١٦. عبد العظيم كريمي، التربية الصادمة، دار الهادي، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م.
١٧. الكليني، كتاب الكافي، دار الكتب الإسلامية، ط٣، طهران، ١٣٦٧هـ.
١٨. إبراهيم الفقي، كيف تكسب الأصدقاء، الإبداع للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
١٩. عبدالواحد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

20. <https://apap.ahlamontada.com/t13079-topic>.



فقه الحوار عند السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الدكتور حمزة حسن عباس الموسوي

مديرية تربية بابل

الملخص

هذا البحث هو محاولة للتعريف بأثر الحوار وأدبه وفقهه، إضافة إلى أنه طريقة للاتصال والتثقيف في بناء المجتمع الإنساني الذي ينبغي أن يتأسس وفق القواعد الإسلامية؛ لما تتضمنه هذه القواعد من أهمية خاصة.

لذلك فإن القرآن الكريم هو دستور الحياة وعلومها، ومن أجل أن يبقى القرآن حاضراً في حياة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبقاء سيرته المباركة، أشار وحث أهل البيت عليهم السلام على التمسك بالقرآن منهجاً وعملاً في كل فعاليات الحياة، إذ جاء في نهج البلاغة: «وخلّف فيكم ما خلّف الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم»، فبعد أن ذكر سيد البلغاء والمتكلمين بعث الأنبياء، وخاتمة تلك السلسلة برسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وآله، إذ لم يرحل عن دار الدنيا إلا بعد أن ترك فيهم الثقل الأكبر.

وقد بيّن القرآن ما جاء فيه في مجادلة المنكرين والجاحدين، الذين حاولوا تغيير الحقائق، ولكن الله سبحانه ببيان عظمتهم وببالغ حكمته، يصرف الآيات للناس، لعلهم يفقهون، ويضرب لهم الأمثال، لعلهم يتذكرون.

يُعدُّ هدف الحوار الذي تكمن قيمته المتمثلة بخطابات السيِّدة الزَّهراءِ عَالِيهَا السَّلَامُ في اكتشاف حقيقة القوم على ظلمهم وطغيانهم، وقد استخدمت السيِّدة الزَّهراءِ عَالِيهَا السَّلَامُ كلّ أساليب ثقافة الحوار للوصول إلى الهدف، حيث وضعت القوم في زاوية محصورة من خلال الحوار النقديّ ضمن الحدود الشرعيّة والعقلانيّة، وكذلك رسمت حوار المدارس، وهو لون من ألوان الحوار، وكان هدفها إثارة مواضيع عدّة، ومنها قضية فذك وإرثها، وهذا يعني أنّها ليست لها أهداف خاصّة أو ذاتيّة، إنّما كانت وقفها وتضحيتها من أجل الإسلام والمسلمين، والدفاع عن الولاية، وإنعاش الحركة الاقتصادية، أمّا الاحتجاج فهو حوار الإقناع وإقامة الدليل، إذ استطاعت أن تُفنِّد وجهات نظرهم، وكانت قلوبهم المملوءة بالحقد والكراهية وحبّ الدنيا والشهوات والسلطة، وأوصلت رسالة عظيمة من خلال خطبها بالغضب والسَّخَط عليهم، وأرادت أن يصحوا من غفلتهم، فأدارت الحوار، وكان فيه المقبوليّة، بحيث قامت بإحراجهم وأسكتهم وأبكتهم.

يهدف البحث إلى تعرّف أثر خطاب وحوار الصديقة فاطمة الزَّهراءِ عَالِيهَا السَّلَامُ، والدعوة إلى الحقّ في بناء المجتمع الإنسانيّ بوصف الإنسان حجّة في الأرض، ومدى استجابته لمثل هذا الحوار القرآنيّ الشرعيّ، ويهدف إلى المهام الكبرى الزاخرة بالفخر والسمو والارتقاء في خطاباتها، إذ رسمت مواقف عظيمة البيان، جليّة المضمون في نصرّة الدين والعدل ومظاهر الإنسانيّة العظمى.

وأوضحت دروساً رائعة، وإثبات حقوق ضائعة، ومن أروع حواراتها هو الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين عَالِيهَا السَّلَامُ، ويتجلّى هذا المنهج الذي رسمته في خطبتها الفدكيّة في المسجد النبويّ، وخطبتها لنساء المهاجرين والأنصار.

حقاً واجهت الزَّهراءِ عَالِيهَا السَّلَامُ القوم بحوار إعلاميّ وسياسيّ وأخلاقيّ وعقائديّ وعاطفيّ، بلزوم أتباع هديّ النبيّ محمد ﷺ ومشروعه الرساليّ.



من هنا جاءت هذه المحاولة للتعرف على جهاد السيّدة الزّهراء عليها السلام في مواجهة طغاة عصرها، وإقامة الاحتجاج والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

وبعد الوقوف على حوارات وخطابات الصديقة الزّهراء عليها السلام، قمت برسم خطة البحث، فجاءت في تمهيد ومبحثين، انبرى التمهيد لتبيان المراد بـ(متطلّبات الحوار وقواعده وشروطه)، ثم انعقد المبحث الأوّل (احتجاج السيّدة الزّهراء عليها السلام بالمقاصد القرآنيّة)، وجاء المبحث الثاني بعنوان (أثر الحوار لدى السيّدة الزّهراء عليها السلام على الآخر).

وتوصل البحث في الختام إلى مجموعة من النتائج، مع ذكر المراجع والمصادر التي استند إليها في كتابة هذا البحث، والله وليّ التوفيق، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

الكلمات المفتاحيّة: الصديقة فاطمة الزّهراء عليها السلام، الحوار، الحجاج، موقف القوم، أدب وفقه الحوار.

المقدمة

الحمد لله ربَّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب
قلوب العالمين أبا القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.
أما بعد:

الحديث عن العطاء مهمّة جليلة وخطيرة في الوقت نفسه، فجلالته تهدف إلى
تقديم المثل الأعلى والقُدوة الصالحة للإنسان التائه الحيران، سعيًا إلى إنقاذه من متاهات
الحيرة والضيايق، ولا بدَّ أن ينقل إلى برِّ الأمان والقرب من الله تعالى، وأمّا خطورتها
فيعود إلى ما قد يكتنف شخصيّة العطاء من غموض وضبابية تفرضها العوامل التاريخية
والظروف السياسيّة، فبعض المؤرّخين لا يروق لهم في كثير من الأحيان أن تبقى صورة
العطاء نقيّة جليّة، فيعمدون إلى تشويهها وأثارة الغبار حولها، ما يحجب عن الأجيال
الآتية وضوح الرؤية، وربّما يساهم المحبّون في تشويه صورة عظيمهم، عندما يندفعون
إلى إحاطة شخصيّة بهالة من الخرافات والأساطير.

وانسجامًا مع هذا الهدف، تعدُّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام المثل الأعلى والقُدوة الصالحة
للمرأة بكلِّ ما تملك من مؤهّلات، وهي أعظم الشخصيّات الإسلاميّة بعد أبيها وبعلمها،
والامتداد الوحيد لرسول الله صلّى الله عليه وآله، إضافة إلى الامتداد النَّسبيّ من خلال أبنائها، فضلًا
عن الامتداد النَّسبيّ، كانت امتدادًا قيمياً ورسالياً للرسول صلّى الله عليه وآله.

من هنا كان البحث موجَّهًا للدور المهمّ والكبير الذي قامت به الصديقة الزَّهراء عليها السلام
في بناء المذهب، وثورتها العلنيّة، والدفاع عن مبادئ الإسلام، والوقوف أمام أشرس





هجمة في التاريخ، من خلال وقفها الحوارية الحضارية الثقافية والإعلامية، فقد جسّدت الحوار بأعلى مراتبه استنادًا إلى القرآن والسنة الشريفة.

وبعد الوقوف على حوارات وخطابات الصديقة الزهراء عليها السلام، اقتضت مادة البحث أن يقسم على تمهيد ومبحثين، تتبعهما خاتمة، فكان التمهيد لبيان متطلبات الحوار الثقافي في القواعد والشروط، وما إلى ذلك، ثم انعقد المبحث الأول لدراسة وتحليل احتجاجات الصديقة الزهراء عليها السلام بالمقاصد القرآنية، وتناول المبحث الثاني الموقف الرسالي والثابت للسيدة الزهراء عليها السلام، والتأثير على الآخرين بالحوار الحضاري القرآني، وبيان الأحكام الشرعية، ثم كانت الخاتمة، وفيها ذكر أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

وسيحاول البحث تفصيل ما تقدّم ذكره، معزّزًا بالآيات القرآنية، ومستشهدًا بنصوص وحوارات السيدة الزهراء عليها السلام وأقوالها.



التمهيد

متطلبات الحوار وقواعده وشروطه

الحوار: طريقة للاتصال والتثقيف، فهو بحاجة إلى بيان، وبناءً على ذلك نعرّف الحوار في اللغة والاصطلاح.

الحوار لغة: حاوره حوارًا ومحاوره: جاوبه، وحاوره، أي: جادله، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ...﴾^(١)، ويقال: تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٢)، والمحاوره: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة والمحاوره^(٣).

والحوار يضمُّ تراجع الكلام والتجاوب فيه، ويتطلب ممّن يتصدّى للحوار أن يكون مستعدًّا لتقبُّل الرأي الآخر، إذا كانت البراهين والحجج تسانده.

الحوار اصطلاحًا: يعرّف الحوار: «هو أن يتناول الحديث حرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معيّن،

(١) سورة الكهف، آية: ٣٧.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١.

(٣) مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)، (الناشر: دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)؛ لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين الأنصاريّ محمد بن مكرم ابن عليّ (ت ٧١١هـ)، (الناشر: دار إحياء التراث العربيّ ومؤسسة التاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط ٢، بلا تاريخ): ٣ / ٣٨٤.

وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يُقنع أحدهما الآخر، ولكنّ السامع يأخذ العبرة، ويكون لنفسه موقفاً^(١).

أو هو: «عملية تبادل الأفكار والآراء بين محاورين اثنين أو أكثر؛ لغرض بيان حقيقة مؤكدة أو رأي معيّن، قد يتقبّله الآخر، وقد يرفضه..»^(٢).

إنّ العلاقة بين المعنى اللغويّ والمعنى الاصطلاحيّ علاقة قويّة، فالحوار هو نشاط عقليّ ولفظيّ، يقمّم المتحاورين الأدلّة والحجج والبراهين التي تبرّر وجهات نظرهم بحريّة تامّة، من أجل الوصول إلى حلٍّ لمشكلة، أو توضيح لقضيّة ما.

وقد استُخدم مفهوم الحوار في الفكر السياسيّ والثقافيّ المعاصر، وهو من المفاهيم الجديدة، وهو حديث العهد بالتداول، ومن الممكن تحديد مفهوم الحوار هو تبادل الآراء والأفكار حول موضوع معيّن، بين طرفين أو أكثر، ضمن مفاهيم مشتركة أو متقاربة، وبعيدة عن التعصّب.

لا محالة أنّ الإنسان اجتماعيّ بالطبع والفكرة، إذ لا يمكنه تحصيل أسباب عيشه وتواصله الاجتماعيّ إلّا بتعاونهِ واتّصالهِ مع غيره من بني جنسه، إذ يتبادل معهم المنافع والمصالح^(٣)، من هنا كان اجتماع البشر، على حدّ قول ابن خلدون، ضرورة إنسانيّة تؤدّي إلى نشوء الالتزامات والمعاملات، وهذا لا يكون إلّا عن طريق الحوار حتّى يتوصّلون به إلى تحقيق مصالحهم.

(١) الحوار الإداريّ الناجح، د. عبد القادر عبد الحافظ الشخيلي (الناشر: مركز الملك عبد العزيز

للحوار الوطنيّ، الرياض، ط ٥، ١٤٣٨هـ): ٣.

(٢) هندسة الحوار، د. عبد القادر عبد الحافظ الشخيلي (الناشر: مركز الملك عبد العزيز للحوار

الوطنيّ، الرياض، ٢٠١١م): ١٥.

(٣) مقدّمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمّد الحضرميّ المالكيّ (ت ٨٠٨هـ) (العبر وديوان المبتدأ

والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: د. محمّد محمّد

تامر (الناشر: مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م): ٣٤.

والحوار حقيقة مجتمعية إنسانية، فأينما وجد المجتمع البشري وجد الحوار؛ لأنَّ اللغة قاسم مشترك بين البشر، ومن وظائف اللغة التعبير عن حاجات الإنسان البسيطة المتصلة بحاجاته الإنسانية من طعام وشراب وغيرهما، أو المستويات العليا في النقاش الفكري والديني والاجتماعي، فالحوار: «حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات.. ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس»^(١).

من هنا انتقل الحوار إلى ما ينتجه العقل البشري من آداب وحكمة ونصوص، ويمكن أن يكون الحوار بين الأديب (منشئ النص) ونفسه، أو من ينزله مقام نفسه، مثل: ملهمه أو شخصية خيالية، وعموماً فإنَّ الحوار أسلوب طاغٍ وشائع في المسرحيات والروايات وغيرها^(٢).

إنَّ الأدب صورة وانعكاس بشكل مباشر أو غير مباشر من النشاط الإنساني العقلي واللغوي والاجتماعي، يكاد يكون الحوار قاسماً مشتركاً بين سائر الأشكال الأدبية كالمسرحية والقصة والرواية وغيرها، إضافة إلى الشعر، فهناك الكثير من القصائد التي تشمل الشكل القصصي الحواري.

وللحوار قواعد وشروط، أمَّا القواعد فينبغي مراعاتها؛ لأنَّ في إهمالها يكون الحوار معرّضاً للانحراف والإصابة بالإخفاقات والأزمات، ومهدّد بالفشل، فعندئذٍ لا يكون الحصاد من الحوار سوى تكوين العداوات، وتأجيج نار الحقد والضغينة في قلوب الطّرفين، وذلك باعتداء كلٍّ منهما على ذات الآخر وأفكاره، وتدمير إحساسه بالأهمية، وتحطيم شعوره بالعزّ والكرامة^(٣).

(١) المعجم الأدبي، جبور عبد النور (الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩ م): ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٠.

(٣) ينظر: تنمية الوعي، علي حسّون تبريزيان (الناشر: دار الغدير، قم المقدّسة، إيران، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م): ٦٧.



يعتمد الحوار الهادف على الأسلوب البناء للوصول إلى نتائج معينة يجدها الأطراف لكسب رضا المناقشين، وعمادها المشاركة العقلية المنظمة للمتداولين، ولا بدّ من ثمر للحوار والنتائج المرجوة من قبل أطراف الحوار، ومراعاة القواعد العامة، مثل^(١):

١. إنشاء وحدة فكرية وساحة مشتركة في طريقة النظر العقلي، من أجل تحصيل لغة مشتركة بين طرفي الحوار.

٢. التحلي بالعقلية المنفتحة، لوجود حقائق ثابتة لا تتحوّل، وحقائق تتغيّر بتغيّر الظروف والأزمنة، والإحاطة الكاملة بالحقيقة، لم تنهياً لأحد من الناس، وذلك لأنّ الكمال لله ﷻ وحده، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ نَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(٢).

٣. عدم خروج الحوار من الموضوعية، والابتعاد عن الأنانية، والتمركز حول الذات والغرور والتكبر وغيره؛ لأنّ هذه الرذائل إن طغت على سلوك النفس لا تسمح للإنسان أن ينظر إلى الأمور بشمولية ووضوح، وأن يزن الكلمات قبل أن ينطق بها، وهذا ما يسمّى عصبيّة الفكر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ﴾^(٣).

٤. التحكّم بالأعصاب وضبط الانفعال، عن طريق معاملة المقابل على قدر عقله، قال رسول الله ﷺ: «كلّموا الناس على قدر عقولهم»^(٤).

(١) الخطاب الفلسفي المعاصر، د. محمّد الشاهد، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م: ٤٩.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢١.

(٣) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٤) جامع السعادات، النراقي، محمّد مهدي (ت ١٢٠٩ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد كلانتر، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف: ١/ ٢٥٧.

٥. إجادة مهارة الإصغاء والإنصات الجيد للكلام وحديث الطرف المقابل، وعدم مقاطعته مطلقاً حينما يعرض أفكاره.

٦. عرض الأفكار والآراء والحجج والبراهين بمرونة واعتدال ودقة، إضافة إلى مراعاة الخلق الرفيع، واحترام الطرف المقابل، والتسلح بقوة المنطق، وسرد البراهين، واجتناب جميع أساليب المراوغة والمماطلة والتسويف والمغالطة اللفظية التي تتخذ من اللف والدوران وسيلة للتغلب على وجهة نظر الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١).

فالحوار البناء المبني على قواعد سليمة وأسس متينة، لا يولد المشاعر الانفعالية ولا يخل بالنظام الحوارى الفكرى، فالحوار منهج عقلى وفكرى يضع معارف وخبرات ومهارات طرفي الحديث.

ولهذا نجد أن فاطمة الزهراء عليها السلام تحلت بحسن الكلام، واعتمدت على فكرها وعقلها وحكمة ثقافتها التي استندت إليها من مدرسة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومدرسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إضافة إلى تأكيد القرآن الكريم على شخصيتها لرسم معالم الأدوار التي اضطلعت بها السيدة الزهراء عليها السلام في الحياة الإنسانية، وقد طرحت وأوضحت هذه القواعد والضوابط في خطبتها الفدكية، وخطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار.

وأما شروط الحوار، فيعتمد الموضوعية والفائدة، وإذا دار بين قوم تهكلت ثقافتهم عن وعي ودراسة واجتهاد، وإلا فإن الذين جمدوا تفكيرهم وتعودوا الاتكال على غيرهم ليفكروا عنهم، واعتمدوا في صياغة مبادئهم على التقليد اللاواعي والتلقائي دون النظر، فهم قادرين على الدخول في حوار حاد، وإذا دخلوه فأنهم لا يستطيعون الاستمرار^(٢).

(١) سورة الشعراء، آية: ٨٤.

(٢) ينظر: تنمية الوعي: ٨٧.





فالتسلُّح بالمعرفة وإتقان مبادئها العلميّة في التناول والتداول، مع امتلاك مهارات الإلقاء والإصغاء، هو ما يؤمّن للمحاور نجاحه في الوصول إلى هدفه، ذلك أنّ أصحاب الكسل الذهنيّ والتقليد المطلق اللاوعي، غير قادرين على الردّ الحاسم والمقنع.

في ضوء ذلك نرى أصحاب العقول التقليديّة والمنغلقة تخشى الحوار؛ لأنّهم قد أخذوا أفكارهم بالوراثّة والتقليد، ولذا لا يمتلكون الأدلّة والبراهين التي تدعم أفكارهم، فدفاعهم وطرحهم يكون ضعيفاً، لا يصمد أمام الحجج القويّة والعقول الواعية.



المبحث الأول

احتجاج السيدة الزهراء عليها السلام بالمقاصد القرآنية

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مدرسة عظيمة ضمت أهل الكساء الخمسة، وهم النبي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقد نزل القرآن الكريم في بيوتهم، وحرصوا أشد الحرص على أن يكون العمل بالقرآن لحياتهم وحياة الأمة، حيث كان خلقهم وحديثهم من القرآن، وإجاباتهم إذا سُئلوا أجابوا بتصريح الآيات القرآنية، إما استشهاداً أو اقتباساً، وهذا دليل عمل لدعوة صادقة حينما نسمع الدعاء من أهل البيت عليهم السلام، أو من يريد أن يكون القرآن نوراً يستبصر طريقه الطويل، يقول: اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، اللهم اجعل القرآن حجة لنا، ولا تجعله حجة علينا. وهذا دعاء مأثور، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٢) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنعِقْهُ﴾^(٣) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ^(٤).

لم يزل أثر القرآن ومفاهيمه وتفسيره يخدم العلم والأدب واللغة، إضافة إلى أنه نور للقلوب الطاهرة والأفكار الصائبة، ويعرف الناس مسالك فهم الآيات الكريمة، ويدل على مناهج علومه الجامعة، ويحث الطالبين لعلومه أن يتفكروا في أسرار مفاهيمه العالية، ويتدبروا في معاني آياته العظيمة، وبكل تأكيد يصبح مأخذاً بطريق النظر

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) سورة القيامة، آية: ١٦-١٩.

والاستدلال، ومجالاً لقوة الاستنباط، وموضعاً لنقد الأقوال.

وقد حققت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هذه المطالب القرآنيَّة، فأخذت تستدُّل بحديثها وأقوالها وخطبها بالقرآن الكريم، إمَّا عن طريق الاستشهاد بالآيات المباركة؛ لتقيم الحجَّة مع الآخر، أو الاقتباس القرآني، وهذا ما طبَّقه في حياتها اليوميَّة، وخصوصاً في خطبها، وذلك لأنَّ الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله في آخر لحظات حياته، قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتَّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

والقرآن الكريم، هو أعظم وأفضل ما تتأسَّون به، وتقتدون به؛ لأنَّه كلام الله سبحانه وتعالى، فاحفظوه واعملوا بما فيه، لأنَّه يهديكم إلى الطريق المستقيم وإلى الحقِّ، ثمَّ قال أتباع العترة والاهتداء بهديهم وسيرتهم الذين ساروا على طريق الرسول صلى الله عليه وآله والمتَّبعون لسنَّته.

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام قال في وصيَّته لابنيه عليهم السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله)، قال: «الله الله في القرآن، لا يسبقنَّكم أحد بالعمل به غيركم..»^(٢).

تعدَّدت عطاءات السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الثقافيَّة في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى دورها في تعدُّد الجوانب الدفاعيَّة لإثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، واعتراضها والمطالبة بالحقِّ والعدالة، ودورها السياسي والاجتماعي والإعلامي الذي كان محطةً حضاريَّة

(١) صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، (الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، بلا طبعة وتاريخ)، حديث: ٦٢٥١، ٩١٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، عزَّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد إبراهيم، (الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م):

لكل دور ساهمت به السيدة الزهراء.

لقد فضحت الباطل حينما طالبت بفدك، لإيقاظ الأمة، ولكي تثبت لهم أن هؤلاء الذين سيطروا على الحكم يأكلون الحق الواضح لبنت النبي ﷺ وينكرونها، فماذا سيفعلون في حقوق الأمة غدًا؟ كانت غصتها أن الذي يجلس مكان الرسول اليوم لا يعرف مسألة الإرث، ويدعي أن الانبياء مستثنون من أحكام الشريعة، وينقل عن النبي ﷺ كذبًا ويقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة»^(١).

وهذا الحديث ذو خبر واحد، غير ظاهر الدلالة، ولا يخصص به القرآن الكريم، وهي مخالفة وكذب على النبي ﷺ؛ لأنه الوحيد الذي سمع رسول الله ﷺ، ومثل هذا الحديث يغيب عن فاطمة الزهراء والإمام علي بن أبي طالب.

وغدًا سيجلس مكان النبي ﷺ عمر بن الخطاب، وهو لا يعرف حكم التيمم، وبعده سيجلس أمثال الوليد بن عبد الملك، ثم هارون والمأمون، ثم يتقاتلون على كرسيه ويسفكون دماء الأمة، والأمة تسير بهم في الضلال والضعف والتفكك حتى تنهار.

هذه غصة فاطمة الزهراء، وليست مزرعة فدك غصتها، أنهم بفعلهم وبأساسهم الذي أسسوه يبتلون الهدف من بعثة الأنبياء.

إن الذي صدع قلب الصديقة الزهراء ﷺ وقتلها، أنها لم تستطع أن تشكو مرارتها وغصتها إلى عامة الأمة، وتجعلهم يستوعبون ما حدث، لكنها قالت لأبي بكر وعمر في نفسيهما قولاً بليغاً، وقالت لهما في آخر حياتها عندما جاءا لزيارتها، ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «بينما أبو بكر وعمر عند فاطمة يعودانها فقالت لهما: أسالكما بالله

(١) صحيح مسلم: ٣/١٣٧٩، ح ٥١؛ بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ)، (الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م):



الذي لا إله إلا هو، هل سمعتم رسول الله يقول: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ فقالوا: اللهم نعم، فقالت: فأشهد أنكما أديتماي»^(١).

ومن هنا يظهر موقف الزهراء عليها السلام في احتجاجاتها، ومواقفها مع القوم، حيث كانت مرحلة ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله مرحلة مضطربة وساخنة فيما حصل من أحداث في التاريخ الإسلامي، إذ تدافع الطامعون للسلطة على الاستباق للجلوس على كرسي الحكم، ناكثين البيعة مع الرسول صلى الله عليه وآله، تاركين الوصي عليه السلام مشغولاً بمراسيم التكفين والغسل وتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله مع القلة القليلة من المسلمين، وهذا يدل على ما كان في النفوس خافياً من مطامع وحقد دفين على صاحب الرسالة الذي كان مسجى على الأرض، والوصي مشغول به، والأمة غافلة ومشغولة عنه. الذي يخفف الخطب العظيم الذي أصاب ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وداع أبائها وإقامة مجالس العزاء، لكن الصراع على الرئاسة وتكوين جبهة قاسية مع بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله، هذا الانحراف الأول والقاسي الذي جوبهت به الأمة، والخروج عن جادة الصواب^(٢).

والموقف الذي ينذر بالفتنة الكبرى، وسوف يترك آثاراً سيئة على مدى الدهر، الجلوس على كرسي خلافة أهل البيت عليهم السلام، ونقضهم العهد والوعد الذي أعطوه في بيعة الغدير، وذكرت السيدة الزهراء عليها السلام بخطبتها قالت: «هذا والعهد قريب»، كما جاء في القرآن الكريم في كثير من الآيات المباركة منها: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...﴾^(٣)، و﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٤).

(١) بحار الأنوار: ١٥٨/٢٩.

(٢) ينظر: قراءة في السيرة الفاطمية: كفاح الحداد، (الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، العراق، ط ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م): ٤٩٦-٤٩٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٩١.

(٤) سورة الاسراء، آية: ٣٤.



اتَّخَذَتِ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ (عليها السلام) خطأً قوياً تذود عن حياض الإمامة والدفاع عن الولاية والحقيقة قامت بحملة دفاعية عن الاسلام وصيانته من التحريف والتشويه، حيث قدّمت نفسها العزيزة واستشهدت من أجل ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفعلاً اتَّخَذَتِ من فذك جسراً للمطالبة بكلّ الحقوق المسلوبة، وليبيان الخطر الذي تتعرّض له الأمة.

وسوف نعرض في بحثنا هذا بعض المواقف للسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام) في خطبتها الفدائية، وذلك لأهمية هذه الخطبة البليغة والكبيرة؛ لأنّها صدرت من بيت النبوة في لحظة تاريخية فاصلة، لحظة الإحساس بالانعطافة الكبيرة بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله)، يوم تصرّف صحابته وأقرب الناس إليه، وهذا جليّ في قول السيِّدة الزَّهْرَاءِ (عليها السلام): «أَتَقُولُونَ مات محمد... فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة».

وهذا بيان واضح من خطبتها ما يحيط بها عن محنة التغيير، وشدة التداخل والاختلاف، فاعترضت السيِّدة (عليها السلام) على آفاق المنهج الجديد الذي بدأت ملامح تأسيسه تتّضح، وأخذ يفرض وجوده السياسي والإعلامي والاقتصادي، مدعوماً بجهد الدولة الجديدة التي تنحاز بوضوح إلى غير العترة الطاهرة. يعدُّ هذا النص من الخطبة هو اقتباس من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

إنّ خطبة السيِّدة الزَّهْرَاءِ (عليها السلام) كانت احتجاجاً على القوم لمّا منعوها فذك، وقد أعطت الخطبة عدّة محاور ومضامين، ووردت فيها ألفاظ ومفردات قرآنية مقتبسة من القرآن الكريم، وموزّعة على سبعة مقاطع أو فقرات، هي^(٢):

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٢) الزَّهْرَاءُ (عليها السلام) خير نساء العالمين، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مكتبة الكوثر، بغداد، مدينة الصدر، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م: ٩٧-٩٨.

١. تحليل عميق ومختصر لمسائل التوحيد وصفات الخالق وأسمائه الحسنی وهدف الخلقة، أجواء تتضمّن الافتتاحية للخطبة.
 ٢. التذكير بمنزلة الرسول ﷺ السامية وخواصّه ومسؤوليّاته وأهدافه، أي دوام التكليف بعده.
 ٣. التحدّث عن أهميّة القرآن المجيد، وعمق تعاليم الاسلام، أي علل الشرائع.
 ٤. التعريف بمكانة السيّدة الزّهراء ﷺ والإفصاح عن خدمات أبيها لهذه الأمة.
 ٥. تفصيح عن الأحداث التي تلت وفاة الرسول ﷺ، وسعي حزب المنافقين لمحو الإسلام.
 ٦. إقامة الحجج الواهية التي اتّخذوها ذريعة في غضب فذك، وقد فنّدت تلك الحجج من خلال حوارها معهم بالدليل القاطع.
 ٧. استنصار الأنصار وأصحاب الرسول ﷺ المخلصين، من أجل إكمال حجّتها، ومن ثمّ أنهت الخطبة بتهديدهم بالعذاب الإلهي.
- يقول السيّد محمد كاظم القزويني: «اختارت السيّدة فاطمة الزّهراء ﷺ لخطبتها هذا الأسلوب للبداية والنهاية، أنّها لم تكتفِ بالتركيز على مطالبة حقّها فقط، بل انتهزت الفرصة لتفجّر للمسلمين عيون المعارف الإلهية، وتكشف لهم محاسن الدين الإسلامي، وتبيّن لهم علل الشرائع والأحكام، وضمناً تهيّء الجو لكلامها المقصود وهدفها المطلوب»^(١).

قالت السيّدة الزّهراء ﷺ في افتتاح الخطبة التي كلّت ألسن البلغاء أن يأتوا بمثلها، وعجزت عقول العلماء عن درك معانيها وحقائقها، ففي بداية خطبتها حمدت

(١) فاطمة الزّهراء من المهدي إلى الالحاد، القزويني، محمد كاظم (الناشر: مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م): ٢٣٦.



الى ذلك منافقين، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١)، فالمحكُّ الحقيقي للإيمان هو التوبة والرضا والتسليم والإخلاص لله والاعتصام به، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

إن كلمة النفاق جاءت في أكثر من موضع في خطبتها، فأشارت بقولها: «فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسكة النفاق».

ولما وصلت إلى قولها: «ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار».

والمعنى: قبضه الله تعالى قبض رحمة واصطفاء، فهو المرحوم المصطفى، ويحتمل أن يكون من الاختيار خلاف الإصرار، أي: قبضه باختياره، ويحتمل أن يكون الاختيار من الخير، أي: قبضه باختيار الله ما هو خير له^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٥)، حتى وصلت إلى عبارة السلام، وقالت: «والسلام عليه ورحمة الله وبركاته».

ولما فرغت فاطمة الزهراء عليها السلام من افتتاحية خطبتها، شرعت في بيان مقصودها وإظهار مرامها.

في ضوء ما تقدّم يتّضح أنّ مقصود الصديقة الزهراء عليها السلام بمطالبتها فذك ليس كونها حقاً شخصياً ترغب في استرجاعه لنفسها.

(١) سورة النساء، آية: ١٤٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤٦.

(٣) حياة الزهراء عليها السلام بعد أبيها الرسول صلّى الله عليه وآله، فضل عليّ القزويني (ت ١٣٦٧ هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، (الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، قم، الاعلام، ط ١، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م): ٢١٢.

(٤) سورة الضحى، آية: ٤.

(٥) سورة الأعلى، آية: ١٧.



وإنَّما مقصودها من ذلك، وحضورها في المسجد، يرجع إلى أصلين^(١):
الأوَّل: إنَّ ما فعلوه من نصب الخليفة إنَّما هو على خلاف كتاب الله وسنة رسوله
وقوله.

الثاني: إنَّ الحقَّ مع عليٍّ عليه السلام، وهو وصيُّ الرسول وخليفته.
ومَّا يوضح الأصلين ويصدق الأمرين، وأنَّ المنسوب ليس قابلاً ومؤهلاً للخلافة،
وأنَّ اللاتق والمنصوص عليه في القرآن والسنة هو عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، وصفت
بحديثها أنَّ غصب الخلافة هو أوَّل رواشح الردَّة الأولى، وأمَّا غصب فدك فوصفته ثاني
رواشح تلك الردَّة، فضحت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام متابعة المرتدِّين للشيطان في نقضهم
العهد.

ثمَّ انتقلت الصديقة الزَّهراء عليها السلام بحديثها عن: (كتاب الله الناطق، والقرآن
الصادق، والنور الساطع، والضيء اللامع).
ويُطلق الكتاب الناطق على القرآن، وله أسماء أخرى مثل الفرقان والمصحف
والذكر والنور وغير ذلك، ووصف القرآن بالصادق، وهذا تأكيد على عدم الكذب في
أصله، ولا في مدلول آياته، وكذلك وصف بالنور الساطع: الضوء المرتفع والمنتشر^(٢)،
والضيء اللامع، من لمع أي أضاء^(٣).

في النصِّ إشارة واضحة وتأكيد على ما نطقت به الصديقة عليها السلام من أنَّ لفظ النور
على القرآن، وهو من أسمائه الذي نطق به الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿.. وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(٤)، والنور هو نور الايمان ووقوعه في القلب. وقوله تعالى:

(١) حياة الزَّهراء عليها السلام بعد أبيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ٢١٤.

(٢) المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد بن عليّ المقرئ (ت ٧٧٠هـ)، (الناشر: المطبعة الأميرية،
القاهرة، ١٩٢٨م): ٢/٧٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٨٦٥.

(٤) سورة النساء، آية: ١٧٤.



﴿.. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ..﴾^(١)، وهو انتشار الأنوار الإلهية كنور العقل، ونور القرآن.

على ضوء ذلك، يتبين أنَّ الزَّهْرَاءَ عليها السلام ذكرت الكتاب الذي لا ريب فيه هدىً للمتقين، وأوضحت مقاصده أنَّه حقٌّ وعهد، وهو النور الساطع، وظواهره متجلية، وسرائره منكشفة، بعد ذلك أخذت في مدح متبعية، وفوائد تابعيه، والعاملين بالقرآن.

من الفوائد التي أوصلتها عندما قالت: «مؤدِّ إلى النجاة استماعه»، أي من أدَّى يؤدِّي تأديةً، أي وصل إيصالًا، ومنه قوله تعالى: ﴿.. أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا..﴾^(٢)، أي: القرآن من إعجازه وكراماته أنَّه يوصل ويؤدِّي إلى النجاة والخلاص من الهلاك الآخروي المعنوي، والديني الظاهري، من جهة التبرُّك والاستشفاء، إضافة إلى استماع القرآن عن قصدٍ واختيار، بخلاف الاسماع فأنَّه أعمُّ^(٣).

تطرَّفت الزَّهْرَاءُ عليها السلام من خلال نصِّ الخطبة في إشارة إلى بعض الأحكام الشرعية وفلسفتها، قالت: «والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبَر»، والمراد بالصلاة هي الأركان المخصوصة والحركات والسكنات والأذكار، وهذا القول تأكيد ومرادف لقولها: «الإيمان تطهيراً لكم من الشُّرك»، فالصلاة كأصل الإيمان في الأثر، وهو التطهير والتنزيه عن الشُّرك والكفر والجحود^(٤). والمقصود من تشريع الصلاة، هو القضاء على رذيلة الكِبَر؛ لأنَّ الصلاة خضوع وخشوع لله، وركوع وسجود وتذلُّل، وأكثر المصايين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاة^(٥).

(١) سورة المائدة، آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٣) ينظر: حياة الزَّهْرَاءِ عليها السلام بعد أبيها الرسول صلَّى الله عليه وآله: ٢٢١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٩.

(٥) ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: ٢٦١.



ثم عرَّجت إلى الزكاة وقالت: «والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق»، وهذا النص فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿.. وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُوا وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾^(١).

والزكاة: النماء والزيادة، وسميت بالزكاة؛ لأنها تزكي الإنسان وتطهره من دنس الذنوب، ومن رذيلة البخل، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٢)، وقد جعل الله تعالى البركة والنمو في إعطاء الزكاة، فيأذن الله للأرض أن تجود ببركاتها، فيكثر الزرع ويمتلئ الضرع، وتتراكم الخيرات، وتتضاعف الثمار^(٣)، ثم ذكرت الصيام والحج، وفيهما التشييد والإخلاص والبقاء، أو لأثبت الصوم وبيانه، وأمّا الحج فيه المشقة وبذل النفس والمال، والإتيان به أدل دليل على ثبوت الدين، أو يوجب استقرار الدين في النفس^(٤).

يتضح ممّا تقدّم أنّ السيِّدة الزهراء (عليها السلام) تناولت في خطبتها مفردات القرآن الكريم في علل التشريع، وقد كانت عباراتها مختصرة، ومركزة، وواضحة، وهذا يدل على تنظيم وتنسيق واختزان العلم، وبيان غاية فلسفة الأحكام وأسرارها، واستعرضت الجهاد والصبر في الإسلام، والتقرب والحصول على الأجر والثواب، ثم شرعت في بيان جملة من الأحكام الفرعية المربوطة بحفظ الإسلام، لاسيما الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

بعد انحراف الأمة عن جادة الصواب، وكان بإمكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يعلن الحرب والمعارضة التي لن تخدم الإسلام، ولربما تنذر بفتنة كبرى قد تترك آثاراً

(١) سورة الروم، آية: ٣٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٣) ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: ٢٦١.

(٤) ينظر: من حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، محمّد الحسيني الشيرازي، (الناشر: مؤسسة أم أبيها (عليها السلام)

الثقافية الخيرية، كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م): ٢٥٣.

لا تُحمد عقباها على مدى الدهر، ممّا جعل أمير المؤمنين عليه السلام يسكت عن حقه، ويقول: «فصبرت وفي العين قذى، وفي القلب شجاً»^(١)، ممّا دفع السيّد الزّهراء عليها السلام أن تقف الموقف الحازم والدفاع عن الإمامة والولاية، بل الدفاع عن الإسلام، فقامت بطلب الحقوق الشرعيّة، واحتجاجاتها مع القوم المنافقين، فضمّنت خطبتها، وأشارت بصريح العبارة، قالت: «وإطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة». إنّ الله تعالى كما طهّرهم بالإيمان من الشّرك، جعل إطاعتنا نظاماً، وإمامتنا أماناً، فيجب عليكم الإطاعة والإقرار والانقياد، وهذا تعبير وإشارة إلى أنّ الإمامة منصب جعليّ إلهيّ، لا يمكن أن يُبدّل أو يغيّر، قال تعالى: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾^(٢).

يظهر من كلامها عليها السلام أنّ الإمامة المطلقة كالنبوة، ممّا استقلّ بوجوبها العقل؛ لأنّ كلّ أمة وقوم اجتمعوا على كلمة، وتدينوا بدين يجب بحكم العقل من رئيس وحافظ لهذا الدين، ليجمع شملهم وينظّم أمورهم المرتبطة بالدين، ويمنعهم عن التفرّق ومتابعة الأهواء المظلمة، ولا يمكن لذلك إلّا بحفظ عقيدتهم وأحكامهم من الزّلل^(٣).

ويتبيّن من هذا أنّ الرئيس الحافظ عالمًا ومطلّعًا على سرائرهم، ولا يمكن معرفة هذا الشخص الحافظ إلّا بأمرٍ من الله تعالى أو نصّ من النبي صلى الله عليه وآله، ومن غير الممكن معرفة الأئمة لهذا الرئيس القابل للخطأ والانحراف.

فرزت خطبة الزّهراء عليها السلام الكثير من الدروس، لاسيما قضية الإمامة والولاية، وربطت كلّ ما تحدّثت به أنّ خشية الله لا تُدرّك إلّا بالعلم وبالوسيلة إليه، ومصدق هذا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾^(٤)، إذن التقوى أوّلاً، ثمّ ابتغاء الوسيلة إليه، للنجاة من كلّ شقاء وعذاب، فلا منجى إلّا

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ٩٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٤.

(٣) حياة الزّهراء عليها السلام بعد أبيها الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٣٩-٢٤٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٣٥.



بالتوسُّل إليه (عليه السلام)، وآل البيت (عليهم السلام) الوسيلة إليه، بعد اتِّباع الشريعة والتقوى، فهم أبواب رحمته في الأرض، وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا..﴾^(١)، وقال الرسول (صلى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»^(٢)، وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «الأوصياء هم أبواب الله (عليه السلام)، وبهم احتجَّ الله تبارك وتعالى على خلقه»^(٣).

وركَّزت (عليها السلام) في كلامها حول الإمامة والولاية، وكرَّرت في أكثر من مقطع للتأكيد على هذا الموضوع المهم المنصوص عليه من الله (عليه السلام) ورسوله الكريم (عليه السلام)، فجاءت في خطبتها مع نساء المهاجرين والأنصار حديثها على محور الخلافة والإمامة فقط، وبالرغم من معاناتها للكثير من الظلم والتعسف، ورغم أنَّ الفرصة كانت سانحة للمطالبة بحقِّها المغصوب، إلَّا أنَّها لم تطالب بأي شيء، بل ولم تنطق بأيِّ شكوى، فكلُّ ما قالته عن علي (عليه السلام)، وعن الخلافة، وعن مصالح المسلمين^(٤).

بعد ذلك ذكرت مجموعة من فلسفة العقوبات الإسلامية، وذلك لا بدَّ من بيانها للناس وتوضيحها، حتَّى لا يتَّهموا الإسلام بالغلظة والقساوة، والقرآن صريح بآياته عندما يذكر الأحكام الشرعيَّة، وقد اقتبست الزَّهراء (عليها السلام) من الكتاب العزيز في حوارها وخطابها، وقد أكثر المعصومون (عليهم السلام) من إدراج آيات القرآن في كلماتهم؛ لأنَّه جامع لعلوم الأوَّلين والآخرين والعلوم الدنيا والآخرة في مختلف المجالات والأبعاد^(٥).

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن عليّ بن محمَّد الجزريّ (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: خليل مأمون سيح، (الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٣١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): ٢٢/٤.

(٣) أصول الكافي، الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، (الناشر: دار المرتضى، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م): ١١١/١.

(٤) ينظر: الزَّهراء (عليها السلام) خير نساء العالمين: ١٣٥.

(٥) ينظر: من فقه الزَّهراء (عليها السلام)، محمَّد الحسيني الشيرازيّ (ت ١٤٢٢هـ)، (الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط ٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٥م): ٤٥٠.



كما أشارت الصديقة الزهراء عليها السلام لبعض الأحكام الشرعية، قالت: «والقصاص حقناً للدماء»، وقال القرآن الكريم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، وحقن الدماء واجب، وإراقها محرّم، ففي الحديث: «زوال الدنيا أهون على الله من إراقة دم مسلم»^(٢).

وذكرت عليها السلام الوفاء بالنذر ويجب الوفاء به إذا اجتمعت فيه الشروط، وفي مخالفته كفارة^(٣)، ثم تعرّضت إلى ذكر حرمة شرب الخمر، إذ قالت: «والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس»، حيث إن شرب الخمر كان شائعاً في الجاهلية، وقد حرّمه الاسلام، وكانت بعض النفوس تحنّ إليه عوداً على ما كانوا عليه، ولذا خصّته الزهراء عليها السلام بالذكر وإلاّ فهو كسائر محرّمات الأكل والشرب كالميتة ولحم الخنزير والدم وما أشبه^(٤).

فكان اقتباس من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿.. إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ..﴾^(٦)، وجاءت الحرمة في كثير من الروايات والأحاديث قال الرسول صلى الله عليه وآله: «ألا أيّها الناس أنهاكم عن كلّ مسكر»^(٧)، ثم عرّجت على حرمة

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (ت ٦٠٥هـ)،

(الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، بلا طبعة وتاريخ): ٨٥ / ١.

(٣) ينظر: منهاج الصالحين، عليّ الحسيني السيستانيّ (الناشر: دار البدر، النجف الأشرف)،

المسألة (٧٤٠): ٣ / ١٦٣.

(٤) ينظر: من فقه الزهراء عليها السلام: ٢ / ٤٢٧.

(٥) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

(٧) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحرّ العامليّ، أبو جعفر محمّد بن الحسن

(ت ١١٠٤هـ) تصحيح وتدقيق: مركز الإمام الحسن عليه السلام للتحقيق والدراسات، (الناشر: الأميرة

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠١٠م)، ح ٣١٩٠: ٢٥ / ٢٨٠.

القذف والسبُّ، والقذف: هو السبُّ والفحش واللعن وما أشبه ذلك، وقذف المحصنة أي سبُّها^(١)، وقال الرسول ﷺ: «القذف من الكفر، والكفر في النار»^(٢)، وضمنت هذا القول بالاقتباس من القرآن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾^(٣).

وانتقلت (عليها السلام) بخطبتها إلى ذكر حرمة السرقة وعدتها إيجاباً للعقبة، وفي نص حديثها إشارة واقتباس من القرآن الكريم، وذلك بوصف السرقة مصادرة لجهود الآخرين وحقوقهم، وجعل حدود العقوبات على أفرادها مختلفة حسب الحُكْم والمصالح المختلفة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ...﴾^(٤).

أمّا ذكرها (عليها السلام) طاعة الله سبحانه وتعالى بما أمر ونهى عنه، فقد استشهدت في أثناء حديثها بالآية المباركة: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾^(٥).

استمرت (عليها السلام) في خطبتها والموعظة على لسانها، ثم نادت «أيُّها الناس»، أي إنّها خاطبت القوم بهذا النداء في اقتباس واضح من القرآن، في كثير من آيات الذكر الحكيم يخاطب الله الناس بهذا النداء، وأرادت إعلام الناس أنّ الواقعة أمامهم هي بنت رسول الله ﷺ، ودلت بكلامها: «ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً» على عصمتها، فإنَّ المعصوم لا يخطئ ولا يغلط ولا يشطط، والشطط هو الابتعاد عن الحق^(٦).

في ضوء ما تقدّم، وورود ألفاظ ومفردات القرآن الكريم في الكلام المنشور،

(١) لسان العرب، مادة قذف: ٧٤ / ١١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤٩ / ١٠٠.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٥) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٦) ينظر: من فقه الزَّهراء (عليها السلام): ٢٤ / ٣.





وعرّفت بنفسها حتّى ألحقت كلامها بآية استشهدت فيها وذكرت أباها رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

لقد ذكّرت ﷺ بحديثها أمام القوم بنسب رسول الله ﷺ، وبجهاده في تبليغ رسالة ربّه، وبدعائه إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا تضمنين واقتباس للآية المباركة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾^(٢)، وراحت ﷺ تُبرز كلّ خصال النبي ﷺ، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، ممّا جعلهم أئمة للهداية، والقضاء على أئمة الضلال والنفاق، وكانت تذكّرهم أنّ أباها إنّما بُعث لإنقاذ البشريّة من الجهل، ونقلها إلى النور، فقالت: «وكنتم على شفا حفرة من النار» هذا تصريح واستشهاد من قوله تعالى: ﴿..وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا..﴾^(٣)، واستأنفت ﷺ بحديثها أنّ المنقذ هو رسول الله ﷺ قالت: «فأنقذكم الله تعالى بمحمد ﷺ».

وشرعت ﷺ بعد ذلك في خطبتها المعروفة بذكر أوصاف القوم، بدمّهم وتوبيخهم تصرّحاً، وتعييرهم ومتابعتهم للشيطان ونفاقهم ومخالفتهم للقرآن وبذهم إيّاه وراء ظهورهم وسعيهم في إطفاء نور الدين، وإهمال سنن النبي ﷺ، بل تكفيرهم^(٤)، وهذا صريح بقولها نص القرآن الكريم: ﴿..أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٥).

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) ينظر: حياة الزّهراء ﷺ بعد أبيها الرسول ﷺ: ٢٥٨.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤٩.



لقد استندت الزَّهراء عليها السلام في قولها: «بئس للظالمين بدلاً»، إلى الآية الشريفة، من أن ما فعلوه من غضب الخلافة، وإيذاء الأمام أمير المؤمنين عليه السلام، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وخلافهم لهما، جعلهم في عداد الظالمين^(١).

وفي استنادها عليها السلام إلى هذه الآية الشريفة، تعطي دلالة عميقة، وهو استبدال القرآن بغير القرآن، واستبدلوا ما هو أدنى بالذي هو خير، وحكموا بالباطل والجور، إرضاءً وإشباعاً لشهواتهم الزائلة^(٢).

والآية المشار إليها قوله تعالى: ﴿.. أَفَتَخِذُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أُولَٰئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٣).

يتضح فيما تقدّم عن كشف حقيقة خارجيّة تدلُّ على الأثر الوضعيِّ الديوي، وخروج القوم عن الإسلام، فخسروا الدنيا والآخرة، وقد استشهدت الزَّهراء عليها السلام بهذه الآية المباركة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).

(١) ينظر: من فقه الزَّهراء: ٣/ ٣٥٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٥٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٨٥.



المبحث الثاني

أثر الحوار لدى السيدة الزهراء عليها السلام على الآخر

إنَّ القرآن الكريم يمثل قيمة سماوية إلهية لهداية البشرية جمعاء، فهو يحمل في آياته مفاهيم غضة تحاكي المجتمعات، وتواكب التطورات، وتتماشى مع المتغيرات، ومن خصائصه المرونة والشمولية والواقعية والهداية لكل الناس.

لقد أمدَّ القرآن الباحثين عبر القرون بهادّة فكرية وثقافية لا تنضب أبداً ولا تنفذ، فكان القرآن معيناً علمياً وراعياً روحياً ومؤنساً ودواءً لداء القلوب، جعلت العلماء والعارفين والمنقّبين عن معارفه والتأمّل بيّناته، وتدارس آياته، وتعدّد علومه ساحة للباحثين، ومن علومه الحوار المتضمّن في الآيات المباركة، ونشأ الحوار في السماء قبل أن ينشأ في الأرض، وعُرف الأسلوب الخطابي من آيات القرآن الكريم.

لوتبتّعنا كتاب الله ﷻ لوجدنا الكثير من الآيات القرآنية تحمل سمة الحوار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةًۭۙ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِىْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِىْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۙ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَۙ﴾^(١).

وفي موضع آخر يعطي حوار الطمأنة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اَرِنِىْ كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتٰىۙ قَالَ اَوَلَمْ تُؤْمِنۙۙ قَالَ بَلٰى وَلٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۙۙ قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةًۭ مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يٰۤاٰتِيْنَكَ سَعِيًّا وَاَعْلَمَنَّ اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيْمٌۙ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٠.

وفي حوار الهداية، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورِ أَتَبْعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

ثم جاء ذكر الحوار للنصيحة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى ابْنَ الْمَلَأَيَاتِمُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢).

في ضوء ما تقدّم من الآيات المباركة، تؤكد أنّ القرآن وردت فيه العديد من النصوص الحوارية التي لها أهداف لإثبات الحقّ وإزهاق الباطل، وإصلاح الفكر، ونشر العلم، وبيان الحقائق. يتّجه القرآن إلى توحيد الصفّ وجمع الكلمة وإيقاف العنف، إضافة إلى أثر المتعلّم، وهو الإنسان بوصفه أفضل خلق الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣)، ولا يقتصر تأثير القرآن على الإنسان فقط، بل حتّى على سائر المخلوقات الأخرى كالملائكة والجنّ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٤).

وليس الإنس والجنّ والملائكة تخشع وتتأثّر من سماع القرآن فحسب، بل الأمر يتعدّى إلى الجهاد أيضًا، وهذا يتّضح من خلال قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَةً مِّنْ مَّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾^(٥).

فعلى صاحب الرسالة أن ينطلق بكلامه من ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كي تكون دعوته ذات تأثير كبير في المخاطبين^(٦)، فهو

(١) سورة يس، آية: ٢٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٢٠.

(٣) سورة التين، آية: ٤.

(٤) سورة الجن، آية: ١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٦) ينظر: صدى القرآن، مجلّة قرآنيّة ثقافيّة فصليّة، تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيّة المقدّسة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م، ١٨٠-١٨١.



كما عبّر عنه الرسول ﷺ: «القرآن مآدبة الله، فتعلّموا مآدبته ما استطعتم»^(١).

لذلك عندما نريد أن ندرس ثقافة وفكر وحوار الزّهراء ﷺ في مواجهة الآخر، وتأثير خطابها الديني والاجتماعي والسياسي والثقافي بسماة عدّة، منها التأثير المباشر وغير المباشر؛ لأنّها عاشت في بيئة ومدرسة القرآن الناطق، ويكون تأثيرها في نفس السامع؛ لامتلاكها مؤهلات الخطابة والتأثير.

والخطابة صفة راسخة في نفس المتكلّم، يقدر بها على التصرّف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراود منهم بترغيبهم وإقناعهم^(٢).

والخطاب الذي تملكه الصديقة الزّهراء ﷺ نابع من التنشئة الأسريّة لما له دور في تنمية الأساس الفكري لها، والذي له دور في بلورة خطابها الديني والسياسي الذي عارضت به السلطة الحاكمة، ومن خلاله جاء التأثير الفعّال على البنية الفكرية والثقافية والسياسية للمجتمع الإسلامي.

إنّ أوّل حوار مؤثّر أجرته السيّدة الزّهراء ﷺ في بطن أمّها خديجة ﷺ، عندما كانت تحدّثها من بطنها وتصرّ بها، وكانت تكتّم ذلك من رسول الله ﷺ، «يوم دخل رسول الله على خديجة فسمعها تحدّث فاطمة ﷺ، فقال لها: يا خديجة من تحدّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني محدّثني ويؤنسني. قال لها: يا خديجة هذا جبرائيل يخبرني أنّها أنثى، وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٦/١٩.

(٢) ينظر: الخطابة أصولها وتاريخها: أحمد أبو زهرة، (الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٣٤م): ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢/٤٣.

يعدُّ تأثير الحوار عند فاطمة عليها السلام باب من أبواب العلم والتكامل المعرفي في الحياة اليومية، فهناك أدوار مرّت عليها، منها الأسرية والسياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها، فالدور الأسري والأجواء التي وضعتها الزهراء عليها السلام كأمّ للحسن والحسين عليهما السلام، والأمّ هي المؤثر الأول في الأولاد والارتباط السلوكي والوجداني، فشخصية الطفل تتشكّل خلال السنوات الأولى، التي تزداد فيها مساحة تأثير الأمّ ودورها في نقل وصيانة حفظ القيم الأساسية، إذ «إنّ وعي المرأة بذاتها وبدورها كقيم على الأسرة، وحارس للقيم والمبادئ، يعني في ميزان القيم أنّها تعي تمامًا دورها وحقيقتها، وأنّها حقيقة تعرّف وجودها ووظيفتها، وأنّها مستخلّفة الله في الأرض، عابدة لله وحده دون سواه»^(١).

فالمستوى التعليمي في المجتمع له قيمة كبيرة؛ لأنّه نموذج لصورة الإنسان القدوة والأسوة الحسنة، وهذا ينعكس على تربية الأولاد، وينطلق التأثير بالدرجة الأولى من عامل الاقتداء، خاصّة وأنّ الأولاد في المراحل المختلفة، إن كانوا في البيوت أو الدراسة، يتأثّرون بشكل كبير بسلوك المعلمين ويقلّدونهم في حركاتهم، من هنا تظهر تربية الزهراء عليها السلام كمعلّمة ومربيّة، ولها دور كبير في توجيه الحسن والحسين عليهما السلام، ووضعت بصماتها، وتأثّروا بأئمّهم.

أمّا علاقتها عليها السلام بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت الأكثر حنانًا، والمعينة له في الظروف الحرجة التي عاشها، فكانت رعايتها مستمرة ومتواصلة حتّى بعد زواجها، وعند مرضه وموته.

كانت عليها السلام متألّمة وحزينة لما ترى من أذى المشركين لأبيها، وهو قائم بالدعوة الإسلامية، فبكت وهي تمسح التراب والأوساخ من وجهه ورأسه وثيابه، فرفع رأسه إليها قائلاً: «إنّ الله مانعٌ أباك وناصره على أعداء دينه

(١) قراءة في السيرة الفاطمية: ٨١٠.

ورسالته»^(١)، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ «قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها»^(٢).

دخل رسول الله ﷺ على فاطمة عليها السلام، فقدمت إليه كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها، ثم قال: يا بنية هذا أول خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيام، فجعلت فاطمة تبكي ورسول الله يمسح وجهها بيده^(٣).

فكانت عليها السلام العون لأبيها ووقع أثرها كان واضحاً، حتى كُنيت بأم أبيها، عن الامام الصادق عليه السلام: «أن فاطمة كانت تكنى أم أبيها»^(٤).

هذه إشارة مبينة إلى عظم منزلتها عليها السلام، فأمومتها للنبي ﷺ تعني أن هناك علاقة ارتباط وثيق على مستوى إلقاء الحجة على الأمة، أي إن أمومتها ورعايتها والقيام بشؤونها جنبه إشراف ورعاية لدعوته وتصديقه، كإشراف مريم لنبى الله عيسى عليه السلام، ورعايتها له، فضلاً عن رعايتها لدعوته والقيام بشؤون رسالته.

أمّا علاقتها عليها السلام الزوجية مع أمير المؤمنين عليه السلام، فنجد معالم الحبّ والمودة والرحمة، وكانوا خير من طبق القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

(١) ينظر: البداية والنهاية: ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، (الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، بلا طبعة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م): ٣ / ١٥١.

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا طبعة، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م): ٤ / ٢٧٢؛ سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد وعبد الباقي، (الناشر: شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، ح ٣٨٧٢: ٥ / ٧٠٠.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣ / ٤٠.

(٤) مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق: أحمد صقر، (الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م): ٢٩؛ بحار الأنوار: ١٩ / ٤٣.

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾.

عاشت الصديقة الزَّهراء عليها السلام مع زوجها الإمام علي عليه السلام، وتحملت الجوع في الشدة والرخاء، وكانت واقفة إلى جنبه في كل الميادين، في الحرب والسلام، والدفاع عنه وعن الخلافة والولاية حتى استشهداها، أصبحت بمواقفها هذه قد بنت الأسرة والمجتمع في سبيل الأمان للأمة والدين.

وقد وصفها الإمام علي عليه السلام بأروع الأوصاف لرجل من بني سعد، بعد غيابها عنه، قال: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة؟ إنها كانت عندي، وكانت من أحب أهلها إليه، وإنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها^(٢)، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها^(٣)، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها^(٤)، فأصابها من ذلك ضرر شديد»^(٥).

نخلص مما تقدّم أنّ الدنيا في عين فاطمة الزَّهراء عليها السلام ومواجهة المعاناة، والتألم من الجوع، وانهايار من التعب، كل هذا يبدو ممزوجاً بحلاوة الصبر وندى الإيثار؛ لأنّ وراءه نعيماً لا انتهاء له، وهو اليوم الذي يوفّي الصابرون أجرهم بغير حساب.

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

(٢) مجلت يداها: أي ظهر فيها المجل، وهو ماء يكون بين الجلد واللحم من كثرة العمل الشاق، والمجلة: القشرة الرقيقة التي يجتمع فيها ماء من أثر العمل الشاق. (هامش من لا يحضره الفقيه، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، بلا تاريخ): ١/ ٣٢٠.

(٣) كسحت البيت: كست البيت. (هامش من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢٠).

(٤) دكنت ثيابها: الدكنة لون يضرب إلى السواد، وقد دكن الثوب يدكن داكنًا. (هامش من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢٠).

(٥) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢٠.





تختلف رؤى الناس في التعامل مع المستقبل، وغالبًا ما يكونون على أربعة أصناف^(١):

الصف الأول: لا يبالي بَعْدِهِ ولا بمستقبل أولاده، فالمستقبل عنده لغة غائبة، لا من باب الاتكال على الله، بل من باب اللأبالية.

الصف الثاني: هناك من يخاف المستقبل، فتراه يبخل على نفسه خوفًا من الفقر في المستقبل.

الصف الثالث: ومنهم من يستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل، فلا يفكر لا بـغد ولا باليوم.

الصف الرابع: من يعيش اللحظة الراهنة، لكنّه يفكر في المستقبل ويخطّط له.

أي: لا بدّ من وضع إستراتيجية للمستقبل، ويجعل أمام العين اللحظات التي يمرُّ بها، فكانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تعيش هذه الآلام والهَم، لكنّها ركّزت بالمستقبل والتخطيط له، ليس فقط ما يخصُّ الأسرة، بل وصلت مدياتها إلى مفاصل المجتمع كافّة.

أتت فاطمة الزَّهراء عليها السلام بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، في شكواه الذي توفّي فيه، فقالت: «يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئًا، فقال: أمّا الحسن فإن له هبتي وسؤدي، وأمّا الحسين فإنّ له جرأتي وجودي»^(٢).

هدف الحوار الذي تتعامل معه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مفهوم بين طرفي الحديث، واهتمامها أنّها تفكّر بمن سيهتمُّ بأولادها مستقبلاً، تقول في وصيّتها وهي على فراش المرض، توصي أمير المؤمنين عليه السلام: «جزاك الله عنّي خير الجزاء يا بن عمّ رسول الله

(١) قراءة في السيرة الفاطمية: ٤٤٨.

(٢) الخصال، الصدوق، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، (الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ): ٧٧؛ بحار الأنوار: ٤٢/٢٦٣.



أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بدّ لهم من النساء. ثمّ قالت: أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته. فقال لها أمير المؤمنين: صفيه لي. فوصفته، فاتخذها لها، فأول نعش عمل على وجه الأرض...»^(١).

أرادت هذه الوصية الاعتناء بالأولاد من خلال الزواج لأمير المؤمنين، وأعطت قاعدة أنّ الأسرة لا تتخلّى عن الأمّ والأب، وهي موازنة وحفظ للعائلة، ثمّ أوصت بالنعش، وهو عبارة عن ستر للمرأة.

وقد لعب الخطاب السياسي عند الزهراء دوراً كبيراً، استطاعت أن تؤثر وتغيّر في كثير من المسارات الخاطئة.

والخطاب السياسي هو سيل الجمل والكلمات الموجه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه، واقناعه بمضمون الخطاب، عن طريق الشرح والتحليل والإثارة، ويتضمّن هذا المضمون أفكاراً سياسية، ويهدف السياسي من خطابه إلى تغيير النفوس والعقول والأفكار والواقع، ممّا يجعله في حالة لها صفات وسمات وهيأة معيّنة، ويتسم الخطاب السياسي بالشدة والتحدّي والقدرة القويّة في الإقناع والتأثير^(٢).

من هنا جاءت خطبة السيدة الزهراء، وما تحمله من إشارات وحوارات سياسية، إذ أصبحت تفصح عن محنة التغيير عن طريق تأثير الحوار؛ لما له من العناية اللغويّة والأدبيّة والنقدية، والخطبة لا تكون مؤثّرة إلّا إذا كان الخطيب أكثر القوم فصاحةً وبلاغةً، وأكثرهم منطقاً ولساناً، وهو يجيد فنّ الخطابة والإلقاء.

اختلفت ثقافة الزهراء في الحوار والأحداث المؤثّرة في المكان والزمان، فعندما

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٩٢.

(٢) ينظر: قراءة في السيرة الفاطمية: ١٦ / ٥٠٨.



يُقبل عليها أمير المؤمنين عليه السلام، ويقول: السلام عليك يا بنت رسول الله، فقالت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين.

ومن أدب السلام والتحيّة عندما تنادي زوجها بأمر المؤمنين، يا بن العمّ، وفي الرواية تقول: «روحي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوقاء»^(١).

فكان من أدب الزّهراء عليها السلام، هو افشاء السلام مع أبيها وزوجها وأولادها، وجميع الناس؛ لتعطي درساً في أدب السلام والتحيّة.

القول الحسن والطيب فيه ثمرات زرع العلاقات الاجتماعية، لاسيّما أدب وثقافة الحوار مع الآخر، فنرى حوارها مع أقرب الناس، وهو بعلمها أمير المؤمنين عليه السلام، خصوصاً لما مرضت الزّهراء عليها السلام، ونُعت إليها نفسها، قالت لعلّي: «يا بن عمّ إنّهُ قد نُعت إليّ نفسي، وإنّني لا أرى ما بي إلّا أنّني لاحقة بأبي بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها: أوصي بما أحببت يا بنت رسول الله. فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثمّ قالت: يا بن عمّ ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني. فقال: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله، من أن اوبّخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلّا أنّه أمر لا بدّ منه، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمّضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها. ثمّ بكيا جميعاً ساعة»^(٢).

بعد حوار الوصيّة يتبيّن أنّ الحديث بين عليّ وفاطمة الزّهراء عليهما السلام حديث محبة

(١) شجرة طوبى، المازندرانيّ، محمّد مهدي الحائريّ (ت ١٣٦٩هـ)، (الناشر: مؤسّسة آية الله

العظمى الميلانيّ لإحياء الفكر الشيعيّ، قم المقدّسة، ط ٥، ١٣٨٥هـ): ١/١٩٦.

(٢) روضة الواعظين، النيسابوريّ، محمّد بن الفتّال (ت ٥٠٨هـ)، (الناشر: دار المرتضى للطباعة

والنشر، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م): ١٧٧؛ بحار الأنوار: ٤٣/ ١٩١.

ومودة واحترام، ومع هذا تذكره أن المعاشرة التي كانت بينك وبينني، هل كان فيها مخالفة أو خيانة أو كاذبة، حاشاها بنت رسول الله، ولكن صرّحت بهذا لتكون الأسرة بعيدة عن هذه الصفات التي تجلب الهمّ والغمّ بين الزوجين.

تعتبر مسألة المعرفة والبحث عن الحقيقة من المسائل العقائدية المهمة، لذا فإن معرفة الزهراء لنا تحتاج إلى وجدان حكيم ودراسة حياتها بالتحليل، وإلا كل ما يُطرح من كتابة وبحث حولها، إنّما هو معرفة ظاهرية، وعلى ما نمتلكه من وسائل المعرفة الظاهرية.

فإنّ الصديقة الزهراء عندها المعرفة بالأشياء كلّها، فأشرف العلوم علم التوحيد، وقد كانت أعلم الناس بذلك بعد أبيها وبعلمها، قال الامام عليّ حينما جلس عند رأسها وهي توصيه: «أنت أعلم بالله..»^(١).

وقالت أمّ سلمة: «تزوّجني رسول الله وفوّض أمر ابنته إليّ، فكنت أدلّها وأودبها، وكانت والله آدب منّي وأعرف بالأشياء كلّها»^(٢).

فقد كانت الزهراء فقيهة عالمة بجميع الأحكام الشرعية، بالعلم اللدنيّ، وبما علّمها رسول الله، وهي معصومة لا تخطئ أبداً، وهي حجة الله على أولادها الطاهرين، من هنا كانت أقوالها وأفعالها حجة تُستنبط منها الأحكام الشرعية، الإلزامية وغيرها^(٣).

ومن علمها بالفقه ومعرفتها بالأشياء كلّها، روي أنّ فاطمة بنت رسول الله دخل عليها الامام عليّ، وبه كآبة شديدة، فقالت: «ما هذه الكآبة؟ فقال: سألنا

(١) روضة الواعظين، النيسابوري: ١٧٧.

(٢) دلائل الإمامة، الطبريّ، محمد بن جرير (من علماء القرن الخامس الهجريّ)، (الناشر: مؤسّسة آية الله العظمى الميلانيّ لإحياء الفكر الشيعيّ، قم المقدّسة، ط ١، ١٤١٣هـ): ٨٢.

(٣) ينظر: من حياة فاطمة الزهراء: ٢١٥.

رسول الله عن مسألة ولم يكن عندنا جواب لها. فقالت: وما المسألة؟ قال: سألنا عن المرأة ما هي؟ قلنا: عورة، قال: فمتى تكون أدنى من ربّها؟ فلم نردّ، فقالت: ارجع عليه فأعلمه أنّ أدنى ما تكون من ربّها أن تلزم قعر بيتها. فانطلق فأخبر النبيّ ذلك فقال: ماذا من تلقاء نفسك يا علي. فأخبره أنّ فاطمة أخبرته، فقال: صدقت، ان فاطمة بضعة منّي^(١).

إنّ احتجاجات السيّدة الزّهراء عليها السلام ليس فقط بالحوار، إنّها بالبكاء والصمت تحتج وتخلق حواراً ثوريّاً، بحيث أن القوم ينزعجون من بكائها، وتؤثّر على نفوسهم المريضة.

روى المجلسي: «اجتمع شيوخ أهل المدينة، وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا له: يا أبا الحسن إنّ فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منا يتهنّأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا، وطلب معاشنا، وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً.

فقال علي عليه السلام: حبّاً وكرامة!.

فأقبل الامام علي عليه السلام حتّى دخل على فاطمة عليها السلام، وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلما رآته سكنت هنيئة فقال لها: يا بنت رسول الله إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسالك إمّا أن تبكي أباك ليلاً وإمّا نهاراً. فقالت: يا أبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً، أو ألحق بأبي رسول الله. فقال لها علي عليه السلام: أفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

ثمّ إنّ بني لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمّى بيت الأحران، وكانت إذا

(١) العدد القويّة لدفع المخاوف اليومية، رضي الدين عليّ بن يوسف بن المطهر الحليّ (من أعلام

القرن الثامن الهجريّ)، تحقيق: مهدي الرجائيّ، (الناشر: مكتبة آية الله المرعشي العامّة، مطبعة

سيّد الشهداء، ط ١، ١٤٠٨ هـ): ٢٢٤-٢٢٥.

أصبحت قدّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية، فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فردّها إلى المنزل^(١).

إذن تأثير البكاء والأحزان عند السيِّدة الزهراء عليها السلام صورة من صور الحوار، ساهم في بيان الثائرة المظلومة، رغم عدم وجود أي كلام صدر منها، ولكن ثورتها كانت صرخة بالدموع، فقد أثّرت على القوم، وبدا انزعاجهم.

كانت الدلالات الرمزيّة لبيت الأحزان في قمّة التأثير المستمرّ حتّى وقتنا الحالي، فهذه الصورة الحزينة التي جعلت منها وسيلة تأثير عاطفيّة قويّة تمثّل قصّة الانحراف، وتحمل رمزيّات المقاومة الفاطميّة، وما أرادته من هزّ النفوس، وتكريس كثافة التأثير، «وكأنّها دلالة حواريّة الصورة تستقرّ في القلب والعقل»، والرمز في بيت الأحزان أبقى المشهد ساخناً، وهذا الشكل البسيط في أدواته، العظيم في دلالاته، تحوّل إلى شعار يجسّد المظلوميّة الفاطميّة^(٢).

فالأسلوب الحواريّ أسلوب حركيّ، ويتفاعل في طرح المعلومات أو الفكرة وتبادل وجهات النظر والآراء، هذا ما اتّخذه أهل البيت عليهم السلام في معالجة المشاكل، وانفتاح العقول، وكشف الحقائق، ولقد كانت السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام خير مثال للمنطق والحوار، والروايات أوضحت هذه السمات، وأستعرض نموذجين من الحوار في مواقفها:

الأوّل: ذكر ابن قتيبة موقف الإمام عليّ عليه السلام من بيعة أبي بكر، لمّا أتى به لمبايعة أبي بكر، فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقراية من النبيّ صلى الله عليه وآله وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً!.

(١) بحار الأنوار: ١٧٨ / ٤٣.

(٢) ينظر: قراءة في السيرة الفاطميّة: ٦١١.





ألستم نازعتم الأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منكم، لَمَّا كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيًّا وميتًا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنك لست متروكًا حتّى تبائع.

فقال الإمام عليّ عليه السلام: احلب حلبًا لك شطره، واشدد له اليوم يردده عليك غدًا. ثمّ قال: والله يا عمر لا أقبل قولك، ولا أبايعه.

إلى أن ساق الكلام ابن قتيبة، قال:

وخرج عليّ عليه السلام يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار، تسألهم النصر، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا له.

فيقول عليّ عليه السلام: أفكنت أدع رسول الله في بيته، لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟.

فقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، وقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.

ثمّ قال ابن قتيبة:

كيف كانت بيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟.

قال: وإنّ أبا بكر، تفقّد قومًا تخلّفوا عن بيعته عند عليّ عليه السلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم، وهم في دار عليّ عليه السلام فأبوا أن يخرجوا.

فدعا بالخطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها.



ف قيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة! فقال: وإن!.
فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج، ولا أضع ثوبي
على عاتقي، حتّى أجمع القرآن.

فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوء محضر منكم،
تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمنونا ولم تردّوا لنا
حقّنا.

فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟.
فقال أبو بكر لقنّفذ، وهو مولى له: اذهب فادع لي عليّاً.
قال: فذهب إلى عليّ، فقال له: ما حاجتك؟.
فقال: يدعوك خليفة رسول الله.
فقال عليّ عليه السلام: لسريع ما كذبتُم على رسول الله.
فرجع، فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً.
فقال عمر الثانية: أن لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة.
فقال أبو بكر لقنّفذ: عد إليه، فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع.
فجاءه قنّفذ، فأدّى ما أمر به، ورفع عليّ عليه السلام صوته فقال: سبحان الله، لقد ادّعى
ما ليس له.

فرجع قنّفذ، فأدّى الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً.
ثمّ قام عمر، فمشى مع جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت
أصواتهم نادى بأعلى صوته: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب
وابن أبي قحافة.





فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع.

فقال: إن أنا لم أفعل، فمه؟.

قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو، نضرب عنقك.

قال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله.

قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا! وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه.

فلحق علي رضي الله عنه بقبر الرسول ﷺ يصيح ويبكي وينادي: «يا بن العم إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني».

فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً رضي الله عنه فكلماه فأدخلها عليها.

فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلماً عليها فلم تردّ.

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله يقول: لا نورث! ما تركناه فهو صدقة.

ف قالت: أرايتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا:

نعم.

ف قالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي أحبني، ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟.



قالا: نعم سمعناه من رسول الله.
قالت: فَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ أَنَّكُمْ أَسْخَطْتُمَانِي وَمَا أَرْضَيْتُمَانِي، وَلَنْ لَقِيتَ النَّبِيَّ
لَأَشْكُونَكَ إِلَيْهِ.

فقال أبو بكر: أنا عائد بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثُمَّ انتحب أبو بكر
يبكي حتَّى كادت نفسه أن تزهد، وهي تقول: واللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ
أُصَلِّيُهَا.

ثُمَّ خَرَجَ بَاكِئًا، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمْ: بَيْتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مُعَانَقًا حَلِيلَتِهِ،
مَسْرُورًا بِأَهْلِهِ، وَتَرَكْتُمُونِي وَمَا أَنَا فِيهِ، لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِكُمْ، أَقِيلُونِي بَيْعَتِي.
قالوا: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَسْتَقِيمُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُنَا بِذَلِكَ، أَنَّهُ إِنْ كَانَ
هَذَا لَمْ يَقُمْ لِلَّهِ دِينٌ.

فقال: واللَّهِ لَوْ ذَلِكَ وَمَا أَخَافُوا مِنْ رَخَاوَةِ هَذِهِ الْعُرْوَةِ مَا بَتُّ لَيْلَةً وَلِي فِي عُنُقِ مُسْلِمٍ
بَيْعَةً، بَعْدَمَا سَمِعْتُ وَرَأَيْتُ مِنْ فَاطِمَةَ.

قال: فَلَمْ يَبَايَعْ عَلِيٌّ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ، وَلَمْ تَمُتْ بَعْدَ أَبِيهَا إِلَّا خَمْسًا وَسَبْعِينَ
لَيْلَةً^(١).

من خلال الرواية نرى غلظة وكفر القوم، والتعدّي على أهل البيت، إضافة إلى
غضب الخلافة ومنصوص عليها في القرآن والسنة الشريفة، وتأثير الحوار المستند
بالعقلانية والأحكام الشرعية من قِبَل الإمام عليٍّ وفاطمة (عليها السلام) بحيث أثار كلامهما على
مواقف القوم، وجعلهم يبكون.

الثاني: جاء في خطبة الصديقة الزَّهراء (عليها السلام) قالت: «يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن
ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، أفعل عِمدَ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء

(١) الامامة والسياسة، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، (الناشر: دار
الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠٠٩م)، ١/ ١٧١٥.

ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾^(١)، وقال فيما اقتصر من خبر زكريّا، إذ قال: ﴿.. فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ ..﴾^(٢)، وقال: ﴿.. وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ..﴾^(٣)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ..﴾^(٤)، وقال: ﴿.. إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ﴾^(٥)، وزعم أن لا حظوة لي، ولا إرث من أبي، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون إن أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟^(٦).

من أروع ما صوّرته الخطابات الحوارية الحجاجيّة التي احتجّت بها على القوم، إذ مزجت بقولها الأحكام الشرعيّة من القرآن، ومن منطقها المشروع بحوار حضاريّ أخرجتهم، وذلك لأنّهم من الغافلين والمتهاونين، وسرعة ارتدادهم عن الدين، فكتاب الله بين أظهرهم، واستشهدت للإرث بخمس آيات، لكنّهم من الجاهلين والخاسرين.

دار الحوار حول الإرث، لمّا منعوا فاطمة عليها السلام، وقالت: أنتم تفترون على الله كذبًا، وهذا أمر منكر وقبيح، وجه الدلالة قول الآية المباركة ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ﴾، أنّ الوالدين والأقربين أولى من غيرهم في ما ترك الميت أو للموصي، ولو كان نبيًّا له أن يوصي إلى والديه وأقاربه بعد موته، فهم يملكون الوصيّة، وكذلك يملكون بالإرث، بعد ذلك زعمتم أنّي أجنبيّ من أبي، وعاملتموني معاملة الأجنبيّ،

(١) سورة النمل، آية: ١٦.

(٢) سورة مريم، آية: ٦.

(٣) سورة الانفال، آية: ٧٥.

(٤) سورة النساء، آية: ١١.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٠.

(٦) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ٣٠٢-٣٠٣.

فدفعتم عني ميراثي، هذا تشنيع لهم وتوبيخ وتعير، حيث إنهم مع علمهم، أنزلتهم منزلة الجاهل، ثم قالت: هل نحن ملتين، ويعني أن أحدهم مسلم والآخر كافر، فإنَّ الكافر لا يرث من المسلم، فليس في القرآن من عمومته وخصوصه ما يخرجني عن حكم الإرث^(١).

من فوائد فقه الحوار أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بيَّنت أحكام الإسلام، وأعلمتهم أنَّ هذه الصفات لا يحملها إلَّا أبيها وبعلمها وبنيتها، إضافة إلى أنَّها جادلتهم بالتي هي أحسن، وسدَّت أبواب الاحتمالات التي بها يمكن التمسُّك لمنعها عن الإرث، حتَّى التجأ أبو بكر إلى الاستناد بالحديث الذي زعم كذباً أنَّه سمعه وحده، ولكن ماذا تفعل الزَّهراء عليها السلام، وهذه سياسة الخليفة في خلافته اقتضت منعها عن إرثها، ولهذا استعانت بالأنصار والتجأت إلى طلب معاونتهم، فوبَّختهم وعيَّرتهم على قعودهم وعدم نصرتهم، مع علمهم بغضب فذك والخلافة.

الخاتمة

توصَّلت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات والاقتراحات المستفادة التي برزت في البحث، نعرضها بالآتي:

أولاً: النتائج

من أهمِّ النتائج التي انتهى إليها البحث، ما يأتي:

١. الحوار هو ظاهرة إنسانيَّة لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، فهو بمثابة الركيزة الأساسيّة التي يستند عليها أيُّ مجتمع.
٢. الحوار هو طبيعة إنسانيَّة للجدال والنقاش وللتواصل وتبادل الأفكار والآراء، والعمل على معالجة القضايا الخاصّة التي تكوّن العالم.

(١) ينظر: حياة الزَّهراء عليها السلام بعد أبيها الرسول صلَّى الله عليه وآله: ٢٧٠-٢٧١.

٣. أخلاقيات الحوار تمكن في احترام الغير واحترام رأي الآخر، مهما كان هذا الآخر، فالحوار يقلص مساحة الصراع.
٤. ثقافة الحوار أمر مهم جدًا في تغيير سلوك واتجاهات المتطرف والمنحرف.
٥. يعتبر القرآن الكريم في أكثر آياته المباركة حوارًا يدور بين الله تعالى وبين ما لا يعقل أو ينطق من مخلوقاته.
٦. بيان ثقافة السيدة الزهراء عليها السلام، وما تملكه من مؤهلات خطابية حوارية استطاعت بالاستدلال القرآني والسنة الشريفة.
٧. أبطلت السيدة الزهراء عليها السلام كل الافتراءات والأكاذيب التي جاء بها الخصم، وخصوصًا حواراتها في الخطبة الفدكية.

ثانيًا: التوصيات

انطلاقًا من واقع الحاجة إلى دراسات تعيد النظر في فهم الحوار الثقافي والحضاري في ضوء الكتاب والسنة، يمكن تقديم بعض التوصيات:

١. ضرورة إنشاء هيئة أو رابطة تعنى بترقية الحوار بين أبناء المجتمع.
٢. تفعيل الهيئات الرسمية والمجتمع المدني ومختلف شرائح المجتمع بثقافة الحوار، وبالخصوص الباحثين من مختلف التخصصات لمعالجة القضايا ذات الاهتمام المشترك.
٣. زرع ثقافة لغة الحوار بين الناس بوصفه عملية تبادل وجهات النظر بشكل متفتح ومحترم، وخصوصًا بين الطلبة في المراحل المختلفة، وبين العلاقات الأسرية.
٤. الوصول إلى فهم ثقافة الحوار وسلوكياته في المجتمع؛ ليصبح أسلوبًا للحياة.

ثالثاً: الاقتراحات

- بناءً على النتائج المتوصل إليها، يمكن تقديم أهم الاقتراحات:
١. تأكيد استمرار الحوار والتواصل بين المذاهب الإسلامية؛ من أجل مزيد من التقارب والتفاهم.
 ٢. يجب أن تكون ثقافة الحوار أسلوب الحياة، وأن يدخل الحوار كل منزل.
 ٣. حثُّ منظمات المجتمع المدني على عدم التقوقع، والتواصل مع المواطنين.
 ٤. إطلاق حملة عبر مواقع التواصل الاجتماعي تستهدف فئات الشباب وغيرهم؛ لتبصيرهم بثقافة الحوار في القرآن الكريم، وعند أهل البيت عليهم السلام.
 ٥. مراجعة المناهج المدرسية، وخاصةً مناهج التربية الإسلامية والتاريخ والتربية الوطنية؛ لتوضيح الصورة الحقيقية للدين الإسلامي الحنيف، التي يمثلها الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.
 ٦. إقامة المؤتمرات العلمية والندوات واللقاءات التي تدرس التقارب في الفكر والنظر إلى ثقافة الحوار الحضاري.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم خير الكلام وشريف الخطاب.

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: خليل مأمون سيحا، (الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
٢. أصول الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، (الناشر: دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).



٣. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، (الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠٠٩م).

٤. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ)، (الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٥. البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، (الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، بلا طبعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٦. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحرّ العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) تصحيح وتدقيق: مركز الإمام الحسن عليه السلام للتحقيق والدراسات، (الناشر: الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠١٠م).

٧. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورّام، أبو الحسين بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (ت ٦٠٥هـ)، (الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، بلا طبعة وتاريخ).

٨. تنمية الوعي، علاء حسون تبريزيان، (الناشر: دار الغدير، قم المقدّسة، إيران، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٩. جامع السعادات، النراقي، محمد مهدي (ت ١٢٠٩هـ)، تحقيق: السيّد محمد كلانتر، (الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف، بلا طبعة ولا تاريخ).

١٠. الحوار الإداري الناجح، د. عبد القادر عبد الحافظ الشخيلي، (الناشر: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط ٥، ١٤٣٨هـ).

١١. حياة الزَّهراءَ عَليها السلام بعد أبيها الرسول ﷺ، فضل عليّ القزويني (ت ١٣٦٧هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، (الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الإعلام، كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م).
١٢. الخصال، الصدوق، أبو جعفر محمد بن عليّ بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، (الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ).
١٣. الخطاب الفلسفيّ المعاصر، د. محمد الشاهد، (الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م).
١٤. الخطابة أصولها وتاريخها، أحمد أبو زهرة، (الناشر: دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط ١، ١٩٣٤م).
١٥. خطبة الزَّهراءَ عَليها السلام سيّدة النساء، د. مهدي صالح سلطان، (الناشر: العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).
١٦. دلائل الامامة، الطبري، محمد بن جرير (من علماء القرن الخامس الهجريّ)، (الناشر: مؤسسة آية الله العظمى الميلانيّ لإحياء الفكر الشيعي، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٣هـ).
١٧. روضة الواعظين، النيسابوريّ، محمد بن الفتال (ت ٥٠٨هـ)، (الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).
١٨. الزَّهراءَ عَليها السلام خير نساء العالمين، ناصر مكارم الشيرازي (الناشر: مكتبة الكوثر، بغداد، مدينة الصدر، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).



١٩. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد وعبد الباقي، (الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).

٢٠. شجرة طوبى، المازندراني، محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، (الناشر: مؤسسه آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي، قم المقدسة، ط ٥، ١٣٨٥هـ).

٢١. شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابراهيم، (الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

٢٢. صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، (الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، بلا طبعة وتاريخ).

٢٣. الظليمة فذك ثاني رواشح الردّة، الأردبيلي، موسى ابن الشيخ فيروز ابن حيدر النجفي (ت ١٣٥٤هـ)، (الناشر: نشر فرصاد، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

٢٤. العدد القويّة لدفع المخاوف اليومية، رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلي (من أعلام القرن الثامن الهجري)، تحقيق: مهدي الرجائي، (الناشر: مكتبة آية الله المرعشي العامّة، مطبعة سيّد الشهداء، ط ١، ١٤٠٨هـ).

٢٥. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، القزويني، محمد كاظم (ت ١٤١٥هـ)، (الناشر: مؤسسه النور للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

٢٦. قراءة في السيرة الفاطمية، كفاح الحدّاد، (الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، العراق، ط ١، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).

٢٧. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، (الناشر: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، بلا تاريخ).
٢٨. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)، (الناشر: دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
٢٩. المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا طبعة، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
٣٠. المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ)، (الناشر: المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٨م).
٣١. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق: أحمد صقر، (الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
٣٢. المعجم الأدبي: جبور عبد النور، (الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩م).
٣٣. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المالكي (ت ٨٠٨هـ)، (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: د. محمد محمد تامر (الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
٣٤. مناقب آل أبي طالب، المازندراني، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، (الناشر: دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩١م).





٣٥. من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، الشيرازي، محمد الحسيني (ت ١٤٢٢هـ)،
(الناشر: مؤسسة أم أبيها عليها السلام الثقافية الخيرية، كربلاء المقدسة، ط ١،
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

٣٦. من فقه الزهراء عليها السلام، الشيرازي، محمد الحسيني، (الناشر: دار العلوم للتحقيق
والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط ٢، ١٤٢٦هـ / ٢٠١٥م).

٣٧. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي
(ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (الناشر: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، بلا تاريخ).

٣٨. منهاج الصالحين، السيستاني، علي الحسيني، (الناشر: دار البدر، النجف
الأشرف).

٣٩. هندسة الحوار، د. عبد القادر عبد الحافظ الشихلي (الناشر: مركز الملك عبد
العزيز للحوار الوطني، الرياض، ٢٠١١م).

المجلات

٤٠. صدى القرآن، مجلة قرآنية ثقافية فصلية، تصدر عن دار القرآن الكريم
في العتبة الحسينية المقدسة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، ١٤٣٨هـ /
٢٠١٧م.

الإمامة في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

الباحثة كوثر عيسى جبار الظالميّ

مبلّغة وتدرّسيّة في جامعة الزَّهراء للعلوم الإسلاميّة / فرع السماوة

الملخص

المبحث الأول: وفيه:

المطلب الأول: الإمامة حكم عقليّ.

الزَّهراء تمثّل حلقة وصل بين النبوّة والإمامه، إذ إنّ النبوّة والإمامة بالرسول صلّى الله عليه وآله تأسستا، وبفاطمة عليها السلام اتّصلتا، وبعلي عليه السلام اكتملتا.

ونعرف أنّ النبوّة بالاضافة إلى أنّها سفارة ربّانيّة، كذلك هي ثورة إلهيّة تغييريّة ضدّ عبدة الأصنام وعبيد المال والطاغوت والأعراف المدمّرة. وبتعبير دقيق، هي ثورة تغييريّة تأخذ بيد الإنسان نحو تطلّعاته وأحلامه وآماله.

وليس بالضرورة أن تجني هذه الثورة ثمارها على يد النبي صلّى الله عليه وآله، فقد ير حل النبي صلّى الله عليه وآله، وتبقى الثورة مستمرّة إلى حين تحقيق كامل أهدافها.

المطلب الثاني: الإمامة سنّة كونيّة

الإمامة في فكر الزَّهراء عليها السلام هي منهج الحياة وقاعدة سنّة كونيّة، يجب الالتزام بها، فهل من المعقول أن تخالف سنّة الجاذبيه مثلاً. وماذا سيحصل إذا فعلت ذلك؟.

وهناك سنن تشريعية واجتماعية وأخلاقية ونفسية ثابتة، يجب الالتزام بها حتى تكون من الناجين.

المطلب الثالث: شروط الخلافة الإسلامية

إنَّ للخلافة الإسلامية شروطاً يجب توافرها في خليفة المسلمين حتى يصحَّ كونه حاكماً وإماماً لهم؛ لأنَّ منصب الخليفة أو أمير المؤمنين أو رئيس الدولة، من أهمِّ المناصب على الإطلاق، فبه تقوم حراسة الدين وسياسة الدنيا.

المبحث الثاني: وفيه:

المطلب الأوّل: مفهوم الامامة والقيادة في خطبة السيدة فاطمة الزّهراء (عليها السلام).

عندما رأت فاطمة الزّهراء (عليها السلام) موقف الأُمّة من وفاة أبيها، وما جرى من المؤامرة التي دُبّرت ونُفذت بدقّة متناهية، وعدم حضورهم دفن والدها، نبّى الأُمّة، ورسول الرحمة (صلى الله عليه وآله)، مع أنّه بقي ثلاثة أيّام بدون دفن؛ ليتسنى للذين تلهوا بما صبو إليه من أمر الخلافة، العودة إلى رشدهم، وحضور دفن نبيّهم على الأقل، ولكن التأخير لم يجد نفعاً، بل بقوا على ما هم عليه من الغي والضلال.

المطلب الثاني: هل ينال الإمامة الظالمون؟

إذا أنعمنا النظر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾، يتّضح لنا أنّ تعيين الإمام من الله تعالى، ولا يحقُّ للناس أن يعيّنوا إماماً حسب رغباتهم.

المبحث الثالث: وفيه:

المطلب الأوّل: عقيدة الزّهراء (عليها السلام) في منهج الولاية والإمامة

كانت السيدة الزّهراء (عليها السلام) المدافعة الأولى بعد أبيها (صلى الله عليه وآله)، عن ولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وضحت بنفسها وابنها المحسن (عليه السلام) من أجل إثبات الولاية، وإظهار الحقّ، وواجب على المؤمنين الاقتداء بها، بحسب الشرع،





وبحسب ما يترتب علينا من الواجب، بأنّ كلّ قولٍ وعملٍ وتقريرٍ منها عليه السلام حجة شرعية.

المطلب الثاني: ما هي إستراتيجية الزهراء عليها السلام في جهادها لإثبات الولاية للأجيال القادمة؟.

كانت حرب دفاعية ، وفي الحرب الدفاعية تجب المشاركة على الكلّ، المرأة والرجل والطفل والكبير والصغير بلا فرق. فكانت حرباً عسكرية، إيديولوجية، ونفسية.

ثمّ الخاتمة والمصادر.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حمداً كثيراً، ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم،
ونعوذ بالله من الخطأ والنسيان.

أمّا بعد.. فنقدّم بين أيديكم هذا البحث بعنوان (الإمامة في فكر السيدة
الزَّهراء (عليها السلام))، والتي تمثّل نموذجاً ومثلاً أعلى للمرأة المسلمة على الصعيد الشخصي،
أو على ما تحمله من أسرار العظمة التي تعدّ من إحدى اللبّات الأساسيّة لبناء السّلم
العقائديّ والفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ لما كانت عليه من العلم وتقديم الحجّة،
حيث كانت خطبتها الفدكيّة حركة لإثبات ولاية أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي
طالب (عليه السلام)، واستمراراً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، حيث أرادت السيّدّة فاطمة الزَّهراء (عليها السلام) أن تثبت الطريق
المستقيم في منهج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهناك بعض الأهداف التي يمكن أن نستنتجها من
منهجية خطبة السيّدّة فاطمة الزَّهراء (عليها السلام)، على أسس منطقيّة سليمة، تسعى إلى حلّ
التناقضات التاريخيّة والعقائديّة والفقهية.

إنّ الهدف من هذا الخطبة هو إثبات منهج الولاية والإمامة الذي أقرّه الله سبحانه
وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) في يوم الغدير، لذلك يمكن القول إنّها خطبة الغدير الثانية. حيث
اتّخذت الزَّهراء (عليها السلام) من الكلمة سيفاً، ومن الحجّة سناناً، لتلقي الحجّة، وتنبّه على الفتنة،
وتعرّي أساس السلطة، وتقوِّض أركانها بخطابها الذي كان آيةً في البلاغة، وغايةً في
الفصاحة.





وسوف نتطرق إلى الحوار الصادق الذي بيّنت فيه هويّة الحقّ والباطل، وأنّ أهل البيت عليهم السلام هم الحقّ، وأعدائهم هم الباطل.

وحاولنا في هذا البحث الموجز أن نقدّم إمامة عن بعض الجوانب من فكر السيّدة الزهراء عليها السلام، آمليّن أن تسهم في الكشف عن أسرار عظمتها وعلومها ومنهجها وفكرها وعقيدتها في الإمامة.

وأسأل الله تعالى أن يكون في المستوى المطلوب بعد العناية والبحث والترتيب والتنسيق ومعالجة الموضوعات، حتّى قمت بكتابة هذا البحث، والذي أرجو من الله أن ينال استحسانكم، وأن يضيف قيمة علميّة للمكتبات بإذن الله تعالى.



المبحث الأول

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: الإمامة حكم عقلي

الزهراء تمثل حلقة وصل بين النبوة والإمامة، إذ إن النبوة والإمامة بالرسول ﷺ تأسستا، وبفاطمة عليها السلام اتصلتا، وبعلي عليه السلام اكتملتا.

كما نعرف أن النبوة بالاضافة إلى أنها سفارة ربانية، كذلك هي ثورة إلهية تغييرية ضد عبدة الأصنام والمال والطاغوت والأعراف المدمرة.

وبتعبير دقيق، هي ثورة تغييرية تأخذ بيد الإنسان نحو تطلعاته وأحلامه وآماله.

وليس بالضرورة أن تحني هذه الثورة ثمارها على يد النبي ﷺ، فقد ير حل النبي ﷺ، وتبقى الثورة مستمرة إلى حين تحقيق كامل أهدافها.

وهذا مغزى استمرارها بالإمامة؛ لتكمل مسيرة ما بدأت به النبوة، واستيعاب كل امتدادات الزمن.

وبالرغم من العمر القصير للسيدة الزهراء عليها السلام، إلا أنها أدت الدور العظيم بنجاح. هنا نفهم عظمة وجود السيدة الزهراء عليها السلام، حيث كانت عليها السلام أم مؤسسة النبوة، كما قال النبي ﷺ: «فاطمة أم أبيها».

وكانت جزءاً لا يتجزأ منها، وبالإضافة إلى ذلك، فإن بقاء المؤسسة النبوية،





واستمرار بقاء الثورة الإلهية، وهذا هو الدور الأهم، إذ كان أعداء هذه المؤسسة يتربصون بها سوءاً لنيل السلطة بعد رحيل الخاتم، وهذا ما ذكرته في خطبتها، إذ وصفتهم بأنهم كانوا ينتظرون موته للقضاء على أهل بيته.

وكان دور الزهراء عليها السلام على صعيدين:

الصعيد الأول: كان موقفها مفصليّ، يفصل بين الحق والباطل، بين من ينتمي إلى المؤسسة النبوية، وبين من ينتمي إلى السلطة.

الصعيد الثاني: امتداد فاطمة عليها السلام بامتداد الإمامة، فقد دافعت عليها السلام عن الإمام علي عليه السلام، لأنها كانت مكلفة بالأحكام الأولى، وخطبة يوم الغدير لم تترك عذراً لأحد، والزهراء امتداد للإمامة، والامتدادية هنا من ناحية المواقف المفصلية بين الحق والباطل.

إنّ منهجية السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها تؤكد أنّ الإمامة حكم عقليّ؛ لأنّ الله تعالى أقرّه على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله في يوم الغدير، وبيّنت عليها السلام ذلك، حيث قالت: «أيّها الناس اعلموا اني فاطمة وأبي محمد صلّى الله عليه وآله، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً...». فكانت كلماتها موضوعيّة في سياقاتها، وصائبّة في معانيها، وحقيقيّة في موازينها، لم تدفعها العاطفة، بل كانت راجحة الاستدلال، وفصاحة البيان، وبلاغة الكلام.

فبيّنت ذلك الانحراف الذي حصل بعد رحيل الخاتم، وكشفت حقيقة هذا الانقلاب الذي يسعى إلى السلطة.

وأكدت عليها السلام أنّ النجاة في اتّباع منهج أهل البيت عليهم السلام، والانحراف عنهم يؤدّي إلى كوارث كبيرة، وهذا ما حدث فعلاً، فقد عاشت الأمّة بعد استشهاد الرسول صلّى الله عليه وآله بالحروب والأزمات والاستبداد والظلم وفساد الحكّام، إذ جعلوا الحكم وراثّة وملكاً.



المطلب الثاني: الإمامة سنة كونية

الإمامة في فكر الزَّهراء عليها السلام هي منهج الحياة وقاعدة سنّية كونية يجب الالتزام بها. فهل من المعقول أن تخالف سنة الجاذبيه مثلاً؟ وماذا سيحصل إذا فعلت ذلك؟.

وهناك سنن تشريعية واجتماعية وأخلاقية ونفسية ثابتة، يجب الالتزام بها، حتّى تكون من الناجين.

لكنّ المنحرفين خالفوا هذه السنن، ووضعوا منهاجهم الخاص؛ لكي تُشرعن السلطة لهم بحسب مزاجهم وأهوائهم الشيطانية، فأدّت أساليبهم إلى تدمير البلاد والعباد.

لذلك نحن نحتاج إلى قراءة صحيحة لمنهج أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم، حيث نجد فيها السنن الصحيحة التي تبني حياتنا بشكل صحيح، لكن يجب أن نترك أهواءنا من خلال ممارسة الورع والتقوى؛ لأنّ أغلب الأشياء التي تؤدي إلى الانحراف هي المعاصي والذنوب؛ لأنّها تتلاءم مع المزاج الشخصي، والرغبة، وحبّ المال والدنيا، والتي تؤدي إلى الوقوع في فلك الشياطين، ومن هنا تستمر المعاناة المعقّدة.

لذلك فإنّ كلام السيّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومنطقها وفكرها، والنصائح التي قدّمتها، لم تنحصر بأولئك القوم فقط، وإنّما هي موجّهة للجميع، فهي تشمل الماضي، والحاضر، والمستقبل. وعدم إهمال سنن النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّ هذا الإهمال هو الذي يجعلنا نقع في الأزمات التي نعيشها اليوم.

الذي يفكر ببناء حاضر ومستقبل ناجح، عليه بناء أسس سليمة، ويتبع منهج النبوة، ويترك الانحرافات وأهواء النفس؛ لأنّ في ذلك الانحراف عن كتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ألم كبير في نفس الزَّهراء عليها السلام من أولئك القوم الذين أنقذهم الرسول صلى الله عليه وآله من تلك المعيشة البائسة.





لكنهم هكذا يفعلون ببنت رسول الله ﷺ.

الأمر الذي كان يعتصر قلب الزهراء أُمًّا؛ لأنَّه سوف يؤدِّي بالناس إلى العيش البائس والضيق، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١)؛ لأنَّهم استجابوا لهتاف الشيطان الغوي، الذي يجلب لهم الشقاء، وإطفاء نور الله الجلي الذي يكشف لهم الحقيقة الناصعة، ويجنبهم السقوط في الشك والارتباب، لكنَّهم اختاروا الضلال على الهدى، عندما أهملوا سنن النبي، فالنتيجة تكون واضحة حتَّى سيدخلون في عوالم التعاسة والحروب والويلات وظلم الحكام.

المهدف الأساسي للزهراء عليها السلام هو إثبات مفهوم الإمامة؛ لأنَّ المنهج الذي نسير عليه يحتاج إلى قائد وإمام معصوم، والقيادة الصالحة هي التي تسعى إلى تحرير الإنسان، وهذا الأمر يرشد إليه حكم العقل، فالإنسان إذا تاه عن هدفه يحتاج إلى دليل يرشده، فليس من المعقول أن لا يكون هناك إمام معصوم نسير وراءه كدليل لنا، إذ إنَّ الإمامة حكم عقلي وأتبعه الله سبحانه بالنص على لسان نبيه عن الإمامة، وبمعصمتها، وقيادة البشرية نحو طريق صالح.

المطلب الثالث: شروط الخلافة الإسلامية

إنَّ للخلافة الإسلامية شروطاً يجب توافرها في خليفة المسلمين، حتَّى يصحَّ كونه حاكماً وإماماً لهم؛ لأنَّ منصب الخليفة أو أمير المؤمنين أو رئيس الدولة، من أهم المناصب على الإطلاق، فبه تقوم حراسة الدين وسياسة الدنيا^(٢).

وقد اختلف أتباع مدرسة الصحابة في تحديد هذه الشروط، واختلافهم هذا خير دليل على بطلان ما ذهبوا إليه من القول بخلافة فلان وفلان، ذلك أنَّ

(١) سورة طه: ١٢٤.

(٢) الأحكام السلطانية للأوردى: ٣.



قولهم هذا يلزم منه كون النبي ﷺ ظالمًا، وحاشاه طبعًا، إذ كيف يعقل لسيد الخلق ومن بُعث رحمة للعالمين أن يرحل من هذه الدنيا بدون أن يستخلف أحدًا، بل إنّه لا يبيّن للناس شروط وصفات الخليفة من بعده، وهذا ما سوف يجعل الأمة ضالة ضائعة. هذا وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة...»^(١).

فهل يُعقل أن النبي ﷺ يأمرنا باتباع أناس غير معيّنين؟ وهل يعقل أنّه لم يقم أحد من الصحابة ليسأل النبي ﷺ حينها: من هم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر، الذين يكون الإسلام بهم عزيزًا منيعًا حتى نتمسك بهم؟ أمّا بالنسبة لاتباع مدرسة الصحابة، فقد وقعوا في حيص بيص حينما أرادوا تعيين هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، فقد حاول ابن تيمية تعيينهم حينما قال: فكان الخلفاء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ثمّ تولّى من اجتمع الناس عليه وصار له عزٌّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثمّ عبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز^(٢).

أمّا السؤال الأوّل الذي يطرح على ابن تيمية، فهو: هل كان تعيينك لأسماء هؤلاء الخلفاء الاثني عشر استنادًا إلى آية أو حديث نبويّ، أم أنّك قد جئت بها من بنات أفكارك!!

ثمّ كيف يجروّ على القول بأنّ معاوية صار له عزٌّ ومنعة؟ وهل يكون العزّ والمنعة بسبّ رسول الله، أم يقتال أمير المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين وخليفة المسلمين عليّ؟ وكيف يكون يزيد شارب الخمر وقاتل الصحابة ومحرّق الكعبة وهاتك أعراض الصحابيّات وبناتهنّ في المدينة خليفة المسلمين؟ وهل يكون الإسلام عزيزًا يقتل أهل البيت، أم بسبي نسائهنّ؟.

(١) صحيح مسلم: ١٤٥٣/٣.

(٢) منهاج السنّة النبويّة لابن تيمية، بتحقيق محمّد رشاد سالم: ٢٣٨/٨ طبعة ١٤٠٦هـ.





ثمّ كيف أدخل يزيد بن معاوية في هؤلاء الخلفاء، وأخرج سيّدي شباب أهل الجنة، الحسن والحسين؟ وهذا خير دليل على أنّ ابن تيمية يعتقد بأفضليّة يزيد بن معاوية على سبطي رسول الله، وهذا ما لا يعتقده مسلم.

ومن اللافت للنظر أنّ كلّ علماء المسلمين عجزوا عن تحديد أسماء هؤلاء الخلفاء الاثني عشر إلّا أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين تمسّكوا بالثقلين، وتحديدهم ليس صعباً على من اتّبع الحقّ وترك التعصّب، فالطريق الوحيد لمعرفة أسماء هؤلاء الخلفاء هو الجمع بين حديث الثقلين وبين هذا الحديث. أمّا شروط الخلافة والإمامة، فقد ذكرها أبو الحسن عليّ بن محمّد الشهير بالماورديّ (المتوفّى ٤٥٠هـ)، إذ قال: وأمّا أهل الإمامة، فالشروط المعتمدة فيهم سبعة: أحدها: العدالة على شروطها الجامعة.

والثاني: العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

والثالث: سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان، ليصحّ معها مباشرة ما يدرك بها.

والرابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع عنّا استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

والخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعيّة وتدبير المصالح.

والسادس: الشجاعة المؤدّية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

والسابع: النسب، وهو أن يكون من قريش، لورود النصّ فيه، وانعقاد الإجماع عليه، ولا اعتبار بضرار حين شدّ فجوّزها في جميع الناس؛ لأنّ أبا بكر احتجّ يوم السقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة لِمَا بايعوا سعد بن عبادة عليها، بقول النبي صلى الله عليه وآله: «الأئمة من قريش»^(١)، فأقلعوا عن التفرّد بها، ورجعوا عن المشاركة فيها، حين قالوا:

(١) صحيح، رواه أحمد بن حنبل [١١٨٩٨]، وصحّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [٢٧٥٨].



منا أمير ومنكم أمير، تسليمًا لروايته وتصديقًا لخبره، ورضوا بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وقال النبي ﷺ: «قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا تَقْدِّمُوا هَا»^(١)، أي ولا تتقدموها. وليس مع هذا النصّ المسلم شبهة لمنازع فيه، ولا قول لمخالف له.

ثم أخذ الماورديّ بشرح هذه الشروط والتعليق عليها، إذ قال: أمّا العدالة: فالمراد بها أن يكون صاحب استقامة في السيرة، وأن يكون متجنبًا للأفعال والأحوال الموجبة للفسق والفجور، فكما لا يكون الظالم والغادر مستحقًا للخلافة، لا يكون المتّصف بالتآمر والتحايل، كمثّل تسليم قطيع من الغنم للذئب وجعله راعيًا لها. وأقوى برهان على ذلك قوله تعالى لإبراهيم عندما سأله أن يجعل الإمامة في ذريّته، قال: ﴿قَالَ لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يستحقونها ولا يصلون إليها، والقصد الأساسي من تنصيب الخليفة هو دفع الظلم عن الناس، لا تسليط الظلم عليهم، فلذا لا يجوز عند علماء الإسلام كافّة انتخاب من هو بالظلم والبغي خليفة، كما أنّ الخليفة الذي ارتكب الظلم والطغيان أثناء خلافته يستحقّ العزل، بل إنّ عند قدماء الشافعيّة، وعلى رأسهم الشافعيّ نفسه، ينعزل ولو لم تعزله الأئمّة. ويستلزم أغلبيّة الفقهاء أن يكون الخليفة على درجة كبيرة من العلم، فلا يكفي أن يكون عالمًا، بل يجب أن يبلغ مرتبة الاجتهاد في الأصول والفروع على السواء، لكي يكون قادرًا على تنفيذ شريعة الإسلام، ودفع الشبهات عن العقائد، وإعطاء فتاوى في المسائل التي تقتضيها، وإصدار الأحكام استنادًا إلى النصوص أو إلى الإستنباط؛ لأنّ الغرض الأساسي للخلافة هو صيانة العقائد، وحلّ المشاكل، والفصل في المنازعات. وقال: وينبغي أن يكون الإمام إلى جانب علمه بأحكام الإسلام، مثقّفًا ثقافة عالية، ملئمًا بأطراف من علوم عصره، ويا حبّذا لو كان متخصصًا في بعضها، ويكون على علم بتاريخ الدول وأخبارها،

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال: أخرجه عبد الرزّاق بإسناد صحيح، لكنّه مرسل، وله شواهد، وصحّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [٢٩٦٦].





وبالقوانين والمعاهدات الدوليّة، والعلاقات السياسيّة والتجاريّة والتاريخيّة، وقد فرّق ابن خلدون في مقدّمته بين العيوب الجسميّة المطلقة التي تمنع الخليفة من أداء وظيفته، كأن يكون أعمى، أو أخرس، أو أصم، أو مقطوع اليدين، أو الرجلين، ففي هذه الحالة لا يكون المرشّح أهلاً للخلافة، أمّا أن كان أعور أو أصم بإحدى أذنيه، أو مقطوعة إحدى يديه، ففي هذه الحالة يبقى المرشّح أهلاً للرئاسة.

أمّا فيما يخصّ النسب القرشيّ، فالسؤال المطروح هنا: ما هي الميزة التي اتّصفت بها قريش دون غيرها من القبائل والمناطق الأخرى حتّى تصحّ فيها الخلافة؟ ولماذا لا يحقّ لرجل غير قرشيّ أن يكون خليفة للمسلمين؟.

فإن قال قائل: لكون النبي ﷺ من قريش وجب كون خليفته من قريش أيضاً. نقول: إذا كان الأمر كذلك، فصار الأولى أن نقول: إنّ خليفة المسلمين يجب كونه من أهل بيت الرسول ﷺ؛ لأنّهم الأقرب إليه روحاً وجسداً؛ ولأنّهم مطهّرون من كلّ رجسٍ ودنسٍ.

ثم إن كان هناك من يقول بوجوب كون الخليفة من قريش لانتساب النبي إليها. فلماذا لا يقول بوجوب كون خليفة النبي الله من أهل بيته وعترته، مادام أنه ينتسب إلى النبي ﷺ؟ ولو استدلّ هذا القرشيّ على صحّة خلافته بكونه من قريش، كان الأولى لغيره من بني هاشم أن يستدلّ على ذلك؛ لأنّه أضيق دائرة من قريش، ولحق لأهل البيت ﷺ الاستدلال على ذلك بطريق أولى؛ لأنّ أهل بيت النبي ﷺ أضيق دائرة من قريش، بل ومن بني هاشم.

أمّا فيما يخصّ القدرة في إدارة الأمور من حرب وإجراء الحدود، فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه، ومن كان معروفاً بانزاهه وفراره من أرض المعركة، كان أحوج لغيره في هذه الأمور على أقلّ التقادير.



أما شرط الأعلمية والأفضلية في الدين، فهل يُقاس أحد بمن ولد في الكعبة موحدًا ولم يسجد لصنم قط، وأول من صلى مع النبي ﷺ، ومن تربى في حجر سيد الخلق، وأخذ من علومه ومعارفه، وتزوج سيّدة نساء العالمين؟ وإنّ العاقل يكفيه قراءة ما رواه الحاكم في مستدركه، إذ قال: سمعت القاضي أبا الحسن عليّ بن الحسن الجراحي وأبا الحسين محمد بن مظفر يقولان: سمعنا أبا حامد محمد بن هارون الحضرمي يقول: سمعت محمد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله له ما جاء لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه^(١).

أما الأعلمية في الدين، فمن ذا الذي يقدّم نفسه على باب مدينة علم الرسول ﷺ؟ ومن ذا الذي يسمح له ضميره أن يتقدّم على قوم فيهم من كان عالمًا بكل آية في القرآن، أين ومتى وعلى من نزلت؟ ومن ذا الذي يقايس نفسه برجل كان كبار الصحابة يرجعون إليه في حلّ معضلاتهم ومشاكلهم الدينية والدنيوية، حتّى قال قائلهم قولته المشهورة: «لولا عليّ لهلك عمر».



(١) المستدرک على الصحيحین: ٣/ ١٢٣، والاستيعاب لابن عبد البر: ٣/ ١١١٥، والإصابة لابن حجر العسقلاني: ٤٦٥/ ٤، وفتح الباري: ٧/ ٧١.

المبحث الثاني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإمامة والقيادة في خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

عندما رأت فاطمة الزهراء عليها السلام موقف الأئمة من وفاة أبيها، وما جرى من المؤامرة التي دبّرت ونفذت بدقّة متناهية، وعدم حضورهم دفن والدها، نبيّ الأئمة، ورسول الرحمة صلّى الله عليه وآله، مع أنّه بقي ثلاثة أيّام بدون دفن، ليتسنى للذين تلهوا بها صبا إليه من أمر الخلافة، العودة إلى رشدهم، وحضور دفن نبيّهم على الأقل، ولكنّ التأخير لم يُجدِ نفعا، بل بقوا على ما هم عليه من الغيّ والضلال، فما كان من فاطمة عليها السلام إلّا أن أرسلت إلى الخليفة الغاصب، تطالبه بميراثها من رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما لها من الحقوق، وهذه كانت الخطوة الأولى من الأسلوب الذي انتهجته (سلام الله عليها) في مطالبتها بحقوقها^(١)، حيث تناولت في خطبتها جانباً مهماً، واستعملت أسلوباً بيّنت فيه دفاعها وموقفها تجاه إمام زمانها، حيث قالت:

«وطاعتنا نظاماً للملّة»، أي لا يمكن أن يسود النظام العادل في المجتمع الإسلاميّ، إلّا بقيادة معصومين عن الهوى، ومنزهين عن الزلّ، الذين عيّنهم الله تعالى على لسان رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله، وهم أئمة الهدى، والعروة الوثقى، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً^(٢).

(١) فدك في التاريخ: ٨٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

«وإمامتنا أماناً للفرقة».

تتوحد الكلمة الإسلامية بتوحيد الراية والقيادة، والقادة الذين عيّنهم رسول الله ﷺ هم الأئمة الاثنا عشر من ذريته، وهم أمان للأمة من كل آفة وتفرقة، وقد أشار إلى ذلك ﷺ في عدة روايات، منها قوله: «إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»^(١).

فإذا أرادت الأمم العيش، فلا بدّ لها من اختيار نظام حاكم سائد، والنظام كلمة واسعة النطاق، غزيرة المعاني، فالحكومات، وتشكيل الوزارات، وتنظيم الدوائر، وسنّ القوانين، وإصدار التعاليم في شتى المجالات، يقال لها: نظام. فلا بدّ من إطاعة النظام والخضوع له، فإذا كان النظام صالحاً عمّ الصلاح في البلاد، وإن كان النظام فاسداً، ظهر الفساد في البرّ والبحر^(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ دَانَ بِدِينِي، وَسَلَكَ مَنَاجِييَ، وَاتَّبَعَ سُنَّتِي، فَلَيْدَنْ بِتَفْضِيلِ الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي عَلَى جَمِيعِ أُمَّتِي، فَإِنَّ مَثَلَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، مَثَلُ بَابِ حَطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. يَحِطُّ اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا»^(٣)، فكلّ من قرأ سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، وتعرّف عليهم، وجد أنّهم كانوا محور الأخلاق الفاضلة، والصفات الإسلامية العالية، وكانت أخلاقهم من أخلاق القرآن؛ لأنّهم عدله وترجمانه وكتاب الله الناطق، كما أنّهم هم أولي الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

«والجهاد عزّاً للإسلام».

الجهاد من الواجبات التي اعتمد عليها الدين الإسلامي للدفاع عن وجوده ووجود رجاله الذين وجد الإسلام بوجودهم، وقد عبّر عنه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):

(١) البحار: ٢٣/ ١١٩.

(٢) راجع أرشاد القلوب للدليمي: ٢٤٩.

(٣) البحار: ٢٣/ ١١٩.





أنّه من أبواب الجنّة، فتحه الله سبحانه لخاصّة أوليائه المتّقين، والجهاد قوّة ومنعة، يدفع به اعتداء المعتدين، وكيد الظالمين، وفيه تُحفظ العزّة والكرامة لجميع أعضاء الأُمّة، أفرادًا وجماعات.

والأُمّة الإسلامية التي تعتبر بأنّها بلاد راقية، لا بدّها من نظام، وأنّ الله تعالى جعل إطاعة أهل البيت (عليه السلام) نظامًا للملّة الإسلامية، ومعنى ذلك أنّ الله تعالى جعل القيادة العامّة المطلقة العليا والسلطة لأئمّة أهل البيت الاثني عشر، وهم عتره رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وليس لكلّ من يجلس على منصّة الحكم تجب طاعته وتنفيذ أوامره، وإنّما جعل الله إطاعة أهل البيت نظامًا للمسلمين؛ لأنّ الله تعالى منحهم الأهلية، وخصّهم بهذه العلوم والعصمة بكلّ ما ينفع المجتمع، وبكلّ ما يصلح الناس^(١).

هذه العبارة «وطاعتنا نظام للملّة» تدلّ على أنّ انتظام أمر الدين وصلاح أمور المسلمين، واجتماعهم على الصلاح لا يتحقق إلّا بطاعتهم والتسليم لإمامتهم، لكنّ القوم تسارعوا إلى سقيفة بني ساعدة، وبادروا إلى تقمّص الخلافة، وغيرُوا أمر الإمامة، وبدّلوا نعمة الله كفرًا، فلن يصلح أمرهم حتّى ظهور صاحب الأمر بقية الله في أرضه (عليه السلام)^(٢).

ثمّ تنتقل فاطمة الزّهراء (عليها السلام) إلى ذكر العترة، من أهل البيت (عليهم السلام)، وهم الذين أوجب الله تعالى طاعتهم على العباد، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣).

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد: محمّد كاظم القزويني، نشر مؤسّسة الرافد للمطبوعات، ط ١،

٢٠١١م: ٢٦٣.

(٢) خطبة فذك: محمّد باقر المجلسي، نشر دار كلستان كوثر، إيران، ط ١، ٢٠٠٣م: ٦٨.

(٣) سورة النساء: ٥٩.



«وإمامتنا أماناً للفرقة»، وهي الخلافة العظمى، منصب إلهي تعين من الله تعالى، عندما جاء النداء لنبيِّنا إبراهيم (ع) من عند الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١). أي المقتدى به في أفعاله وأقواله، وليس المقصود من الإمامة هنا النبوة؛ لأنَّ النبي إبراهيم (ع) كان نبياً، وإنَّما أضاف الله تعالى له الإمامة إلى جنب النبوة.

المطلب الثاني: هل ينال الإمامة الظالمون؟

إذا أنعمنا النظر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾، يتَّضح لنا أنَّ تعيين الإمام من الله تعالى، ولا يحقُّ للناس أن يعيِّنوا إماما حسب رغباتهم.

وإذا تدبَّرنا بقيَّة الآية، تنكشف لنا حقائق أخرى، وهي قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وقد روي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام): لا يكون الظالم إماماً للناس، وهذا يدل على عصمة الأئمة؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى نفى أن ينال العهد الظالم، وغير المعصوم، فقد يكون ظالماً لنفسه أو لغيره.

فقد جعل رسول الله (ص) منزلة أهل بيته عدل كتاب الله، في حديث الثَّقَلَيْنِ المتواتر عند المسلمين، وهو قوله (ص): «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقُوا حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضِ»^(٢).

فحصر النبي (ص) وسيلة التمسُّك بعروة الإسلام من خلال حديث الثَّقَلَيْنِ الواردين فيه، فإنَّ أتباع جوهر الإسلام بضمِّ دَفَتِي الحديث، وليس الأخذ بواحد منهما وترك الآخر، إنَّما ذلك يُوَدِّي إلى الضلالة والوقوع في حبائل الفتنة، وقد حذَرنا أمير المؤمنين (ع): «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ، لَا ظَهْرَ فَيَرْكَبَ، وَلَا ضَرْعَ فَيَحْلَبَ»^(٣).

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) الحر العاملي، مسائل الشيعة: ١٩/١٨.

(٣) ابن اللَّبُونِ يفتح اللام وضمُّ الباء: ابن الناقة إذا استكمل ستين.



وهذا ما حدث بعد رحيل النبي ﷺ في افتراق الأمة عن الثقلين، برغم أنّ النبي ﷺ قال في عليّ عليه السلام: «عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لن ينفركا حتّى يردا عليّ الحوض»^(١)،

برغم هذه الأدلة العقلية والنقلية، إلّا أنّهم اختاروا أن يتخذوا الأمر على أهوائهم، ولم يكتفوا بذلك، بل حاولوا إيذاء أهل بنت رسول الله ﷺ، واغتصبوا حقّها وإرثها من أبيها، فكان موقف الزّهراء عليها السلام الموقف الشجاع، حيث دافعت عن الإمامة، وهي تعلم سبب عدم قولهم بولاية الإمام عليّ عليه السلام، ففي خطبتها الفدكية كانت تخصّ ذكر الإمامة للإمام عليّ عليه السلام في قولها:

«ما الذي نقموا من أبي الحسن؟» أي ما الشيء الذي عابوه من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتّى نحّوه عن السلطة، وجاؤوا بغيره؟.

ولا يخفى على أحد علم الإمام عليّ عليه السلام، والدليل قول الرسول ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»^(٢)، والإمام عليّ عليه السلام معروف بالشجاعة والكرم، فقد تربّى تحت رعاية رسول الله ﷺ.

فما هو سبب صرف الخلافة إلى غيره؟ فتجيب السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، وتقول: «ونقموا منه والله نكير سيفه»، والمقصود أنّ عليّاً كان قد قتل في الحروب والغزوات رجالاً هؤلاء وأسلافهم، فكانوا يكرهونه بسبب سيفه الخاطف للأرواح.

«وقلّة مبالاته بحتفه»، أي لا يكثر بالموت، وكان الإمام عليّ عليه السلام يقول: «والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت، أو الموت وقع عليه»^(٣).

(١) هذا حديث صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمي، هو عقيصاء ثقة مأمون، ولم يخرجاه.

(٢) السيوطي، الجامع الصغير وزيادته: ٣٢٤٧/١.

(٣) عيون الأخبار: ١٦٥.



«وشدة وطأته، ونكال وقعته»، أي شديد الأخذ، ونكال الوقعة أي كان يصنع
صنيعًا يحذر غيره، ويجعله عبرة له.
«وتنمُّره في ذات الله ﷻ»، أي صار شبيهًا بالنمر في الاقتحام، ولا يغضب لنفسه،
بل يكون غضبه لله تعالى.



المبحث الثالث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة الزّهراء عليها السلام في منهج الولاية والإمامة

كانت السيّدة الزّهراء عليها السلام المدافعة الأولى بعد أبيها صلى الله عليه وآله عن ولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وضحت بنفسها وابنها المحسن عليه السلام، من أجل إثبات الولاية وأظهار الحق، وواجب على المؤمنين الاقتداء بها حسب الشرع، وحسب ما يترتب علينا من الواجب، بأنّ كلّ قول وعمل وتقرير منها عليها السلام حجة شرعية.

ونحن نعلم المرتبة العالية لفاطمة الزّهراء، لكن دون مرتبة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي كفؤ لبعليها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفوق مرتبة بنينا الأئمة الأحد عشر عليهم الصلاة والسلام.

ونعلم أنّها ولدت في بيت النبوة، وترعرعت في ضلال الوحي وتعاليم الدين الخفيف، ولانكر عصمتها، أمّا الأدلة التي نستطيع بها إثبات ارتباط فاطمة الزّهراء عليها السلام بصميم الدين، فيمكن بيّانها بأنّها عليها السلام الحجة على الأنبياء، فضلاً عن الأئمة عليهم السلام؛ لذلك عندما أرسل الله تعالى أنبياءه إلى البشر ليبلغوا رسالاته، فكانت العصمة شرطاً من شرائط النبوة، وجعل للأنبياء أوصياء وأئمة وخلفاء، واشترط العصمة فيهم أيضاً، وأمر الناس بأن يطيعوا ويسلموا مقاليد دنياهم إلى من تجلّت فيه عصمة الله تعالى،

كما في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، وهذه الطاعة في كل شؤون الناس، وأن قضية الحكم والخلافة هي واحدة من أهم هذه الشؤون، فليس من الممكن لأحد الاختيار خارج مشيئة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٢).

أي لا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة أن يتخير في أمر الله أن يفعلوه أو لا يفعلوه، بل يعلم المؤمن والمؤمنة أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل أهواء نفسه حاجبا بينه وبين أمر الله ورسوله. ولا ريب أن الخلافة شأن إلهي خالص من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

فكيف لنا نحن البشر أن نختار وننصب من يكون خليفة للرسول من بعده؟ وكيف بعقيدة الزهراء، وقد عاشت في كنف النبوة أن لا تعتقد بخلافة قد أوصى بها الرسول قبل استشهاده، في يوم الغدير، فكان من واجبها أن تكون المدافع الأول حسب الواجب الشرعي، وليس كونها زوجة، بل هو تكليفها لإمام زمانها.

ومن الحديث المروي في حق فاطمة عليها السلام، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «ولقد كانت كانت عليا مفرضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والأنس والطير والوحوش والأنبياء، حتى أقرؤوا بفضل فاطمة عليها السلام وحجيتها»^(٤).

يتبين لنا أفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على الأنبياء وعلى جميع البشر، بل ثبت حجية فاطمة عليها السلام على الأئمة، فهذه العقيدة مكنت الزهراء عليها السلام من رسم خارطة دقيقة

(١) سورة النساء: ٥٦.

(٢) الاحزاب: ٣٦.

(٣) سورة البقرة: ٣٠.

(٤) الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي: ٨٣.





تتناسب مع حجم المسألة، مع الواقع المرير الذي عاشته هذه الأسرة الشريفة بعد رحيل الرسول ﷺ، بأنّ الخلافة انتقلت إلى الإمام عليّ عليه السلام بأمرٍ إلهيٍّ على لسان نبيّه ﷺ، وهذا الأمر ناشئ من استحقاق عليّ عليه السلام لهذه الخلافة.

وفعل الزّهراء عليه السلام وتقريرها حجّة على المسلمين جميعاً، لذلك نحن نقول: إذا تعرّضت الإمامة للخطر، يجب على كلّ الأمّة أن تدافع عن إمام زمانها، وتختلف مراتب من حيث الشدّة والضعف، بمعرفة الجنديّ لموقع الإمامة والقيادة.

المطلب الثاني: ماهي إستراتيجية الزّهراء عليه السلام في جهادها لإثبات الولاية للأجيال القادمة؟

كانت حرب دفاعيّة، وفي الحرب الدفاعيّة تجب المشاركة على الكلّ، المرأة والرجل والطفل والكبير والصغير، بلا فرق.

فخرجت الزّهراء عليه السلام تدافع عن إمام زمانها كأمةٍ لا كزوجة عن زوجها في قضية السقيفة؛ لأنّها أعرف الناس بالإمام عليّ عليه السلام، فشاركت بكلّ الأساليب، منها:

الحرب الأولى: حرب عسكريّة، انتهت باكتساح بيت الزّهراء عليه السلام.

الحرب الثانية: حرب إيديولوجيّة (خطب الزّهراء عليه السلام)، وهذه الحرب رسمت خارطة الإمامة، ووضعت الأدلّة والمفاهيم التي يستطيع المسلم أن يرى جادة الطريق من بعد أجيالٍ وأجيالٍ متعاقبة.

فبهذه الحرب الإيديولوجيّة هزمتهم جميعاً، هكذا عندما لا تتمكّن من هزيمتهم عسكريّاً، هزمهم إيديولوجيّاً، فحطّمت البريق الخاطئ الذي رسموه في حرب السقيفة بخطبها عليه السلام.

الحرب الثالثة: الحرب النفسيّة، عندما دخلوا عليها، وسلبت منهم الاعتراف جبراً بأنّهم ظلّموها.



الحرب الرابعة: الحرب التاريخية، يستطيع الحاكم الظالم أن يكتب ما يشاء، ويرَوِّج بأنهم خرجوا يشيعونها، وصلى الخليفة، ولطم خلف جنازتها الأول والثاني وو.. القلم بيدهم، والمؤرَّخ عميل.

فكانت (عليها السلام) تعرف أنها ستحصل حركة في التاريخ لطمس معالم الجريمة التي ارتكبت في يوم السقيفة، لذلك عندما دخلوا على الزَّهراء (عليها السلام) كي يكذبوا ما نُقِلَ من تعاملهم معها، هذه الحرب التاريخية..

- لا يحضروا جنازتي.
- اختفاء القبر.

وإلى الآن لم يستطيعوا التخلص من هذا الأمر تأريخيًّا؛ لأنَّ بنت النبي لا يمكن إنكارها حبسبة النبي وأقرب الناس إليه، فإذا لم يحضروا جنازتها، ولم يصلُّوا عليها، ولم يعرفوا قبرها، فما يعني ذلك؟.

لإثبات قرينة تأريخيَّة على حدوث أكبر جريمة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله).

الخاتمة

أثبتت الزَّهراء (عليها السلام) إمامة وخلافة عليٍّ من العقل والقرآن والسنة. وآخر ما يمكننا قوله هنا، إنَّ الأُمَّة لو اتَّبعَت الثَّقَلَيْنِ؛ لما افترق المسلمون إلى طوائف وفرق ومذاهب، ولما وصلنا إلى هذه المرحلة التي أصبح فيها المسلم يقتل أخاه المسلم، ولعاش المسلمون عيشًا رغدًا في أمن وسلام، ولهنَّنا بطيب الحياة والسعادة والمحبة والأخوة؛ لأنَّ النبي الذي لا ينطق عن الهوى كان قد وعدنا في حديث الثَّقَلَيْنِ أَنَّهُ لو تمسَّكنا بالقرآن وأهل البيت؛ سوف لن نضلَّ إلى يوم القيامة.

برغم العمل الضخم التي قامت به (عليها السلام) فإنَّها لم تتخلَّ في كلِّ مواقفها عن الحجاب والعفة، في مسجد النبي صُرب دونها سترًا، وخطبت خطبتها، وكانت تمشي ونسوة





تحيطها، هكذا ينقل لنا التاريخ تلك الأحداث، على حين نرى اليوم في عدّة بلدان أنّ العاملين في الحقل السياسيّ والإعلاميّ والحقوقيّ يتساهلون في الالتزام بالأحكام الشرعيّة، فنرى المرأة تخفّف من سترها أمام الأجنب، وربّما تتخلّى عن الحجاب الكامل بحجّة متطلبات العمل، والرجل قد يصافح المرأة الأجنبية بنفس الحجّة والتبرير!!

لم تكن السيّدة الزّهراء (عليها السلام) كذلك، بل قامت بجميع أدوارها بين الناس، مع الحفاظ على كامل حجابها وعفتها، ولم يمنعها الحجاب من أداء وظيفتها.

ومن هنا أنصح كلّ إنسان مسلم أن يتعد عن التعصّب الأعمى الذي هو سبب دخول النار والعياذ بالله، وأنصح بمراجعة نفسه وعقيدته قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

ونسأل الله (عزّ وجلّ) أن يحفظ أوطاننا، ويوجد كلمتنا، ويجمع شملنا، وأن يرزقنا شفاعة محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من زمرة المتمسّكين بها وبأبيها وبعلمها وبنيتها (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ومن المتبرّئين من أعدائهم، ومن الذاكرين لفضائلهم، والناشرين لأثارهم، والمروّجين لتراثهم، والفائزين بولايتهم في الدنيا والآخرة، إنّه قريب مجيب، والسلام عليكم وعلى جميع إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله ربّ العالمين.

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الاحكام السلطانيّة للأورديّ.

٣. صحيح مسلم.



٤. منهاج السنَّة النبويَّة لابن تيمية، تحقيق محمَّد رشاد.
٥. صحيح الجامع للشيخ الألباني.
٦. المستدرک علی الصحيحین.
٧. فذك في التاريخ.
٨. إرشاد القلوب، للدليمي.
٩. فاطمة من المهد إلى اللحد، محمَّد كاظم القزويني.
١٠. خطبة فذك، محمَّد باقر المجلسي.
١١. المستدرک علی الصحيحین.
١٢. السيوطي، الجامع الصغير.
١٣. عيون الأخبار.
١٤. الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعودي.



فهرس المحتويات

- ٥ محوّر الدّراسات العقديّة والفقهية
- ٧ معالم الفكر السياسيّ ومقاصدها عند السيّد فاطمة الزّهراء عليها السلام (قراءة تحليلية)
- الباحثة سندس سعدون مهدي عليّ الشمريّ
- ٤٩ نظريّة الإمامة الإلهيّة من منظور السيّد فاطمة الزّهراء عليها السلام
- السيد الدكتور عبد الكريم حسن پور
- حوزة علميّة، قم المقدّسة
- ٧١ الأبعاد المعرفيّة في خطاب السيّد الزّهراء عليها السلام
- أ.م. صباح محمّد حسين التميميّ
- جامعة ديالى
- ٩٩ الأذكار المقدّسة ومضامينها عند أهل البيت عليهم السلام تسبيح الزّهراء عليها السلام أنموذجاً
- الباحثة حوراء خضير عبيّس
- ١٢٥ جهاد فاطمة الزّهراء عليها السلام في مراحلہ الثلاث
- عبد الكريم جعفر الكشفيّ
- مدير عام تربية محافظة ديالى السابق
- ١٤٧ الفكر التربويّ في سيرة السيّد الزّهراء عليها السلام
- الباحثة لقاء عبد الحكيم عبد الشهيد

- مدرسة بنت الرسول ﷺ النسوية للعلوم الدينية
- ١٧٥ فقه الحوار عند السيِّدة فاطمة الزَّهراء ﷺ
- الدكتور حمزة حسن عباس الموسوي
- مديرية تربية بابل
- ٢٢٩ الإمامة في فكر السيِّدة الزَّهراء ﷺ
- الباحثة كوثر عيسى جبار الظالمى
- مبلَّغة وتدرّسية في جامعة الزَّهراء للعلوم الإسلامية/ فرع السماوة

